انشطار يوغوسلافيا

دراسة تاريخية تحليلية

حسين عبد القادر

انشطار يوغوسلافيا

دراسة تحليلية تاريخية

الطبعة الأولى
١٩٩٦

Centre d'Etudes Euro - Arabe
23 Rue de Washington
75008 Paris

Tél : 49 53 95 80   Fax : 49 53 02 60

إهداء

إلى نسيم، ذو الخمسة عشر شهراً، الذي كلما رآني جالساً اكتب، يتسلق المقعد، يلتصق بظهري، يشد شعري، ويقرص اذني قائلاً: تا تا تا.... بابابا... غاغاغا، فيمنحني مزيداً من الإلهام والصبر والنشاط.

والى اخويه، سمير وعزيز، اللذين كلّما رأياه يتمادى في إلهامي، يأخذانه بعيداً قائلين: دع بابا يعمل بهدوء.

وإلى زوجتي سعاد، التي كانت تختلس بعض ساعات نومها لتسهر على راحتي في الوقت الذي كنت، انا، اسهر فيه تارةً من اجل الكتابة، وتارات بسبب الأرق الناتج عن الكآبة. تلك الكآبة، التي لا يمكن تلافيها في هذه البلاد الفرنسية التي، وإن كانت قد اصبحت عزيزة على قلبي، وتتسم بكرم الضيافة وحسنها، إلا انها لا يمكن ان تشكل بديلاً عن جبل الزهور، مهد الطفولة.

شكر

اتقدم بجزيل شكري وامتناني لمركز الدراسات العربي ـ الاوروبي، ورئيسه الدكتور صالح بكر الطيّار: لا يدع ادنى فرصة لنشر المعرفة تفوته.

واتقدم بجزيل الشكر للصديق الدكتور مهدي شحادة، قدّم لي أولى مراجع بحثي، ومنحتني مبادرته الحسنة هذه الزخم الأولي. ثم قدّم لي النصح والمشورة اللتين كنت بحاجة ماسة اليهما طوال فترة كتابة هذا الكتاب.

وإن انس، لا انس فضل السيدة اميرة عبد اللطيف. طبعت الكتاب واخرجت صفحاته وصححت اخطائي، خصوصاً فيما يتعلق بمواقع الهمزة ومسائل «حتى» التي حتحتت قلوب علماء اللغة.

ويعود الفضل، اولاً واخيراً، لله تبارك وتعالى. فلولا نعمته عليّ بالصحة والقدرة على الكتابة، ولولا مشيئته لما خرج هذا الكتاب الى الوجود. إنه جلّ وعلا وليُّ التوفيق.

تقديم

عندما اندلعت الحروب اليوغوسلافية وتحديداً منها الخاصة بالبوسنة والهرسك استذكر العالم مجدداً حادثة مقتل الارشيدوق فرنسوا فرديناند التي كانت برأي المؤرخين الشرارة الاولى التي ادت الى اندلاع الحرب العالمية الاولى. وعمد المحللون الى اجراء نوع من المقارنة بين تلك الحادثة التاريخية وما تركت من انعكاسات وبين ابعاد ما جرى مؤخراً تخوفاً من ان يستعيد التاريخ نفسه فتنطلق من نفس المكان شرارة حرب عالمية ثالثة.

والمعلوم ان يوغوسلافيا التي توحدت بالقوة على يد الماريشال جوزف تيتو لم تستطع ان ترتقي الى مستوى الوطن بالمعنى الايديولوجي للكلمة، بل بقيت رغم توحدها كناية عن لوحة فسيفساء تتداخل فيها الانتماءات القومية والاتنية والدينية، وتتشابك على اراضيها المصالح الاقليمية والدولية الى حد يصعب الامساك بأطراف الخيوط التي تتحكم بمساراتها.

ولهذا وما ان سقط جدار برلين وما استتبع ذلك من متغيرات جيوبوليتيكية وايديولوجية في دول المعسكر الاشتراكي حتى بدأ التفسخ يظهر في معالم تركيبة الدولة اليوغوسلافية، واستشرت الحروب بين ابناء من كانوا ينتمون الى وطن واحد حيث تقوقعت كل جماعة في بوتقة عرقية او دينية واسست لها كيانات وكانتونات مستقلة وحاولت بشتى الوسائل والطرق الدفاع عن بقائها وديمومتها.

واذا كانت الجمهوريات اليوغوسلافية نتيجة افرازات الاوضاع الجديدة قد نالت استقلالها وباعتراف دولي بهذا الانفصال عن الدولة الام فإن الحال لم تكن كذلك بالنسبة للبوسنة والهرسك اذ تناقضت بشأن مستقبلها المواقف المحلية والخارجية، وتعددت الاراء ،كما

نشبت حروب بينها وبين الكروات حيناً، وبينها بين الصرب احياناً كثيرة كان من نتائجها سقوط آلاف القتلى والجرحى، والتدمير الكامل لهياكلها وبناها. وانتهت الحرب بتوقيع اتفاق «دايتون» نهاية العام ١٩٩٥ دون ان تحصل على صفة الدولة المستقلة.

ولقد كانت الرغبة في مركز الدراسات العربي - الاوروبي تحدونا، وانسجاماً مع دور المركز الابل الى الاهتمام بالقضايا العربية والاوروبية، الى تخصيص كتاب عن البوسنة لوحدها ولكن تشابك الازمة البوسنية مع ازمات الجمهوريات المحيطة بها وعلى كافة الصعد والمستويات دفعنا الى تخصيص هذا الكتاب للحديث عن يوغوسلافيا بأكملها باعتبار ان القارئ لا يمكن ان يلم بحقيقة ما جرى في البوسنة اذا لم يطلع على مجريات الاحداث في الدويلات والدول المجاورة.

املنا ان نكون قد ساهمنا ولو بشكل متواضع في القاء الاضواء على ابعاد ازمة شغلت العالم بشكل عام واوروبا بشكل خاص، وفي اغناء المكتبة العربية بمثل هذه المراجع العلمية والموضوعية خاصة وان موضوع الكتاب قلما استأثر باهتمام مفكرين عرب.

والله ولي التوفيق

د. صالح بكر الطيّار

رئيس مركز الدراسات العربي - الاوروبي

مستشار قانوني

تمهيد

انتهت الحرب الباردة، حرب توازن الرعب النووي، وتغنى المفكرون والمحللون في جميع انحاء المعمورة ببروز نظام عالمي جديد ينعم فيه الخلق بالامن والاستقرار والرخاء.

انتهت الحرب الباردة «دون اطلاق رصاصة واحدة» - حسب التعبير الساخر لأحد الجنرالات الروس - وحلت محلها، هنا وهناك، حروب في غاية السخونة.

زالت الحرب الباردة، وتلاشى النظام العالمي ذو القطبين ليحل محله «لا نظام عالمي جديد»، او «فوضى عالمية جديدة» يأكل فيها الضعيف القوي. واكتشفت اوروبا ان اكثر حروب ما بعد الحرب الباردة سخونة تعصف في قلبها : في يوغوسلافيا.

في بداية الامر، لم يُعر احد الازمة اليوغوسلافية ادنى اهتمام: ألم تشهد القارة القديمة منذ نصف قرن من الزمان نصيبها اليومي من العنف والارهاب؟

ولكن اشارات الخطر بدأت تتراكم. في بلغراد، شكّل «الزعيم الجديد القوي»، ميلوسيفيك، خليطاً متفجراً من الوطنية والشيوعية. حرم اقليم الكوسوفو الذي يقطنه الالبان والذي يتمتع باستقلال ذاتي داخل صربيا من استقلاله الذاتي. عندئذ، اعلنت جمهوريتان فيدراليتان، سلوفانيا وكرواتيا، ان ذلك يعتبر انتهاكاً للميثاق الفيدرالي وانهما ستُعلنان استقلالهما. وهذا ما فعلتاه في الخامس والعشرين من حزيران عام ١٩٩١. هكذا بدأت اول حرب حقيقية في اوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. في مراحلها الاولى، في سلوفانيا، لم تستمر اكثر من ايام قلائل: في حقيقة الامر، تعتبر سلوفانيا الجمهورية اليوغوسلافية الوحيدة التي يتجانس سكانها، فهي بالتالي لا تستحوذ على اهتمام الصرب.

واصبحت الامور مختلفة تماماً عندما بدأ ميلوسيفيك واصدقاؤه في غزو الاراضي الكرواتية التي تحتوي على اغلبيات سكانية صربية. دارت حروب ضارية، استمرت اشهر ستة، تم بعدها التوقيع على وقف اطلاق النار ونشر قوات الامم المتحدة. وافق الصرب على

وقف اطلاق النار بسهولة لأنهم، اولاً، استولوا على الاراضي الكرواتية التي كانوا يريدون الاستيلاء عليها؛ وثانياً، لأن وقف اطلاق النار في كرواتيا يسمح لهم بالاستمرار في تحقيق حلم «صربيا الكبرى» في البوسنة ـ والهرسك. بعد عام من العمليات العسكرية، استطاعوا السيطرة على ٧٠٪ من مساحة هذه الجمهورية، وطرد سكانها المسلمين منها، وهذا ما دُعي بـ «التنقية العنصرية».

في مرحلة اولى، تحالف المسلمون والكروات ضد شريكهم السابق الذي اصبح عدواً، ولكن هذا التحالف كان هشاً. لتعويض خسائرهم، بدأ زعماء زاغرب يحلمون بنوع من «كرواتيا الكبرى»، ولا يمكن ان يتم هذا إلا على حساب البوسنيين. هكذا نشبت الحروب الكرواتية ـ الاسلامية والتي توقفت بعد انشاء الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية برعاية الولايات المتحدة الاميركية.

لا شك بأن المجموعة الاوروبية، التي لم تكن في ذلك الوقت الحاداً، تعتبر من اهم الخاسرين لأن الحرب دارت على حدودها دون ان يكون لها حول او قوة. صحيح انها اتخذت في البداية مبادرة ايجابية: بفضل وساطتها توقفت المعارك بين الصرب والسلوفانيين. ولكنها لم تعد، بعد ذلك، قادرة على اتخاذ موقف مشترك. قد يتحدث المؤرخون في المستقبل عن أن الخطأ الاكثر فداحة يتمثل في اعتراف بعض دول المجموعة الاوروبية باستقلال سلوفانيا وكرواتيا قبل ان يتم حل جميع المشاكل المرتبطة بانشطار يوغوسلافيا.

في الكتاب الذي بين يديكم، سأتحدث كثيراً عن الماضي. فإذا اردنا ان نفهم احداث يوغوسلافيا الحالية، يجب علينا ان نبدأ بمعرفة تاريخها. واذا ارادت شعوب يوغوسلافيا السابقة العيش بسلام، يجب عليها نسيان قرون من العنف والدماء.

المؤلف

القسم الاول
يوغوسلافيا تيتو وما قبلها

أولاً : اثر التاريخ
١ ـ الفرقة الازلية.

٢ ـ من مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين الى مملكة يوغوسلافيا .

٣ ـ الحرب العالمية الثانية واختفاء يوغوسلافيا.

ثانياً : تيتو
١ ـ اسلوب فريد نحو الشيوعية .

٢ ـ ازدهار وذبول الدولة التيتوية .

ثالثاً : الشعب اليوغوسلافي : فسيفسائي ومزيج عرقي
١ ـ ست جمهوريات واقليمان مستقلان ذاتياً.

٢ ـ نظرة سكانية شاملة .

٣ ـ اقليات داخل جيوب الجمهوريات .

٤ ـ خصومات الاجيال : اللغات والاديان .

رابعاً : البوسنة والهرسك
١ ـ الاسلام.

٢ ـ مدن البوسنة .

٣ ـ الهرسك .

٤ ـ توزيع السكان .

أولاً : اثر التاريخ

١ ـ الفرقة الازلية

لن نغوص في التاريخ عميقاً، فأحداث القرون الغابرة لا تفيد في موضوعنا شيئاً. لنبدأ في القرن السادس بعد الميلاد. في ذلك العهد، اطاح البربر بالامبراطورية الرومانية الغربية. وفي ذلك العهد ايضاً، جاءت قبائل السلاف من اعماق روسيا لتستقر فيما سيُدعى في المستقبل يوغوسلافيا. سينشؤون فيها نوعاً من السلطة. يتفق المؤرخون على ان لفظة «كروات» ظهرت لأول مرة في عهد تيربومير الذي حكم منطقة «كرواتوروم» من عام ٨٤٥ الى عام ٨٦٤. واعلنت المملكة الكرواتية استقلالها في عام ٩٢٥. لم تبق زمناً طويلاً مستقلة، لأن ملك هنغاريا استولى على عرشها في القرن الثاني عشر. وبسبب ذهاب واياب الغزاة العثمانيين، بقيت كرواتيا تحت حماية امبراطورية فيينا لغاية القرن العشرين.

ثم اصبحت تحت وصاية الامبراطورية الهنغارية، في حين خضعت سلوفانيا، الجارة، للامبراطورية النمساوية دون ان تعرف في يوم من الايام معنى الاستقلال. او بالاحرى، عرفته بعض مقاطعاتها، المقاطعات الايليريه (١) لفترة قصيرة من الزمن تحت حماية نابليون والامبراطورية الفرنسية. بعد انهيار الاخيرة، عادت المقاطعات الى الخضوع الى ساداتها الاوائل الهنغاريين، والنمساويين والطليان على الشواطئ. تتسم هذه المرحلة بأهمية خاصة، وسنرى ذلك لاحقاً.

وفي الوقت الذي كان فيه الكروات والسلوفانيون يخضعون لجيران الشمال، انشأ الصرب امبراطوريتهم التي شهدت قمة ازدهارها في عهد ايتيان دوشان. كان مركز هذه الامبراطورية يقع في الكوسوفو التي يقطنها الآن الالبان. كان ايتيان دوشان يأمل احتلال

القسطنطينية. ولكنه مات، وبموته تمزقت الامبراطورية الصربية. اغتنم الاتراك الفرصة، وسحقوا اول دولة صربية في المهد الذي نشأت فيه: انهزم الصرب عام ١٣٨٩ في معركة «كوسوفو ـ بولي»، وفقدوا بهذه المناسبة استقلالهم لمدة خمسة قرون قادمة.

لم يكن العثمانيون يمتلكون الوسائل والامكانيات، ولا حتى الرغبة في ادارة شؤون البلاد التي احتلوها. ومنحوا ثقتهم للسكان الاصليين الذين يعتنقون الاسلام. هكذا تكاثف الالبان في الكوسوفو، والاهم من ذلك، هكذا ظهرت طائفة السلاف المسلمين في البوسنة والهرسك. في الوقت نفسه، تراجعت صربيا نحو الشمال، واستقر بعض المهاجرين في كرواتيا. مُنحوا اراض خاصة بهم، بشرط ان يدافعوا عنها ضد الاتراك. هكذا ظهرت مقاطعة الكراجينا الكرواتية التي يقطنها الصرب. واستمر الصرب الذين بقوا في البلاد في نضالهم ضد المحتلين. اما هؤلاء الذين كانوا يقطنون المناطق النائية، فقد استطاعوا، بفضل جبلهم الاسود (المونتنغرو)، الاحتفاظ باستقلالهم.

استمر الحال على هذه الصورة لغاية بداية القرن التاسع عشر. ومن نصف الالف عام الذي مرّ منذ وصول الاتراك، لنحتفظ ايضاً بهذين التاريخين: ١٥٢١، احتل الاتراك بلغراد؛ ١٩٨٣ انهزامهم امام فيينا وبداية تراجعهم.

اقتبس الصرب فكرة الوطنية البلقانية من الثورة الفرنسية. في عام ١٨٠٦، قاد احد المزارعين، كارا جورج (جورج الاسود)، حملة عصيان مسلحة. حقق بعض النجاح. ولكن بعد ان تخلى عنه الروس الذين كان يعتمد على مساندتهم، تراجع وهرب الى النمسا. بعد ذلك بعشر سنوات، حمل ميلوس اوبرنوفيش لواء النضال بوسائل اخرى اكثر ديبلوماسية. ونجح في الحصول على تأييد الاتراك الذين منحوه لقب «الامير الاعظم». كان ذلك بداية لحرب ثابتة، طويلة، عنيفة، ودموية بين انصار اوبرنوفيش وانصار كارا جورجفيش.

بعد ان استقر على العرش، اراد ميلوس اوبرنوفيش احكام سلطته: اغتال خصمه الامير ولي العهد منذ عام ١٨١٧. ثم عُزل عن العرش عام ١٨٥٩، وحل محله ابنه ميكائيل الذي حكم ثلاثة اعوام قبل ان يطيح به كارا جورجفيش الذي اطيح به هو ايضاً بعد ستة عشر عاماً.

وعاد اوبرنوڤيش الى العرش ليحكم عامين آخرين. بقي اوبرنوفيش على العرش لغاية عام ١٩٠٣. في احد ليالي تموز من هذا العام، انتهت الحرب العريقة بين انصار اوبرنوفيش وانصار كاراجورجڤيش بمأساة. عند حلول الظلام، دخل متآمرون الى القصر الملكي، وتلمسوا طريقهم في سراديب وممرات القصر ثم عثروا على الملك الكسندر وزوجته في احد دواليب القصر السرّية. وقتلاهما. ثم نصّبا على العرش بيير كارا جورجفيش، ملك صربيا المشهور الذي عرف فيما بعد بالملك بيير الاول.

لنعد قليلاً الى الوراء. في الوقت الذي كانت تدور فيه المعارك الطاحنة بين انصار اوبرنوڤيش وانصار كاراجورجڤيش، كانت الامبراطورية العثمانية تمر مراحل انهيارها. في عام ١٨٧٨، قرر مؤتمر برلين ان تشرف «النمسا ـ هنغاريا» على ادارة شؤون البوسنة والهرسك «باسم السلطان». وفي عام ١٩٠٨، اعلنت ڤيينا، بكل بساطة، ضمها. عند اعلان هذا الضم، لم يكن احد يعرف نتائجه التي ستظهر بعد زمن ليس بطويل: اغتيال الارشي دوق فرانسوا ـ فرديناند، ولي عهد النمسا، وزوجته في مدينة سراييفو. كانت عملية الاغتيال هذه السبب في نشوب الحرب العالمية الاولى.

اغتنم الصرب فرصة ضعف الامبراطورية التركية ليحتلوا، في عام ١٩١٢ آخر الجيوب التي كان يسيطر عليها الخصوم. وفي العام التالي، استولوا على جزء من الاراضي التي كان يسيطر عليها حلفاؤهم المؤقتون، البلغار.

في عام ١٩١٤، ما زالت البوسنة ـ والهرسك نمساوية. وكان الكروات والسلوفانيون يخضعون بهدوء للمملكة المزدوجة الاوسترو ـ هنغارية . ولكن «الفكرة اليوغوسلافية» ولدت لديهم. اختمرت هذه الفكرة تماماً خلال الفترة القصيرة التي دامتها استقلالية المقاطعات الايليريه.

اما الصرب، فكانت لديهم اهتمامات واولويات اخرى. بقيادة الملك بيير الاول، الذي دخل التاريخ في نفس الوقت الذي دخله فيه البرت الاول، ملك بلغاريا، استطاعوا هزيمة الجيوش الاسترو ـ هنغارية في عام ١٩١٤. ولكنهم شعروا بأن العدو على وشك ان يحيط بهم.

فتراجعوا الى الخلف، الى اعماق البلاد. ثم عادوا الى الهجوم في سبتمبر عام ١٩١٨ ليقضوا تماماً على بقايا الامبراطورية الاسترو- هنغارية. يعتقد المؤرخون ان عدد ضحايا الصرب في هذه الحرب بلغ المليون.

بدأت فكرة توحيد شعوب سلاف الجنوب - باستثناء البلغار - تختمر في الاذهان. كان من الممكن ان يتم هذا التوحيد بقيادة نيكولا، ملك المونتنغرو، الذي احتفظ باستمرار باستقلال بلاده، ولكن مراهناً على نصر النمسا. وبما ان النمسا انهزمت، وخسر هذا الملك الرهان، فإن بيير الاول هو الذي اعتلى عرش «مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين». ولكنه كان منهك القوى، فحمل ابنه الكسندر الراية بالوصاية.

بدأت المفاوضات بين الصرب والسلاف (ما زالوا تابعين للامبراطورية) اثناء الحرب، وولدت المملكة في الاول من ديسمبر عام ١٩١٨. دون ان تستطيع الاطراف المعنية التوصل الى اتفاق حول جميع الامور، وخصوصاً الرئيسية منها. هكذا نشأت مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين دون ان تتوحد يوغوسلافيا كما يجب، او كما كان يأمل الكثيرون ان تتوحد - لا يمكن في بضع سنوات اصلاح آثار عدّة قرون.

٢ - من مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين الى مملكة يوغوسلافيا

على رأس جنوده الهائمين، لم يكن بيير الاول يفكر سوى في الحرب. اما رجال كرواتيا وسلوفانيا فلم يكونوا بالنسبة له سوى جنوداً اعداء، لأنهم، على غرار الرقيب جوزيف بروز الذي عُرف فيما بعد بالاسم المستعار تيتو، كانوا يخدمون الجيش الامبريالي. رغم ذلك، واعتباراً من عام ١٩١٥، بدأت الحكومة الصربية تتعاون مع هيئة يوغوسلافية اتخذت من لندن مقراً لها. كانت نتيجة هذا التعاون التوقيع على اعلان كورفو في العشرين من تموز ١٩١٧. اعتقد الموقعون على هذا الاعلان (الصرب والكروات) انهم حددوا جميع معالم المملكة اليوغوسلافية عندما اتفقوا على ان تكون يوغوسلافيا المستقبل «مملكة دستورية برلمانية». لم يكن اعلانهم هذا ذو قيمة لأنهم نسوا، عن قصد او عن غير قصد، الامر الاهم: هل سيتم

توحيد سلاف الجنوب في دولة مركزية، ام في دولة فيدرالية؟

انتهت الحرب العالمية الاولى دون ان تتوصل الاطراف الى اتفاق، بل قبل ان تبدأ المفاوضات حول المسائل الرئيسية، وخصوصاً الدستورية. لهذا، ساد الاعتقاد بأن يوغوسلافيا ستموت قبل ولادتها، او ستولد ميتة. ولكنها ولدت بصعوبة، تحت العناية الطيبة المركزة - اذا جاز التعبير - لأن والديها كانوا يشعرون بوجوب الاحتفاظ بأمل في الاتحاد لمواجهة الاخطار والتهديدات الخارجية. في الوقت الذي تم فيه توقيع الهدنة وانتهاء الحرب العالمية الاولى، تشكلت في زاغرب اللجنة الوطنية العُليا. اجرت اتصالات مع الهيئة الكرواتية المتواجدة في المنفى، ثم حلت محل السلطات الاسترو- هنغارية. بعد ذلك بعدة ايام، في بلغراد، اعلن الامير - الوصي الكسندر اتحاد الصرب والكروات والسلوفانيين. وفي انتظار ان تتوصل الاطراف الى اتفاق حول القانون الاساسي، سيتم العمل بالدستور الصربي. اعتباراً من هذه اللحظة، ساد الشعور بأن نوايا زعماء بلغراد - باستثناء ابن الملك بيير - تتخطى الفكرة اليوغوسلافية، وتهدف الى ابعد من ذلك: الى السيطرة الصربية.

بل نستطيع ان نتساءل حول نوايا ابن الملك بيير، الوصي الكسندر. اثناء اعمال اللجنة المكلفة بوضع القوانين الاساسية (الدستور)، لم يبد ادنى معارضة تجاه رجال السياسة الذين كانوا يدعون الى المركزية، وبالنتيجة الى السيطرة الصربية. في هذا المناخ، دعا اهم الاحزاب الكرواتية - حزب المزارعين بقيادة راديش - نوابه الى مقاطعة البرلمان. وتم اقرار الدستور الجديد في الحادي والعشرين من حزيران ١٩٢١ بموافقة ٢٢٣ صوتاً مقابل ٣٥، وبطبيعة الحال، بغياب النواب الكروات.

اتسم العقد الاول من حياة مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين بالخمول السياسي وشهد الكثير من المآسي. صحيح ان الزعيم الكرواتي راديش وافق لفترة من الزمن على المشاركة في الحكومة، هو وبعض اصدقائه. ولكن ذلك لم يدم طويلاً. في عام ١٩٢٧ حدث الانفصال. وفي العام التالي، وبالتحديد في العشرين من حزيران عام ١٩٢٨، حدثت المأساة التي لم يسبق، ولم يتبع لها مثيل في التاريخ العالمي، والتي لم يكن يتصورها احد: اثناء

جلسة برلمانية اطلق احد نواب المونتنغرو العضو في الائتلاف الحكومي النار على خمسة من النواب الكروات. قتل ثلاثة منهم (من ضمنهم راديش)، واصاب اثنين بجراح خطيرة.

رفعت هذه المأساة حدة النزعات الوطنية والانفعال السياسي الى اقصى الدرجات. واتخذ الكسندر الاول ـ الذي اصبح ملكاً منذ موت ابيه في عام ١٩٢١ ـ من الفوضى السائدة حجّة وذريعة لتعليق العمل بالدستور، ولإعلان نفسه ديكتاتوراً في الخامس من يناير ١٩٢٩. ولكي يُحكم سيطرته على شؤون الحكم، منح رئاسة الحكومة للجنرال جيڤكوفيش الذي كان يرأس الحرس الملكي، والذي سمح للعائلة المالكة بالعودة الى الحكم: فهو الذي، في عام١٩٠٣، فتح ابواب القصر الملكي للمتآمرين الذي اغتالوا ملكاً يدعى، هو الآخر، الكسندر.

وعد الملك بأن يكون الحكم الدكتاتوري مؤقتاً. صدق في وعده، ولم يدم حكمه الفردي سوى عامين. وخلال هذين العامين، في الثالث من اكتوبر ١٩٢٩، تحوّل اسم مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين الى مملكة يوغوسلافيا (تعني لفظة يوغوسلافيا حرفياً: سلافيا الجنوب) وقرر الملك، خلال هذين العامين ايضاً، اجراء تعديل اداري. حوّل الخمسة وثلاثين مقاطعة ادارية الى تسعة اقاليم. ذات مساحة اكبر، بطبيعة الحال، ولكن دون ان تكون هناك ادنى علاقة بين حدودها والتاريخ. نذكر منها على سبيل المثال، اقليم الدانوب، ساڤ، فاردار. يرأس كل منها حاكم يعينه الملك، ويعين الحاكم بدوره عمدات البلديات.

في الثالث من سبتمبر ١٩٣١، اعلن الملك دستوراً جديداً يُعيد نظام الحكم البرلماني الى البلاد. ولكن القانون الانتخابي في هذا الدستور لا يسمح بالترشيح للمقاطعات الانتخابية سوى للاحزاب الحكومية. مما يؤدي الى تهميش الاحزاب الكرواتية والسلوفانية.

تظهر «صربانية» النظام اليوغوسلافي ـ او سيطرة الصرب عليه ـ بوضوح من خلال الارقام التي نشرت في عام ١٩٣١. من ضمن ١١٦ جنرالاً في الجيش، لم يكن هناك سوى كرواتياً واحداً، ولم يكن هناك اي سلوفاني. من ضمن ١٥٠٨ طالب في الكلية العسكرية ١٤٠ كرواتياً و ٥٠ سلوفانياً. من بين ٣١ موظف في البيت المدني الملكي، ٣٠ صربي. في

وزارة الداخلية ١٢٧ موظف صربي من ضمن ١٣٥. في وزارة العدل ١١٦ من ضمن ١٣٧، وفي وزارة الخارجية، ١٨٠ من ضمن ٢١٩ .

ادت «صربانية» النظام، وادت عملية تحجيم الزعماء الكروات الذين كانوا على استعداد او مضطرين الى البقاء داخل اطار القانون، الى تنامي صفوف المتطرفين. وبدأت ايطاليا وهنغاريا وبلغاريا تطالب بأجزاء من يوغوسلافيا. في كرواتيا، اسس احد المحامين، آنت باڤليش، حزب النهضة (غير شرعي). واعلن انتماءه للفاشية: لم يكن وحيداً في هذا الانتماء. بل في صربيا نفسها، وفي صفوف الزعماء المقربين من الملك، كان هناك الكثيرون الذين لا يخفون اعجابهم بأساليب موسوليني، بل بأساليب هتلر.

ولكن، على عكس هؤلاء، لم يكن باڤليش يخفي تعاونه مع العدو الخارجي. وبسبب ملاحقات زعماء بلغراد، هرب الى ايطاليا. واخذ في تعزيز الجيش الكرواتي عن طريق ضم جماعات ارهابية يوغوسلافية اليه. وقد كُلّف احد عناصر هذه الجماعات، المقدوني فالد، بمهمة اغتيال الملك الكسندر. نفذ المهمة في التاسع من اكتوبر ١٩٣٤، في مدينة مارسيليا الفرنسية، عندما كان الملك يقوم بزيارة رسمية لفرنسا. وذهب ضحية عملية الاغتيال ايضاً وزير العلاقات الخارجية الفرنسية.

كان الارهابيون يعتقدون انه يكفي قتل الملك من اجل الاطاحة بالدولة. ولكن اغتيال الكسندر ادى الى تقريب الجمهور من السلطة، والى التفافه حولها. لم يكن ولي العهد يبلغ من العمر سوى احد عشر عاماً. وصعد عمه بول على العرش بالوصاية.

بعد اختفاء الكسندر، ساد الانطباع بهدوء الساحة السياسية اليوغوسلافية. وفي الرابع والعشرين من آب ١٩٣٩، تم التوصل الى حل لأهم المشاكل المطروحة منذ عام ١٩١٨. حصل الكروات على ما كانوا يطالبون به منذ سقوط الامبراطورية الاسترو - هنغارية: الحق بانشاء برلمانهم الخاص في زاغرب. بالاضافة لذلك، شارك ستة زعماء كروات في حكومة بلغراد التي كانت تضم ايضاً ستة سلوڤانيين وممثلان عن طوائف اخرى. ساد الهدوء، ولكن، كان الوقت متأخراً جداً ليستطيع الجمهور اليوغوسلافي الاستفادة من هذا الحل الوسط التاريخي. بعد

شهر بالضبط، اندلعت الحرب العالمية الثانية التي سيكون من نتائجها تفكيك يوغوسلافيا الاولى.

٣ ـ الحرب العالمية الثانية، واختفاء يوغوسلافيا

فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية، كان الملك الكسندر، كأبيه، يحبذ التحالف مع فرنسا. كان يريد الاعتماد على باريس لانقاذ بلاده من شهية الطليان والهنغار والبلغار المتحالفين مع المانيا. بالاضافة لذلك، عقد تحالفاً متواضعاً مع تشيكوسلوفاكيا، ومع رومانيا، وبالتحديد، من اجل تعزيز التعاون مع فرنسا، قام الملك برحلته المشؤومة الى فرنسا في شهر اكتوبر عام ١٩٣٤.

لم يكن الوصي بول يمتلك نفس الرغبة في العناد. شاعراً بضعف بلاده، حاول تخفيف حدة التوتر، بل ازالته، مع البلاد التي تهددها. كانت هذه السياسة مفيدة فيما يتعلق بالعلاقات الهنغارية اليوغوسلافية. ولكنها ادّت في نهاية المطاف الى اضعاف قدرة المقاومة الديبلوماسية اليوغوسلافية. استسلمت الحكومة في الخامس والعشرين من آذار ١٩٤١، وذلك بتوقيعها ميثاق التعاون مع المانيا. فقدت كل شيء، شرفها وسلطتها. استاء المواطنون، ثار العسكر وخلعوا الوصي بول معلنين ان الملك الصغير بيير بلغ من العمر ما يؤهله لاستلام السلطة. شكل الجنرال سيموفيش حكومة موالية لبريطانيا (كانت بريطانيا في ذلك الوقت الدولة الوحيدة الداخلة في حرب مع المانيا). ثم وقع في الخامس من نيسان معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتي. في اليوم التالي، هاجمت القوات الالمانية وحلفاؤها بلغراد. استسلم الجيش اليوغوسلافي في السابع عشر. وهرب الملك ووزراؤه الى لندن.

فما هو مصير يوغوسلافيا؟ ضم الالمان شمال سلوفانيا. وتخلوا عن الجزء الشمالي منها لايطاليا. ثم جاء الزعيم الكرواتي آنت بافليش يصحبه موكب من السيارات العسكرية الايطالية (كان ملتجئاً الى ايطاليا) ونصب نفسه رئيساً لأول دولة كرواتية مستقلة. بل اضاف الى هذه الدولة البوسنة والهرسك وجزءاً من الاراضي الصربية. ما هو مصير الصرب الذين

كانوا يسكنون فوق اراضيه؟ لم يكن امامهم سوى احد ثلاثة خيارات: إما ان يتحولوا الى كروات، او يعتنقوا الكاثوليكية، او يغادورا. وقد شن الكروات ـ اطلق عليهم لقب اوستاشي ـ مذابح واسعة النطاق ضد الصرب، ذهب ضحيتها ٧٥٠ ألف قتيل حسب تقديرات وكالة المخابرات الاميركية التي نشرتها بعد نهاية الحرب.

واستولت هنغاريا على مقاطعة ڤويڤودين الصربية. واستلمت ايطاليا، ايضاً، الكوسوفو وجزءاً من مقدونيا. واوكلت اليها مهمة حماية المونتغرو. وحصل الحليف البلغاري على الجزء الاكبر من مقدونيا.

وفي خريف عام ١٩٤١، بدأ الزعيم الشيوعي جوزيف بروز تيتو حرب التحرير. حرر بعض الاجزاء، وتراجع عنها. يشعر بالحصار من جميع الجهات. اعداد الضحايا هائلة. ولكنه يحظى اكثر فأكثر بتأييد الرأي العام في صفوف الجماهير اليوغوسلافية. لم يكن يهتم بنصائح الاعتدال السياسي والاستراتيجي التي كان يقدمها له ستالين. والانكليز يزودونه بالاسلحة لأن رجاله يُحاربون. كان واثقاً من نفسه تمام الثقة، لدرجة انه حول هيئة التحرير الوطنية الضد ـ الفاشية التي كان يرأسها الى حكومة مؤقتة. كان ذلك في ليلة ما بين التاسع والعشرين والثلاثين من نوفمبر عام ١٩٤٣ في البوسنة. ما زال هناك امام تيتو الكثير من المعارك العسكرية والسياسية قبل ان يُصبح سيّد البلاد، ولكن في هذه اللحظة نستطيع تحديد موعد ولادة يوغوسلافيا الثانية.

هوامش

(١) المقاطعات الايليريه: اقليم جبلي في البلقان قرب بحر الادرياتيك. خضعت الدولة الايليريه لروما عام ٣٣ قبل الميلاد. وفي عام ١٨٠٩، ساعد نابليون على استقلالها عن النمسا وقيام المملكة الايليريه، وانهارت في عام ١٨١٥ بعد انهيار الامبراطورية الفرنسية. وهي الآن مقسومة بين ايطاليا ويوغوسلافيا والنمسا.

ثانياً : تيتو

في نهاية الحرب، كانت هناك حكومتان يوغوسلافيتان. الاولى، الحكومة الملكية في المنفى في لندن. والثانية، في داخل البلاد يقودها الماريشال تيتو. وكانت هناك مفاوضات من اجل دمج الحكومتين. يتوجب ان لا ننسى طرفاً ثالثاً في هذه المفاوضات، الجنرال ميخايلوفيش الذي ما زال، في بداية عام ١٩٤٥، مستنفراً في الجبال على رأس خمسين ألف محارب صربي. كانت احتمالات الاتفاق تبدو ضئيلة، ان لم نقل معدومة. ورغم ان ستالين نصحه بالقبول ـ ولو لفترة مؤقتة ـ بالنظام الملكي، إلا ان تيتو كان يعارض ذلك معارضة شديدة.

بطبيعة الحال، كان الملك الشاب يرغب العودة الى بلغراد. ولكن الزعيم الشيوعي اشترط ان لا يعود الملك بيير الثاني الى استلام مهامه إلا اذا وافق الشعب على ذلك عن طريق استفتاء شعبي عام. وفي التاسع والعشرين من اكتوبر، اعلن مجلس وطني لم يمض على انتخابه زمناً طويلاً قيام الجمهورية، وتعيين تيتو رئيساً لها.

١ ـ اسلوب فريد نحو الشيوعية

يفتخر رئيس الجمهورية الجديد بكونه بطلاً للشيوعية الخالصة الصارمة. تسير الدول المجاورة، التي يحتلها الجيش الاحمر، او التي جلا عنها، ببطء وبصورة تدريجية على طريق الشيوعية. اما يوغوسلافيا فقد اعتنقت الشيوعية بصورة مفاجئة دون ان تُفرض عليها من الخارج. وكان زعماؤها اول من بدأ (في اوروبا الشرقية) عمليات «التنظيف» : صفّوا جسدياً جميع القادة الذين يشكلون خطراً على النظام الجديد.

وفي سياسته الخارجية ايضاً، ظهر تيتو بطلاً للصرامة والعناد. ساند الشيوعيين اثناء الحرب الاهلية في اليونان. وفي الحادي عشر من آب ١٩٤٦، اصدر اوامره باسقاط طائرة اميركية كانت تحلّق فوق اراضيه. واثناء الاجتماع الاول للكومينفورم (مكتب الارتباط بين

الاحزاب الشيوعية الاوروبية)، انتقد ممثلو شيوعيي فرنسا وايطاليا لأنهم لم يستولوا على الحكم في بلادهم بعد التحرير.

انتشرت شهرته، وذاع صيته في العالم الشيوعي. وبدت القطيعة بينه وبين الاتحاد السوفيتي وشيكة. لا يقبل ستالين ان يصبح تيتو خصماً ومنافساً له، في حين انه كان لا يرى فيه سوى تابعاً يدور في فلكه. لم يكن يطيق رؤية الحليف اليوغوسلافي يمارس، تجاه اليونان، سياسة تمنع الكرملين عن تحريك الخيوط كما يشاء ويرغب. وفي الثامن والعشرين من حزيران عام ١٩٤٨، علم العالم بدهشة وذهول ان الكومنيفورم ـ كان مقره في بلغراد ـ يدين التصرفات اليوغوسلافية (يعني : خروجها عن طاعة موسكو). تغيرت الاحوال السياسية بصورة سريعة. ومن هذه الازمة الحادة، ولدت الحركة «التيتوية» التي لا تنتمي الى تاريخ الايديولوجيات، وانما الى التاريخ فحسب.

بعد ان ذاع خبر الخلاف بين بلغراد وموسكو، بدأ المتخاصمان يعزيان اسباب خلافهما الى النواحي الايديولوجية. ولكن هذا الجدل كان يهدف الى تغطية الحقيقة. اصبح تيتو تيتوياً لأن الخلاف وقع بينه وبين ستالين؛ لم يُدنه الكومينفورم لأنه اخترع ايديولوجية شيوعية تيتوية. اما استمراريته السياسية، وشهرته الاستثنائية فسببها الرئيسي هو قدرته الفائقة على التلاؤم مع الاحوال السائدة والطارئة واستطاعته الاستفادة منها بأفضل شكل ممكن.

وسرعان ما جسّد تيتو ورفاقه عكس ما كانوا. اضطرته الواقعية والمنطقية الى الاعتدال. بدأت مصادر الامدادات في النضوب، واصبحت يوغوسلافيا تواجه خطورة العزلة وخشية العدوان الخارجي. لا تستطيع البلاد الاستمرار في عزلتها، ولا يستطيع النظام البقاء اذا لم يستطع العثور على وسيلة تدمجه بالجماهير. لم يعد النظام ينادي بتطبيق الماركسية ـ اللينينية تطبيقاً حازماً. عزز تيتو مواقعه الخارجية: بدأ يلاطف اعداء خصومه. وعزز مواقعه الداخلية: فرض نفسه زعيماً للاستقلال والسيادة الوطنية.

جاء اعتدال النظام ثمرة للضرورة الملحة. اذ من اجل الاستفادة من معونات الدول الغربية وحمايتها (خصوصاً الاميركيين)، يتوجب منح الشيوعية وجهاً اكثر انسانية.

وجاء الالهام في عام ١٩٥٠، عندما تذكر الزعماء في بلغراد ان اجداد الحركة الشيوعية كانوا يحلمون، هم ايضاً، بنظام الادارة الذاتية. لهذا، وفي مواجهة النموذج السوفيتي الذي يتمثل في الشيوعية البيروقراطية، طرحت بلغراد نموذج الادارة الذاتية، يعني ان يتكلف العمال بمهمة تقرير مصيرهم بأنفسهم (نلاحظ ان تعريف نموذج الادارة الذاتية يتسم بغموض شديد). واخذ ايديولوجيوا بلغراد يبنون نظريات لا يستطيع فهمها إلا العارفين بخفايا الامور، بل، حتى هؤلاء قد لا يستطيعون فهمها. نستطيع السخرية من نموذج الادارة الذاتية الى ما لا نهاية. ولكن باختراعهم هذا النموذج اثبت مفكروا الحركة التيتوية عبقريتهم. ادى مجرد اعلان الفكرة الى اعادة الحيوية والديناميكية للمجتمع: كانت تلك الوسيلة الاكثر سرعة والاكثر فعالية لتخليص النظام العالق في شباك الستالينية.

هل كان يعرف تيتو، نفسه، آثار ونتائج القرار الذي يتخذه او يوافق عليه؟ قد يكون الجواب لا. كان نشاطه السياسي يميل دائماً حيث تميل الرياح، وكانت كذلك ردود فعله. وهذا ما يفسر التغيرات الدائمة والمستمرة التي اتسم بها النظام من بدايته الى نهايته. اقر في الخمسينات نموذج الادارة الذاتية. وكان يقول : بعكس الاتحاد السوفيتي، ستلاثم يوغوسلافيا بين الشيوعية والحرية. ولكنه سريعاً ما شعر بالاشمئزاز والاستياء إزاء الرفاق الذين بدأوا يتقدمون بخطى واسعة على طريق الليبرالية. كان ميلوفان جيلاس (اهم مستشاريه ومقربيه) اول من اعتقل وسجن. واصبح النظام المهدد يبحث عن وسائل للبقاء رغم تناقضاته الداخلية. من جهة، يحاول البحث عن ايديولوجية شيوعية اكثر اغراءاً وجاذبية من تلك التي تعتنقها موسكو. ومن جهة ثانية، تعتمد موسكو على الشيوعيين التقليديين اليوغوسلاف للثورة على النظام. كلف تيتو رانكوفيش (زعيم البوليس) لتصفية المعارضين الستالينيين. وقد فعل. مستخدماً اساليب عنيفة لا يعارضها ستالين نفسه لو انها كانت تهدف الى خدمة مصالحة. يمكن القول ان هذا العنف انقذ النظام في اقسى ساعات الخطر. ولكن «سياسة الصرامة» ـ كما كانت تدعوها بلغراد ـ شوّهت الصورة التي كانت التيتوية تريد منحها لنفسها.

٢ ـ ازدهار وذبول الدولة التيتوية

اندلعت اول ازمة سياسية حقيقية في عام ١٩٦٦. تراكمت الصلاحيات في يد رانكوفيش. وشعر رفاقه بالقلق لأنه كان يعمل على تعطيل اي تطور او اصلاح. سمح عزله بعبور مرحلة جديدة: قررت يوغوسلافيا الانصياع لقوانين السوق الحرة. اعترف الزعماء بأن الشيوعية ستؤدي ليس فقط الى تلف الدولة وانما ايضاً إلى تلف الحزب. اعترفوا بذلك، وسمحوا بسير المظاهرات الشعبية التي تعبّر عن هذا التلف المزدوج. بين عام ١٩٦٥ و ١٩٧١، امتلأت الساحة اليوغوسلافية بالاحداث والمبادرات التي تبلبل الشيوعيين التقليديين وتحيّرهم. حصلت منظمة الرابطة الشيوعية في كل جمهورية من الجمهوريات على استقلالها الذاتي. بدأ القادة الصرب والكروات يتجادلون ويتناوشون بصورة علنية. اخذ المتشائمون يشعرون بخطر الفوضى السياسية، في حين يقول المتفائلون ان ذلك يعبر عن حيوية المجتمع الشيوعي اليوغوسلافي.

ومع ذلك، بدأ الماريشال تيتو يشعر بالقلق. ارهقته الحرّية التي سمح بها واضنته، يصدر الاوامر ولا احد يستمع او يجيب، اصبحت الجمهوريات تتمادى، رغماً عنه، في الحريات التي منحها لها. في عام ١٩٧١، رد بعنف، وعزل الزعماء الكروات الذين ساندوا المطالب الوطنية لهذه الجمهورية. وفي العام التالي، التف حول زعماء الجمهوريات الاخرى، وخصوصاً الصرب الذين يتمادون ـ حسب رأيه ـ في الديمقراطية. كان ذلك يعبر عن ردة فعل زعيم يرى اقتراب نهاية حياته ويتساءل حول استمرارية بنائه السياسي والايديولوجي.

وهي ايضاً ردة فعل رجل عجوز يتذكر ماضيه. في ايام شبابه، لم يخترع تيتو البدعة والهرطقة، وانما وافق عليها بصحو وجلاء. وفي النهاية تصلّب. لا يطيق الزعيم الذي بنى النظام رؤية ذبوله. اعاد العمل بالمركزية الديمقراطية بعد ان تمّ نسيانها في جميع الجمهوريات. وفي نفس الوقت، شن حرباً عنيفة على سلسلة من الانحرافات ـ التكنوقراطية، الليبرالية، النزعات الوطنية.. الخ ـ، واعاد توجيه المديح لنظام الادارة الذاتية. ولكن، كيف السبيل الى التوفيق بين المركزية الديمقراطية لحزب يريد ادارة المجتمع والادارة الذاتية في هذا المجتمع؟ لم

يقدم تيتو ابداً جواباً على هذا السؤال الذي تطرحه، بالضرورة، التيتويّة.

اما الفكرة العبقرية الثانية التي تفتق عنها دماغ النظام فقد تمثلت في عدم الانحياز. وقد ولدت هذه الفكرة، هي ايضاً، نتيجة للاحوال والظروف السياسية السائدة، وليس نتيجة لايديولوجية مدروسة. من نهاية الحرب لغاية عام ١٩٤٨، ورغم الصعوبات التي كانوا يواجهونها مع موسكو، لم يكن الزعماء اليوغوسلاف ينفون انتماءهم للحلف الشيوعي. وبعد ان اداتهم الكومنفورم، اتخذوا منعطفاً حاداً. شعروا فجأة بتضامنهم مع الغرب لمواجهة العدو المشترك. وقعوا اتفاق تعاون مشترك مع اليونان وتركيا. واعلن تيتو موافقته على المشاركة في تشكيل جيش اوروبي، رغم ان هذه الفكرة كانت تواجه الانتقاد حتى في غربي القارة.

كان تيتو، بكل بساطة، يطبق القاعدة التقليدية التي تتطلب بذل جميع الجهود للتحصُّن ضد عدو خطير. ولكن هذا الشيوعي لم يكن يشعر بالارتياح لربط مصيره بمصير القوى الرأسمالية. ثم سمح له موت ستالين بتحقيق حُلمه في الحصول بصورة نهائية على استقلاله الذاتي والابتعاد عن الصراع مع موسكو. وبدأت تنتشر الاحاديث التقليدية حول انقسام العالم الى حلفين : شيوعي ورأسمالي. يكفيه، اذن، الاندماج في العالم الثالث، ذهب الى آسيا، ثم وضع، بالتعاون مع نهرو وجمال عبد الناصر اسس وقواعد مجموعة الشعوب التي تعارض الحلفين، او بعبارة اخرى مجموعة دول عدم الانحياز.

كانت هذه اللعبة تحتوي على بعض المجازفات. كان الاتحاد السوفيتي يراقب باستياء شديد نجاح التيتوية في اراض يطمح الى مد نفوذه اليها. وكان الاميركيون يتساءلون حول جدوى الاستمرار في مد يد المساعدة لدولة تنقل الشيوعية الى دول العالم الثالث. ألم يجازف الماريشال بخطورة الخسارة على الجهتين؟ وهل كان بإمكانه الاعتماد على اصدقائه الجدد رغم الهشاشة التي يتسمون بها؟

وفي هذا المجال ايضاً استطاعت التيتوية التلاؤم مع تناقضاتها الداخلية. نجحت في تشكيل مجموعة من الدول تعارض، بالتعريف، الاحلاف، وتتناحر، في اغلب الاحيان فيما بينها.

هناك سؤال وحيد طرح نفسه عشية موت تيتو في الرابع من ايار عام ١٩٨٠: كم من الوقت سيدوم النظام الذي بناه الفقيد؟ كيف سيستمر، بدونه، العمل بالدستور المعقد (في غاية الصعوبة والتعقيد) الذي تم وضعه في عام ١٩٧٤؟.

استحوذ الشعور بالقلق على اجواء المؤتمر الثاني عشر للرابطة الشيوعية (٢٦ ـ ٢٩ ـ حزيران ١٩٨٢)، الاول بعد موت تيتو. لم يكن هناك احد لحل الخلافات. علت الانتقادات ضد الادارة، وهذا الامر تقليدي واعتيادي؛ ولكن ايضاً ضد القادة المركزيين، وهذا استثنائي وغير طبيعي. رفع هذا المؤتمر شعار الاستمرارية. وبدا عليه انه مؤتمر انتقالي. انتقالي نحو ماذا؟ لم يجب احد على هذا السؤال، بل لم يفكر احد في الاجابة عليه: نحو الـ «ما بعد يوغوسلافيا».

ثالثاً : الشعب اليوغوسلافي : فسيفسائي ومزيج عرقي

في ختام اعمال مؤتمر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٣ (عقد في البوسنة) الذي حوّل فيه تيتو هيئة التحرير الوطنية الضد ـ فاشية الى حكومة مؤقتة ـ كما ذكرنا آنفاً ـ، علم الجميع ان الدولة اليوغوسلافية المستقبلية ستكون شيوعية وفيدرالية. نستطيع ان نناقش، الى ما لانهاية من النقاش، المساوئ الناتجة عن كونها شيوعية. ولكن يتوجب الاعتراف ان الفيدرالية ضرورة يفرضها المنطق وواقع الحال. فلو تم تطبيق سياسة كهذه اعتباراً من عام ١٩١٨، لما غرقت يوغوسلافيا في الاوهام والمآسي في فترة ما بين الحربين العالميتين. بعد المجازر والاحقاد التي تراكمت خلال الحرب العالمية الثانية، كانت الفيدرالية الوسيلة الوحيدة لدفع الصرب والكروات الى تشكيل دولة مشتركة. ولكن الشعب اليوغوسلافي لم يكن يتكون من الصرب والكروات فحسب. قسّمه مؤسسوا النظام الى ثلاثة اصناف: الشعوب، الجنسيات، والاقليات الجنسية. يمتلك الصنف الاول جمهورياته التي تكوّن الفيدرالية. ويتمتع الصنف الثاني بنوع من الاستقلال الذاتي داخل الجمهورية. اما الصنف الثالث فيظهر فقط على جداول الاحصائيات السكانية.

كان عدد الشعوب (او الجمهوريات، لأن كل شعب يقترن بجمهورية)ستة : سلوفانيون، كرواتيون، مسلمون، صرب، مونتغنرويون، ومقدونيون. وعدد الجنسيات اثنتين: الالبان، في مقاطعة الكوسوفو، والهنغار، في مقاطعة فوافودين. وهما مقاطعتان تتمتعان بنوع من الاستقلال الذاتي داخل جمهورية صربيا. اما الاقليات الجنسية فعددها اثنتي عشرة واهمها (بالترتيب حسب الاهمية العددية): الغجر، الاتراك، السلوفاك، الرومان، البلغار، الفالاك، التشيك، الطليان، والاوكرانيين. يضاف الى ذلك هؤلاء الذين يرفضون الافصاح عن جنسيتهم اثناء الاحصائيات السكانية، ويقتصرون على الاعلان بأنهم يوغوسلاف (٥٪ من السكان في احصائية عام ١٩٨١). اظهرت الاحصائية المذكورة بين القوسين السابقين ان جمهورية صربيا، على سبيل المثال، تحتوي ـ وهذا رقم قياسي ـ على ٢٦ شعب وجنسية واقلية جنسية.

يلاحظ القارئ، ان اصل الشعوب الستة سلافي، وليس هذا حال الاقليات. تسمح اللغة باجراء تفريق اولي بين الشعوب اليوغوسلافية. يقسّم بعض الخبراء الديمغرافيين الجمهورية اليوغوسلافية الى ثلاث مناطق لغوية: المنطقة الجبلية، تتكلم اللغة السلوفانية؛ جمهورية صربيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك والمنتنغرو تتكلم اللغة الصربو ـ كرواتية؛ والشرق، يتكلم اللغة البلغارية المقدونية. يتوجب ان لا ننسى خاصية ذات اهمية قصوى، وهي انّ اللغة الصربو ـ كرواتية التي ينطق بها غالبية السكان تتميز بكونها لغة موحدة من ناحية النطق، ولكنها تُكتب بأسلوبين: باستعمال الابجدية السيريليكية(١) في صربيا؛ وباستعمال الابجدية اللاتينية في كرواتيا. وينتج هذا الفرق في الابجدية عن الاختلاف الحضاري الذي هو بدون شك احد اهم اسباب الخلاف والصراع بين الشعبين.

١ ـ ست جمهوريات واقليمان مستقلان ذاتياً

أ ـ سلوفانيا

يقطنها ١٫٩٧ مليون نسمة في عام ١٩٩١، تقع في اقصى شمال يوغوسلافيا، وهي الاكثر تجانساً، من الناحية السكانية، من بين جميع الجمهوريات الفيدرالية. اذ يشكل السلوفن ٩٠٪ من سكانها. ويتكلم هؤلاء السكان اللغة السلافية، الاكثر ابتعاداً عن اللغة الصربو ـ كرواتية. انتظرت سلوفانيا نهاية الحرب العالمية الثانية للحصول، لأول مرة في تاريخها، على نظام حكم خاص بها، وفي عام ١٩٩١ ـ ١٩٩٢ حصلت على استقلالها وسيادتها الوطنية بصورة تامة. قبل عام ١٩١٨، كان جزء من اراضيها ينتمي لإيطاليا، وكان الجزء الاكبر ينتمي للنمسا. وما زالت هناك اقلية سلوفانية في النسما.

ب ـ كرواتيا

يقطنها ٤٫٧ مليون نسمة. واستطاعت لأول مرة منذ ألف عام تشكيل دولة في عام ١٩٤١، دون فخر لأن هذه الدولة قامت بمعونة الفاشية الايطالية وبالتحالف معها. وشكلت كرواتيا آخر المعاقل الكاتوليكية في مواجهة الدولة العثمانية. اذ استوطنت فوق اراضيها

الشعوب الصربية الهاربة من الجنوب نحو الشمال لتلافي خطر الغزاة الاتراك. احتفظ هؤلاء بدينهم وبتقاليدهم. وفي المقابل أوكلت اليهم مهمة الدفاع عن الحدود.

جـ ـ البوسنة والهرسك

سنتطرق اليها بالتفصيل لاحقاً

د ـ صربيا

يقطنها ٩.٨ مليون نسمة. ويعتبر الشعب الصربي الاكثر غلبة من الناحية التاريخية والديمغرافية، وبطبيعية الحال من ناحية التسليح والعتاد. شهد عصر ازدهار في العصور الوسطى. طرده العثمانيون من مهده ـ الكوسوفو ـ وهرب نحوالشمال. وكان من اول الشعوب التي استعادت الاستقلال المفقود. وبسبب الحروب والهجرات الناتجة عنها، استوطنت اقليات صربية في جميع انحاء يوغوسلافيا. وعند ظهور النزعات الوطنية في الثمانينات، شعر الزعماء الصرب بالارتياح لوجود هذه الاقليات خارج حدود جمهوريتهم، لأنهم يستطيعون استخدامها في الاستراتيجية الهادفة لانشاء «صربيا الكبرى» سنرى في فصول قادمة مسؤولية الزعماء الصرب وكيفية استخدامهم لهذه الاقليات.

هـ ـ المونتنغرو

يقطنها ٦١٠ آلاف نسمة. وتفتخر هذه الدولة بكونها الوحيدة، من بين جمهوريات يوغوسلافيا، التي لم تقع تحت السيطرة العثمانية. وهذا ما سمح لها بتشكيل جمهورية فيدرالية رغم ضآلة عدد سكانها. كانت المونتنغرو تتكون من ١٥١٦ إمارة صغيرة على رأس كل منها امير ـ راهب، وكان نظام الوراثة فريد من نوعه، تنتقل المسؤولية فيه من العم الى ابن الاخ. ثم تحول نظام الامارة الى نظام ملكي في عام ١٩١٢. في حقيقة الامر، اعترف امير المونتنغرو بسيادة الاتراك المطلقة، ولكنه كان يتمتع بالاستقلال التام في المناطق الجبلية. يصعب تفنيد اقوال المؤرخين الذين يقولون ان اصل المونتغريين صربي. وهم، كالصرب، مسيحيون ارثوذكس.

و ـ مقدونيا

ميلوني نسمة ـ شهدت مقدونيا في غابر الزمان عصر الكسندر المزدهر، ولكن السلاف كانوا مجهولين في ذلك الوقت في هذا القطر. وقد قسم جغرافيوا العصور الوسطى مقدونيا الى قسمين: في الغرب، مقدونيا العليا القارية؛ وفي الشرق، مقدونيا التي يربطها نهر الفاردار بحوض المتوسط. ويقسمها جغرافيوا اليوم كما يلي: مقدونيا البلغارية، ومقدونيا اليونانية (وهو ميناء يوناني ـ مقدوني ـ في اعماق خليج تيسالونيك)، ومقدونيا الفاردار اليوغوسلافية.

يتكلم المقدونيون لهجات تختلف من مدينة لأخرى، بل من واد لآخر. وقد اخترع الماريشال ـ الرئيس تيتو هذه الجمهورية بهدف تحجيم قوة الصرب في جنوب يوغوسلافيا.

اما الاقليمان المستقلان ذاتياً، والتابعان للجمهورية الصربية فهما:

ـ اقليم ڤويڤودين

يقطنه مليونا نسمة. ويعتبر مصدر الحبوب في يوغوسلافيا (٨٠٪ من انتاج الحبوب في البلاد). وكانت السلطات الهنغارية قد استقبلت في هذه المنطقة الصرب الهاربين من العثمانيين. وكانت توجد فيها ايضاً العديد من المنظمات والمراكز الصربية الثقافية. وقد بقي هذا الاقليم تابعاً لهنغاريا لغاية نهاية الحرب العالمية الاولى. وبعد ان اصبح يوغوسلافيا، منحه تيتو اسماً سلافياً (ڤويڤودين، يعني «زعيم الحرب» باللغة السلافية).

ـ الـ «كوسوڤو»

يقطنه ١,٧ مليون نسمة. كان يشكل هذا الاقليم مهد حضارة الصرب في القرون الوسطى، وكان يمثل لغاية القرن الثامن عشر، مقر كنيستهم البطريقية. ثم اوطن العثمانيون فيه الالبان المسلمين، في حين كان الصرب يهربون نحو الشمال. وكان الالبان يشكلون، في اواخر سنوات يوغوسلافيا، ٨٥٪ من سكان الاقليم، في حين يشكل الصرب اقل من ١٥٪ وهو الاقليم الاقل فقراً والاكثر اضطراباً من بين جميع الجمهوريات والاقاليم اليوغوسلافية.



الجمهوريات و الاقاليم المستقلة ذاتياً

في عهد تيتو

٢ ـ نظرة سكانية شاملة

لكي نستطيع الالمام بأوضح شكل ممكن بصعوبة وتعقيد الحقائق السكانية اليوغوسلافية، سنفضل اتباع اسلوبين : الاول، اسلوب النسب المئوية؛ والثاني، اسلوب الارقام المطلقة. ورغم ان الارقام الواردة في هذا الفصل تعتمد على مصادر تختلف تواريخها، فإن تجميعها يعتبر ضرورياً لاستيعاب الفسيفساء السكانية اليوغوسلافية بصورة شاملة وذات مغزى ومعنى.

جنسية	آلاف	٪	يقطنون في
شعوب			
صرب	٨١٠٤	٦٣.٣	
كروات	٤٤٢٨	١٩.٧	
مسلمون	١٩٩٩	٨.٩	
سلوفانيون	١٧٥٣	٧.٨	
مقدونيون	١٣٣٩	٥.٩	
مونتنغرويون	٥٧٩	٢.٥	
اقليات			
الباتيون	١٧٣٠	٧.٧	كوسوفو، مقدونيا، مونتنغرو، صربيا
هنغاريون	٤٢٦	١.٨	فويفودين، كرواتيا
غجر	١٦٨	٠.٧	صربيا، مقدونيا، كوسوفو، فويفودين
اتراك	١٠٩	٠.٤	مقدونيا، كوسوفو
سلوفاك	٨٠	٠.٣	فويفودين
رومان	٥٤	٠.٢	فويفودين
بلغاريون	٣٦	٠.١	صربيا
فالناك	٣٢	٠.١	صربيا
تشيك	١٩		كرواتيا
ايطاليون	١٥		كرواتيا
اوكرانيون	١٢		فويفودين
روثانيون	٢٣	٠.١	فويفودين
جنسيات غير محددة			
يرفضون الانتماء	٤٦	٠.٢	
يوغوسلاف	١٢١٩	٥.٤	
انتماء اقليمي	٢٥	٠.١	

* مجموع السكان الكلي : ٢٢٤٢٤٠٠٠
* روثانيا : اقليم في شرقي تشيكوسلوفاكيا السابقة، ضمته هنغاريا عام ١٩٣٩، وتخلت عنه للاتحاد السوفيتي (اوكرانيا) عام ١٩٤٥.

جدول ١ : الجنسيات في يوغوسلافيا (احصائيات عام ١٩٨١)

اذا كان جميع المواطنين اليوغوسلاف يمتلكون نفس الحقوق، فإنهم لا يمتلكون جميعاً اراض وطنية. فقط الكروات والمقدونيون والمنتغريون والمسلمون والصرب والسلوفانيون يمتلكون اراض خاصة بهم تدعى جمهورية وتنتمي الى الفيدرالية اليوغوسلافية، لهذا فإن كل عرق من الاعراق المذكورة يكوّن شعباً. اما الاعراق التي لا تمتلك ارضاً فتكون جنسية. هكذا حال العنغاريين والالبان في اقليمي ڤويڤودين وكوسوفو المتمتعان بالاستقلال الذاتي في صربيا.

بالاضافة لهذه العرقيات يوجد فوق الاراضي اليوغوسلافية مواطنون من اصول تركية، سلوفاكية، رومانية، بلغارية ومواطنون يعلنون ان اصلهم يوغوسلافي (انظر جدول ١). اذ اعتباراً من الاحصاء السكاني الرسمي الاخير (١٩٨١)، يُسمح للمواطنين الاعلان بأنهم يوغوسلاف في حالة ما اذا ارادوا التخلي عن جنسيتهم العرقية.

تنتشر الجنسيات المختلفة التي تشكل الفيدرالية اليوغوسلافية وتتبعثر خارج حدود وحداتها الجغرافية (يعني خارج حدود الجمهوريات واقاليم الحكم الذاتي) . هكذا، اذا كان الصرب، على سبيل المثال، الذين يشكلون ٣٦.٣٪ من سكان يوغوسلافيا، يمثلون اغلبية عرقية في جمهوريتهم (٨٥.٤٪) وفي اقليم ڤويڤودين (٥٥.٨٪)، فإنهم يتواجدون ايضاً في البوسنة ـ والهرسك (ثلث السكان)، وفي كرواتيا (١١.٥٪، وهذا ما يمثل اقلية يبلغ عددها نصف مليون نسمة)، ويتواجدون، بشكل اقل، في جميع الجمهوريات الاخرى. اما البوسنة ـ كمثال ثان ـ فتقطنها ثلاثة اجناس عرقية هامة العدد : المسلمين والصرب والكروات (جدول ٢).

يتعايش الموتنغريون والمقدونيون (٦٨.٥٪ و ٦٧٪ من سكان جمهوريتهم على التوالي) مع اقلية البانية اقل عدداً في الموتنغرو، ولكنها هامة جداً في مقدونيا (١٩.٦٪ وهذا ما يساوي ٤٠٠ ألف نسمة). ويشكل هؤلاء الالبان ٧٧.٥٪ من سكان الكوسوفو.

اما السلوفانيون ، فيشكلون الشعب الاكثر تشابهاً وتجانساً من الناحية العرقية (يشكلون ٩٠.٥٪ من سكان جمهوريتهم، ولا يوجد اقليات هامة خارج حدودها).في حين يتوجب على الكروات، الذين يشكلون ٧٥٪ من سكان جمهوريتهم ان يأخذوا بعين الاعتبار

وجود اقليات كرواتية هامة خارج حدودها، خصوصاً في البوسنة والهرسك حيث يتواجد ٨٠٠ ألف كرواتي.

٣ ـ اقليات داخل جيوب داخل حدود الجمهوريات

تعتمد النسب المئوية التي سنذكرها تحت هذا العنوان على تلك المتواجدة في جدول ٢. تؤدي امكانية ان يعلن السكان كونهم «يوغوسلاف» اثناء الاحصائيات الى تعقيد وتصعيب امكانية اعطاء صورة دقيقة للحقائق العرقية. ومع ذلك، ورغم وجود نوع من المطاطية (يعني وجود هامش خطأ) في التقديرات التي لدينا، نستطيع الاعتقاد بأن هذه الارقام تصلح كقاعدة لدراسة الوضع السائد وتعتبر مرجعاً صالحاً لاستيعاب الخليط اليوغوسلافي.

أ ـ جيوب صربية في كرواتيا

اهم ما يستحوذ على اذهان الـ ١١.٥٪ من الصرب في كرواتيا (٥٥٠ ألف نسمة) الذين يتواجد نصفهم في مقاطعات بالجينا، كراجينا، وسلافوني، هو ان لا يصبحوا سكاناً «محشورين» داخل جيوب في كرواتيا المستقبلية. يثبت احتلال الجيش الفيدرالي لهذه الاقاليم، منذ بداية النزاع المسلح في تموز ١٩٩١، ان الاقليات الصربية في كرواتيا وصرب صربيا على استعداد لبذل كل ما يُبذل للحصول على الاستقلال. كانت المطالبات في البداية ثقافية، ثم تحولت الى سياسية، ثم الى مطالبات بالانفصال عن كرواتيا والانضمام الى صربيا، رغم ان هذه الاقاليم لم تنتم في يوم من الايام الى الجمهورية الصربية. تنبع هذه المطالبات ـ في نظر الصرب ـ من الاحقاد والمآسي التي تراكمت بين عام ١٩٤١ و ١٩٤٥ (اثناء الحرب العالمية الثانية) في عهد الدولة الكرواتية المستقلة (مستقلة اسمياً ولكنها كانت معتمدة على النازية الايطالية ومرتبطة بها تماماً) حيث قتل الكروات ٧٥٠ ألف صربي حسب تقديرات وكالة المخابرات الاميركية في نهاية الحرب. ولكن السلطات الكرواتية تعتقد بأنه يتوجب تطبيق القوانين السارية المفعول داخل جمهوريتهم على الجيوب الصربية رغم القوانين المختلفة التي تضعها الهيئات التي تمثل الاقليات المحلية.

الجنسية	آلاف	%	الجنسية	آلاف	%
البوسنة - والهرسك	٤١٢٤		**كرواتيا**	٤٦٠١	
مسلمون	١٦٣٠	٣٩.٥	كروات	٣٤٥٤	٧٥
صرب	١٣٢٠	٣٢	صرب	٥٣١	١١.٥
كروات	٧٥٨	١٨.٣	يوغوسلاف	٣٧٩	٨.٢
يوغوسلاف	٣٢٦	٧.٩	هنغاريون	٢٥	٠.٥
مونتنغريون	١٤	٠.٣	سلوفانيون	٢٥	٠.٥
			مسلمون	٢٣	٠.٤
			تشيك	١٥	٠.٣
			ايطاليون	١١	٠.٢
كوسوفو	١٥٨٤		**مقدونيا**	١٩٠٠	
الباتيون	١٢٢٦	٧٧.٣	مقدونيون	١٢٧٩	٦٧.٣
صرب	٢٠٩	١٣.١	الباتيون	٣٧٧	١٩.٨
مسلمون	٥٨	٣.٧	اتراك	٨٦	٤.٥
غجر	٣٤	٢.١	صرب	٤٤	٢.٣
مونتنغريون	٢٧	١.٧	غجر	٤٣	٢.٣
اتراك	١٢	٠.٧	مسلمون	٣٩	٢
			يوغوسلاف	١٤	٠.٧
المونتنغرو	٥٨٤		**صربيا**	٥٦٩٤	
مونتنغريون	٤٠٠	٦٨	صرب	٤٨٦٥	٨٥.٤
مسلمون	٧٨	١٣.٣	يوغوسلاف	٢٧٢	٤.٧
الباتيون	٣٧	٦.٣	مسلمون	١٥١	٢.٦
يوغوسلاف	٣١	٥.٣	الباتيون	٧٢	١.٢
صرب	١٩	٣.٢	غجر	٥٧	١.٠
			كروات	٣١	٠.٥
			بلغاريون	٣٠	٠.٥
			مقدونيون	٢٩	٠.٥
			فلقاك	٢٥	٠.٤
سلوفانيا	١٨٩١		**فويفودين**	٢٠٣٤	
سلوفانيون	١٧١٢	٩٠.٥	صرب	١١٠٧	٥٤.٤
كروات	٥٥	٢.٩	هنغاريون	٣٨٥	١٨.٩
صرب	٤٢	٢.٢	يوغوسلاف	١٦٧	٨.٢
يوغوسلاف	٢٦	١.٣	كروات	١٠٩	٥.٣
مسلمون	١٣	٠.٧	سلوفاك	٦٩	٣.٣
			رومانيون	٤٧	٢.٣
			مونتنغريون	٤٣	٢.١
			غجر	١٩	٠.٩
			روثانيون	١٩	٠.٩
			مقدونيون	١٨	٠.٨

جدول ٢ : توزيع الجنسيات في الوحدات الفيدرالية (احصائيات ١٩٨١)
ملاحظة : لم نذكر الخانات التي تقل عن عشرة آلاف

ادت هذه المطالبات المتناقضة، والتي رافقها التأكيد على التناقضات والخصوصيات المتمايزة الى شحن مناخ التعايش السلمي واثارة النزاع بين السكان الكروات والاقليات الصربية.

يجدر بنا ان نذكر لمحة موجزة عن اهم ثلاثة جيوب صربية في كرواتيا، فهي مناطق استراتيجية شهدت معارك طاحنة (كما سنرى ذلك في فصل قادم) خلال الحرب الصربية - الكرواتية في النصف الثاني من عام ١٩٩١، ولكن درجات مطالباتها الاستقلالية تختلف:

كراجينا:

تقع في جنوبي - غربي كرواتيا، على الحدود بين البوسنة والهرسك والجمهورية الكرواتية، اثناء الغزوات العثمانية في القرن السادس عشر، هربت اليها الجيوش الصربية واعتصمت بها لتشكل خطوط الدفاع الاولى ضد الامبراطورية العثمانية.

كان الصرب، قبل الحرب، يشكلون ٦٠٪ من سكانها. ويعتبر هؤلاء من اشد المطالبين بالاستقلال عن كرواتيا. يفضلون الارتباط بالجمهورية الصربية، اعلنوا في ديسمبر عام ١٩٩١ «جمهورية صرب كراجينا»، قبل ان يستولي عليها الكروات بالتعاون مع المسلمين ويشردون صربها في النصف الثاني من عام ١٩٩٥ (سنرى ذلك بالتفصيل).

سلافونيا : (يرجى عدم الخلط بينها وبين جمهورية سلوفانيا)

الجزء الشرقي من كرواتيا، كانت سلافونيا، هي ايضاً، تشكل منطقة مرغوبة يهاجر اليها الصرب اثناء الغزو العثماني. وبعد كل من الحربين العالمتين اختلط الصرب القادمون من البوسنة بالسكان الكروات فيها. تقع في فضاء جغرافي تحدّده انهار الدانوب والدراڤ والساڤ، تحتوي سلافونيا على اقلية صربية اهم من تلك المتواجدة في كراجينا، ولكنها تشكل اغلبية سكانية في بعض البلديات. وقد جرت العادة على التفريق بين سلافونيا الشرقية وسلافونيا الغربية (جيب يشكل فيهما الصرب اغلبية)، ذلك لأنه توجد منطقة وسطى يقطنها الكروات بنسبة ٨٠٪ وتقسم سلافونيا الى منطقتين.

بانيجا:

تقع جنوبي زاغرب. تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي ويشكل الصرب ما يقارب ٢٠٪ من سكانها، ولكن هؤلاء يشكلون اغلبية في العديد من البلديات. يُعبّر قادة هذا الجيب عن استعدادهم للتعايش السلمي مع الكروات.

ب ـ البوسنة ـ والهرسك

يقطعها نهر درينا الذي يشكل الحدود التاريخية بين الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الرومانية. تشكل جمهورية البوسنة ـ والهرسك خير نموذج لمناخ جغرافي في مختلط الاجناس والعروق. تتكون الاغلبية السكانية من ٣٩,٢٪ من السلاف المسلمين، الذين اعتنقوا الاسلام في عهد الامبراطورية العثمانية. وقد منحتهم الحكومة الفيدرالية صفة شعب في عام ١٩٧١.

يقطن الصرب ما يقارب ثلث الفضاء الجغرافي لهذه الجمهورية (٣٢,٢٪ من مجموع السكان)، ويتبعثرون في جميع انحاء الجمهورية حيث يشكلون اغلبية في ستة جيوب. وهناك تجمعات صربية كثيفة تشكل «اقاليم الحكم الذاتي الصربية» داخل البوسنة (٢)، كإقليم بوسانسكا. كراجينا، والهرسك الشرقية. ولكن من بين جميع هذه الجيوب، فإن الجيب الصربي الواقع في شمالي غربي ـ البوسنة، كراجينا البوسنية الذي اعلن استقلاله الذاتي في خريف عام ١٩٩١، يعتبر الاكثر مطالبة بالاستقلال، بل يحبذ الانفصال نهائياً عن جمهورية البوسنة والهرسك.

اما الكروات، فيشكلون ١٨,٤٪ من سكان الجمهورية، ويتواجدون بصورة رئيسية في الهرسك الغربية في محاذاة الحدود الكرواتية، حيث يشكلون اغلبية السكان في هذه المنطقة.

جـ ـ اقليم سانجاك

اقليم اداري في عهد الامبراطورية العثمانية، ضمته الامبراطورية الاسترو ـ هنغارية بموجب معاهدة برلين (١٩٧٨)، وكان يلعب، في التاريخ دوراً استراتيجياً هاماً، اذ كان يفصل بين صربيا وصرب المونتنغرو للحيلولة دون توحيد الصرب وانشاء «صربيا الكبرى». أعيد

للامبراطورية العثمانية في عام ١٩٠٨ قبل انهيارها بقليل. هكذا دخل اقليم سانجاك تاريخ يوغوسلافيا.

يتكون هذا الاقليم، الذي يشكل المسلمون غالبية سكانه، من ستة مقاطعات في صربيا وثلاثة في المونتنغرو.

د ـ الاقلية المسلمة والالبانية في المونتنغرو

تعتبر جمهورية المونتنغرو الجمهورية الوحيدة التي توالي الصرب، تاريخياً وتقليداً. بل ما زالت تحتفظ بنظام الحكم اليوغوسلافي الفيدرالي السابق وتكون بالاضافة لصربيا الجمهورية اليوغوسلافية. يشكل السكان الاصليون (المونتغنغريون) ٥ . ٦٨٪ من مجموع السكان. وتضم بالاضافة لذلك ٤ . ١٣٪ من المسلمين، ٥ . ٦٪ من الالبانيين و ٣ . ٣٪ من الصرب. يعارض المسلمون والالبان الانتماء للدولة اليوغوسلافية، ويطالبون باستقلال المونتنغرو.

هـ ـ الالبان في كوسوفو

يقطنه الالبان بنسبة ٥و٧٧٪ من مجموع السكان، تم تكوين اقليم الكوسوفو المتمتع بالاستقلال الذاتي في سبتمبر ١٩٤٥ داخل الجمهورية الصربية. ثم منح دستور يناير ١٩٤٦ استقلالاً ذاتياً وطنياً للسكان ذوي الاصل الالباني المقيمين في جنوب صربيا من اجل حمايتهم من السيطرة الصربية. نتيجة لذلك، تكونت اقلية صربية على حدود الاقليم المستقل (في عام ١٩٨١، ٩ . ١٤٪ من الصرب والمنتنغريين، يشكل الصرب اكثر من ١٠٪).

وبعد ان حصلت على استقلال ذاتي اكثر بموجب دستور ١٩٧٤، اصبحت الكوسوفو، بصورة تدريجية عرضه لهجومات الصرب الانضمامية لتصبح في نهاية المطاف جزءاً من الجمهورية الصربية في سبتمبر ١٩٩٠.

يعتبرها الصرب مهد حضارتهم، وشهدت، عدّة مرات، اعمال قمع عنيفة شنها الصرب ضد الاقلية الالبانية ـ اقلية في صربيا، ولكن في الكوسوفو اغلبية ـ وحروب وصراعات دموية. وقد تدخل الجيش الفيدرالي خمس مرات (١٩٤٥، ١٩٦٨، ١٩٨١، ١٩٨٩، ١٩٩٠)

من اجل اخماد مظاهرات الاقلية الالبانية التي كانت تدين التفرقة العنصرية وقمع السلطات الصربية ضدها.

ادت الخلافات العرقية والسياسية، وادى اثر الماضي المؤلم الى اثارة الاحقاد والحيلولة دون امكانية التعايش السلمي بين الطوائف المختلفة. وتعتمد المطالبات الالبانية على الرغبة في الحصول على حقوقهم، وفي الحصول على مرتبة الجمهورية لاقليمهم. بل يلوحون برغبتهم في الانفصال عن صربياً والارتباط بألبانيا (المنهمكة هي ايضاً في مشاكل داخلية). وتشعر الاقلية الالبانية في مقدونيا (٦ . ١٩٪)، والاقلية الالبانية في المونتنغرو (٥ . ٦٪) بمآسي ألبان الكوسوفو. وتشعر بمآسيهم ايضاً الاقلية الالبانية المتبعثرة في جميع انحاء صربيا (١٠٪ من سكان الجمهورية)، والتي تتواجد غالبيتها في الجنوب، خصوصاً في ثلاث بلديات جنوبية (٤٥ ألف نسمة). تبدي هذه البلديات الثلاثة التي تقع على حدود الكوسوفو والتي يشكل الـ ٤٥ ألف الباني ٨٠٪ من سكانها رغبتها في الحصول على الاستقلال الذاتي والثقافي، بل تريد الانفصال عن صربيا والانضمام للكوسوفو.

و ـ الاقلية الهنغارية في ڤويڤودين

تم تكوين اقليم الڤويفودين المستقل ذاتياً داخل الجمهورية الصربية في سبتمبر عام ١٩٤٥ ـ على غرار الكوسوفو ـ. ويشكل الصرب غالبية سكانه (٨ . ٥٥٪). وقد تم تخفيض درجة الاستقلال الذاتي (التي حصل عليها كاملة بموجب دستور ١٩٧٤) تدريجياً الى ان تمّ ضمّه الى الجمهورية الصربية في شهر سبتمبر ١٩٩٠. وتمارس سلطات بلغراد سياسة التفرقة العنصرية ازاء الاقلية الهنغارية (٧ . ٢١٪). واذا كانت الاغلبية الصربية قد اعربت عن ارتياحها لسيطرة حكومة بلغراد على الاقليم، فإن الاقلية الهنغارية فقدت الكثير من حقوقها السياسية والثقافية.

تطالب الاقلية الهنغارية باستقلال ذاتي اقليمي يضمن الحقوق الجماعية للاقليات. وتوجد ايضاً في هذا الاقليم اقليات اخرى. ولكنها اقل عدداً: كروات ٥٪، سلوفاك، رومان، ... الخ). ولا تطالب هذه الاقليات سوى الاعتراف بحقوقها الثقافية واللغوية.

ز ـ الوضع المقدوني

بعد ان استقل الشعب السلافي المقدوني عن الامبراطورية العثمانية عام ١٩١٢، اصبح محور صراع طاحن بين الصرب والبلغار واليونان، وذلك بعد الحرب البلقانية الثانية، في عام ١٩١٣، التي على اثرها ضمت صربيا مقدونيا. وفي عام ١٩٤٦، رفع الدستور اليوغوسلافي المقدونيين الى مرتبة شعب فوق اراضي الفيدرالية. ورغم ان مقدونيا، على إثر ذلك، استطاعت تشكيل جمهورية مستقلة داخل الفيدرالية اليوغوسلافية، إلا ان الاراضي المقدونية ـ في مجملها ـ تحتوي ايضاً جزء من الاراضي داخل بلغاريا، وآخر داخل اليونان، مما يزيد من حدة الصراعات للسيطرة على هذا الشعب.

هكذا تعتقد بلغاريا، رغم اعترافها رسمياً بمقدونيا، ان الشعب المقدوني المتواجد في يوغوسلافيا من اصل بلغاري. وينقسم الرأي العام البلغاري الى قسمين: الاول، يدعو الى ضم مقدونيا الى بلغاريا؛ والثاني، يدعو ـ كالموقف الرسمي ـ الى الاعتراف بالجمهورية المقدونية. اما اليونان، فقد رفضت زمناً طويلاً الاعتراف بجمهورية تحمل الاسم اليوناني التاريخي: «مقدونيا»، وهي تخشى بالاضافة لذلك مطالبات الجزء المقدوني التابع لها.

يشكل المقدونيون الاغلبية السكانية في جمهوريتهم (٦٧٪)، ويتعايشون مع اغلبية البانية كبيرة (١٩،٦٪) تطالب بحق تقرير المصير. واذا كانت الاغلبية الصربية الضئيلة (٢٣٪) مندمجة تماماً، فإن الاقلية التركية (٥٪) قد تثير اطماع تركيا في حالة ما اذا ظهرت طموحات بلغارية ازاء مقدونيا.

٤ ـ خصومات الاجيال: اللغات والاديان

تركت الدوامات التاريخية اثرها، مع مرور القرون، على المكتسبات الثقافية للشعب اليوغوسلافي.

أ ـ اللغات

لا توجد لغة رسمية واحدة في يوغوسلافيا، وانما ثلاثة: اللغة السلوفانية، اللغة الصربو

كرواتية، واللغة المقدونية. يضاف لذلك، اللغات التي تنطق بها الاقليات الاخرى: الالبانية، البلغارية، الهنغارية، الرومانية، السلوفاكية، والتركية. تقترب اللغة المقدونية من اللغة البلغارية وتكتب بالحروف السيريلكية، في حين تكتب اللغة السلوفونية بالاحرف اللاتينية. اما اللغة الصربو ـ كرواتية فيمارسها ـ بالاضافة للكرواتية (لغة كرواتيا الرسمية) ـ غالبية سكان الفيدرالية اليوغوسلافية، خصوصاً في كرواتيا وصربيا، والبوسنة ـ والهرسك والمونتنغرو، وقد سبق وان اشرنا ان اللغة الصربو ـ كرواتية تنطق بأسلوب وتكتب باسلوبين.

ب ـ الاديان

لم يكن في عهد يوغوسلافيا التيتوية اية احصاءات دينية، ولكننا نستطيع دون الخوف من الوقوع في خطأ كبير استنتاج التوزيع الديني للسكان اعتماداً على ارقام التوزيع العرقي وتوزيع الجنسيات، ببعض التحفظ الذي سنشير اليه. اهم المعتقدات الدينية في يوغوسلافيا هي : الارثوذكسية، الكاثوليكية، والاسلام، وتتوزع هذه المعتقدات تقريباً كما يلي:

ـ يعتنق الارثوذوكسية الصرب، والمونتغريون، والمقدونيون، وكذلك الاقليات الثالثاكية والرومانية والبلغارية والاوكرانية.

ـ ويعتنق الكاثوليكية الكروات، والسلوفانيون، وكذلك الاقليات الهنغارية السلوفاكية والتشيكية والايطالية.

ـ ويعتنق الاسلام «المسلمون» (اقول : «المسلمون» لأن المسلمين معترف بهم كجنسية في يوغوسلافيا تيتو)، والالبان والاتراك.

واذا اعتمدنا على هذا التوزيع الجنسي، نستطيع ، بناءاً على ارقام احصائيات عام ١٩٨١، الوصول الى الجدول الآتي:

الدين	آلاف	٪
ارثوذوكس	١٠١٩٢	٤٥.٤
كاثوليك	٦٩٢١	٣٠.٨
مسلمون	٣٨٣٠	١٧

جدول ٣: تقديرات التوزيع الديني بالارقام المطلقة والنسب المئوية من اعداد السكان

تعتبر الارقام الواردة في هذا الجدول تقريبية، لأنه يتوجب ان نأخذ بعين الاعتبار بعض الملاحظات المتعلقة بأقليات ضئيلة العدد وصعبة التقدير:

- بعض المقدونيين ليسوا ارثوذكس، ولكن مسلمين.
- بعض الالبان ليسوا مسلمين، ولكن كاثوليك.
- بعض الهنغاريين والسلوفاك ليسوا كاثوليك، ولكن بروتستان.

يمكن القول ان محاولة تعداد افراد طائفة دينية اعتماداً على الانتماءات العرقية يدخل في اطار اللامعقول والعبثية في حالة ما اذا كان الامر يتعلق بالايمان والاعتناق بالمعنى الفردي الشخصي. ولكن الامر هنا يتعلق بشيء آخر: بالرابطة بين الفرد وطائفة ثقافية، تتجسد عبر معتقداتها الدينية وعاداتها وتقاليدها، حتى بالنسبة لاعضائها الذين لا يرتبطون سوى قليلاً بهذه المعتقدات وتلك العادات والتقاليد. في يوغوسلافيا، يمثل الاعتناق الديني، مُعرفاً بهذه الصورة، رابطة اقوى من الرابطة اللغوية.

اذ يمكن وجود افراد يتكلمون عدّة لغات (ينطبق القول على يوغوسلافيا او على اي مكان تتعايش فيه عرقيات مختلفة). ويستطيع الفرد ان يغير بصورة تدريجية لغته. ولكن يستحيل الانتماء الى عدّة اديان. ويمكن ان يتخلى فرد عن دينه تدريجياً وتقريباً لا شعورياً، ولكن من النادر جداً ان ينتمي الى دين آخر، واذا حدث فشعورياً ودائماً بصورة ارادية. وغالباً ما تشكل الاختلافات الدينية عائقاً امام الزواج، ونادراً الاختلافات اللغوية.

في بداية الشيوعية، اعتقد الجميع ان سياسة محاربة الاديان وتطوير إلحادية الدولة سيؤدي الى ولادة مجتمع علماني تختفي فيه الاختلافات العرقية والدينية. لم يكن الحال هذا. والتصق الشعور الوطني بالانتماء الديني المتوارث عبر الاجيال والقرون. ثم لاحظنا، بعد موت تيتو وانهيار الشيوعية، عودة الشعور الديني بقوة متساوية لدى معتنقي الاديان الثلاثة .

هوامش

(١) الابجدية السيريليكية : ابجدية تستعمل في العديد من الدول السلافية وخصوصاً في روسيا. (٢) يجدر بنا ان نذكر ان الدستور اليوغوسلافي كان يسمح لأي فضاء جغرافي، حتى ولو كان اقليماً او بلدية او قرية ان يجري استفتاءً شعبياً ليحصل على نوع من الاستقلال الذاتي داخل ايّة جمهورية.

رابعاً : البوسنة ـ والهرسك

تحمل هذه الجمهورية اسماً مزدوجاً لأنها تتكون من اقليمين، البوسنة في الشمال، والهرسك، اصغر منه في الجنوب. وعندما يعبر المسافر براً حدود كرواتيا متوجهاً نحو البوسنة تدهشه المفارقات ويدهشه التناقض من جميع النواحي. القليل من الاماكن في اوروبا يعطي انطباعاً، بهذا الوضوح، بالمرور من عالم لآخر: من العالم الدانوبي، او حوض المتوسطي الى عالم البلقان.

هناك اولاً، وبدون شك، المفارقات الجغرافية. البوسنة بلاد جبلية، شجرية وذات امطار غزيرة. تبلغ ذروة ارتفاع جبالها ٢٠٠٠ متر. وليس عن طريق الصدفة ان استقبلت سرايبفو ألعاب الشتاء الاولمبية في عام ١٩٨٤. تقبع المدن في احواض تحيط بها الجبال من جميع الجهات، وتحفر الانهار ودياناً وتصنع في طريقها بحيرات تتراوح مساحاتها بين صغيرة وكبيرة، تتلوّى الطرق وتتموج بين واد وآخر، تهبط نحو الوادي لتصعد من جديد بين الاشجار الكثيفة الورق والمراعي.

وتعتبر البوسنة، التي تبلغ مساحتها ٥١ ألف كلم مربع، ينبوع ماء. تدير ظهرها ـ اذا جاز القول ـ للمنطقة المتوسطية وتسكب انهارها في السهول الواقعة نحو الشمال. تحتل الموقع الاستراتيجي في الفيدرالية اليوغوسلافية لأنها تقع بين الجمهورتين الرئيسيتين، صربيا وكرواتيا. والبوسنة فقيرة، اقتصادياً؛ صعبة المواصلات براً، تلتف الطرق الرئيسية حولها وتدور.

١ ـ الاسلام

لا تكمن المفارقات الاعظم عند دخول البوسنة في التغييرات الطبيعية والجغرافية، وانما في الشعور الفوري بوجود الاسلام. واحة اسلامية في قلب اوروبا. ذلك لأننا نعبر من منطقة لم

تخضع ابداً للاتراك، الى منطقة امتلكوها لغاية عام ١٨٧٨؛ وبالتالي من جمهورية ينعدم فيها التواجد الاسلامي الى جمهورية يشكل المسلمون فيها ٤٠٪ من مجموع السكان (حسب احصائيات عام ١٩٨١؛ في عام ١٩٩١: ٤٤٪). ومع ذلك، فإن اثر هؤلاء المسلمين اقوى بكثير مما يمكن ان تدعو الى اعتقاده الارقام، ذلك لأنهم كانوا، طوال قرون اربعة، سادة البلاد. صحيح ان عدد المسلمين والمسيحيين متساوٍ ـ تقريباً ـ، ولكن المسيحيين يتجمعون في كنيسة واحدة، ويتوزع المسلمون في العديد من المساجد الصغيرة. لهذا، فإن العديد من المآذن ترتفع في سماء اصغر قرية. العديد من الاماكن والمنشآت تحمل اسم «ڤاكف»، الذي ليس هو إلا الاسم العربي «وقف» الذي يعني ممتلكات المؤسسات الدينية.

ونشاهد البيوت التركية القديمة في جميع انحاء مدن البوسنة. والجدران الخارجية التي تحيط بحدائقها مغطاة بالقرميد الذي نراه في جميع انحاء الامبراطورية العثمانية القديمة، في مقدونيا وبلغاريا والاناضول. وما زالت اواسط المدن تحتفظ بحارات قديمة تتجمع فيها حوانيت الحرفيين الذين يشكلون مجموعات حسب المهنة، كما هو الحال في بلاد المشرق والمغرب العربي. اما بازار سراييفو الكبير فهو مبني على الطريقة المعمارية التركية. وتحمل النوافير، في كل مكان، كتابات بالحروف العربية. قبل اربعين عاماً، كانت النساء المسلمات ترتدي السروال العريض المنتفخ (يذكرني بسروال العصور الوسطى). ومنع تيتو ارتداء الستار الذي يغطي الوجه.

بماذا يمكن تسمية مسلمي البوسنة والهرسك؟ كانوا في ماضي الزمان يعتبرون انفسهم اتراكاً. وبهذا كانوا يُلقبون انفسهم. ومع ذلك، فهم لا يتكلمون اللغة التركية، وانما اللغة الصربو ـ كرواتية؛ وليسوا من اصل تركي، وانما من اصل سلافي اعتنقوا الاسلام بعد الفتوحات. كانوا يعتبرون الامبراطورية العثمانية كبلادهم، وكان انتماءهم الوطني اليها قوياً.

واذا لم يكونوا اتراكاً، فهل يمكن تسميتهم «صرباً» او «كرواتاً»؟ فعلوا ذلك ايضاً في الماضي، ونستطيع العثور على الكثير من الآثار الادبية والشعرية التي يلقبون انفسهم فيها بهذا الاسم او الآخر. استطاع الصرب والكروات، منذ القرن التاسع عشر، فرض هويتهم

بوضوح، يُعرّف كل منهم نفسه حول نوع من التقاليد الثقافية والدينية. وكان المسلمون يجدون صعوبة في العثور على مكان لهم بين هؤلاء وهؤلاء. اعتبرهم نظام الـ «اوستاشي» كنخبة الشعب الكرواتي، واثناء المجازر المتبادلة خلال الحرب العالمية الثانية تحالفوا مع الكروات ضد الصرب. وفي عهد تيتو، عند الاعتراف الرسمي بالجنسيات، اعتبروا في بداية الامر بأنهم ذووا «جنسية غير محددة»، ثم، في عام ١٩٦٨، منحتهم الحكومة الفيدرالية بصورة رسمية جنسية المسلمين بالميم الكبيرة *(Musulman)*. هكذا اصبحت لفظة مسلمين بالميم الكبيرة تدل على الانتماء العرقي، كلفظة «الصرب» و «الكروات» والمونتنغريين، في حين اصبحت لفظة مسلمين بالميم الصغيرة *(musulman)* تدل على الانتماء الديني.

قرأت في احدى الصحف: اثناء المحاكمة الشهيرة في مدينة سراييفو في عام ١٩٨٣ نتيجة الدعوى التي اقامتها الحكومة الفيدرالية ضد مجموعة من المسلمين المتهمين «بالوطنية»، كان احد المتهمين يُدعى عليجا ايزتبيغوفيش (اليوم رئيس الجمهورية البوسنية)، وكان يُحاكم بتهمة كتابة (ليس نشرا!) بلاغ اسلامي. وسألته المرأة ـ المدّعي العام، التي هي ايضاً مسلمة: «عندما تقول في بلاغك انه يوجد مليار مسلم في العالم، فهل احصيتني فيما بينهم؟ فأجابها المتهم بازدراء: «كلا، انت لست مسلمة، ومهما يكن من امر، فلست مسلمة بالميم الكبيرة». وخلال نفس المحاكمة شرح احد المتهمين كيف انه بذل الكثير من الجهود عبثاً ليفسر بلغته الانكليزية الركيكة للزعماء الايرانيين اثناء زيارة له لطهران الفرق بين مسلم بالميم الكبيرة ومسلم بالميم الصغيرة، يؤدي هذا التفريق المقدس الى الوقوع في الحيرة والغموض. واليوم، وبالتحديد من اجل ازالة هذا الغموض، يلقب مسلمو البوسنة انفسهم بـ «البوسنيين»، او شعب البوسنة.

٢ ـ مدن البوسنة

تحمل عاصمة البوسنة، سراييفو البصمات المزدوجة للامبراطوريتين العثمانية والنمساوية اللتين تعاقبتا على حكمها. وليس اسمها سوى اللفظة التركية «سراي»، يعني القصر، مضافاً

اليه نهاية سلافية «يفو». ويذكر وسط المدينة القديمة بالمدن التركية. اما مسجد المدينة الكبير، فهو مشيد على غرار النموذج المعماري لمساجد القسطنطينية، ويعود تاريخ بنائه الى القرن السادس عشر. ويزهو هذا المسجد اليوم بالسجاد الفاخر القادم من بلاد الخليج العربي. وفيما وراء المحلة التركية، وعلى ضفاف نهر ميلجاكا ترتفع المباني العامة والعمارات التجارية الضاربة الى السواد التي بناها النمساويون في بداية القرن الحالي. وحول هذا كله، تنتشر العمارات السكنية الحديثة والشوارع العريضة التي تمّ انشاؤها بمناسبة الالعاب الاولمبية عام ١٩٨٤.

وعلى ضفة نهر ميلجاكا، عند احد اطراف الجسر الرئيسي عليه، يرتفع نصب تذكاري يحمل اسم «غافريلو برانسيب» الذي اغتال الدوق فرنسوا فرديناند في هذا المكان في الثامن والعشرين من حزيران عام ١٩١٤. يشعر البعض بالدهشة بسبب اعتبار هذا الشخص كـ «بطلٍ قوميٍ» رغم ان عملية الاغتيال التي قام بها كانت السبب في نشوب الحرب العالمية الاولى، وفي جميع المآسي التي شهدتها هذه الحرب. يتحدث ايفو اندريش، في روايته «الآنسة»، عن المناخ الذي ساد في المدينة غداة عملية الاغتيال: اضراب التضامن الذي قام به التجار الصرب وسط معارضة جيرانهم الكروات والمسلمين، يصعب الحديث عن البوسنة دون التطرق الى هذا الروائي العظيم (١٨٩٢ ـ ١٩٧٥) : يشرح من خلال اعماله التاريخ والتقاليد.

ويحضر هذا الروائي الى الذاكرة عند الحديث عن مدينتين اخرتين في البوسنة: في الغرب، تراڤنيك، مسقط رأسه. كانت هذه الضيعة الجبلية في سابق العهد عاصمة لاقليم البوسنة، وكانت مقر اقامة «الباشا» الذي يحكمها. يشرح الروائي اندريش في احدى رواياته التي تدور احداثها في عهد الحروب النابليونية حياة قنصلين اوروبيين، احدهما فرنسي والآخر نمساوي، ضائعين في عاصمة هذا الاقليم التركي الضائع في نهاية العالم ـ اذا جاز التعبير ـ وسط خليط من السكان.

وفي الشرق مدينة فيسغراد، و«جسرها على نهر الدرينا»، عنوان لرواية اخرى. بناه وزير من اصل بوسني في القرن السادس عشر، وهدمته قنابل الحرب العالمية الاولى في

عام١٩١٤. شهد هذا الجسر التركي مرور تاريخ البوسنة على مدار اربعة قرون: شهد مرور الحملات العسكرية العثمانية، عذاب الثوار الاسرى، وصول النمساويين، وشهد ايضاً الكثير من قصص الغرام والاحتفالات والمهرجانات والافراح والاعراس.

وهناك مدينة صغيرة اخرى مليئة بالتاريخ، وهي هاجس، تقع في قاع واد اخضر، بالقرب من بحيرة تحيط بها الشلالات من جميع الجهات. يقع السوق خارج المدينة، ويذكر بأسواق الشرق العربي. وفي المدينة القديمة التي تعلوها قلعة تركية، استخدم المارشال تيتو السراديب التي كانت تستخدم في العصور القديمة لدفن الاموات كمقرٍ لقيادته العامة بين عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣، وكعاصمة مؤقتة لحكومة الانصار.

٣ ـ الهرسك

تقع الهرسك جنوبي البوسنة. تنساب مياهها نحو بحر الادرياتيك عن طريق نهر نيريتفا ، الذي يصب في البحر قرب بلوش، ليس بعيداً عن دوبروفنيك. وبالقرب من هذا المكان، تمتلك جمهورية البوسنة والهرسك شباكاً ضيقاً يطل على البحر، ويفصل الاراضي الكرواتية الى قسمين. الهرسك ليس اخضراً كالبوسنة، ونشعر فيه بالاثار الحوض متوسطية. اما عاصمة الهرسك، موستار، فمشهورة بجسرها التركي الجميل (دمرته الحرب) الذي يعبر نهر نيريتفا في قلب المدينة القديمة. لا فرق بين موستار ومدن الشرق الاسلامي، تعلوها المآذن، واحتفظت بمظاهرها الشرقية.

٤ ـ توزيع السكان

تطرقت في مكان اخر من هذا الكتاب الى توزيع السكان في البوسنة ـ والهرسك. ولا ضير من بعض التكرار مقدماً الاعتذار. يوجد، اذن، في هذه الجمهورية ثلاث جماعات عرقية يتكلمون نفس اللغة: المسلمين والصرب والكروات. وبناءاً على احصائيات عام ١٩٨١، يتوزع الـ ٤،١ مليون نسمة الذين يقطنون الجمهورية كما يلي: ٣٩،٥ مسلمين، ٣٢٪ صرب،

١٨,٣٪ كروات. وفي عام ١٩٩١، بلغ عدد سكان الجمهورية ٤,٣ مليون نسمة، يتوزعون كما يلي : ٤٤٪ مسلمين، ٣١٪ صرب، ١٧٪ كروات . وتستمر نسبة المسلمين في التزايد بسبب نسبة الولادة المرتفعة لديهم.

تختلط الاجناس فيما بينها اختلاطاً شبه تام. في البوسنة في حد ذاتها، يتواجد القليل من الكروات، ولكنهم يتواجدون بصورة اكثر في الجنوب والوسط. اما الشعبين الآخرين، فيتجاوران ويختلطان في كل مكان.

يتواجد الصرب في جميع المناطق. ولكنهم يتواجدون بكثافة على الحدود الشمالية والغربية، يعني ليس بمحاذاة الحدود الصربية، وانما على الجهة الاخرى من البوسنة، وبمحاذاة الحدود الكرواتية. ويجاور الشمال الغربي من البوسنة حول مدينة بنجالوكا منطقة الكراجينا الكرواتية التي يقطنها هي ايضاً الصرب.

ويتكاثف تواجد المسلمين في وسط البوسنة، خصوصاً في سراييفو والمناطق المجاورة. ويشكلون اغلبية ايضاً في اقصى الشمال الغربي حول مدينة بيخاش. وبصورة عامة، يتكاثف وجود المسلمين في المدن، والصرب في القرى، لأن المسلمين كانوا في عهد الدولة العثمانية مُلاكاً، وكان الصرب مزارعون. لهذا، ورغم ان الصرب يشكلون ثلث السكان، إلا ان البلديات التي يشكلون فيها اغلبية تغطي اكثر من نصف البلاد.

في الهرسك، يحتوي الغرب المجاور لدلماسيا على اغلبية كرواتية ساحقة؛ ويحتوي الشرق المجاور للمنتنغرو على اغلبية صربية ساحقة. ويتواجد المسلمون في كل مكان. لا شك بأن هذا التوزيع السكاني قديم، لأنه يتبع نوعاً من المنطق الجغرافي.

في البوسنة، يُعتبر التوزيع السكاني ثمرة للهجرات الكثيفة القادمة من الجنوب، والتي حدثت في عهد الامبراطورية العثمانية. وكانت «هيرسك الشرق» اقليم صغير جداً، بالتحديد المصدر الرئيسي لهذه الهجرات. هكذا فإن لهجة «هيرسك الشرق» تسود اليوم في العديد من اقاليم البوسنة وصربيا وكرواتيا، يعني فيما يُقارب ربع يوغوسلافيا: لهذا، استخدمت هذه اللهجة كقاعدة للغة الصربو - كرواتية المكتوبة. وفي بعض الاقاليم الاخرى، يتكلم الصرب

فقط هذه اللهجة، في حين يتكلم المسلمون والكروات لهجة اخرى.

هكذا تشير الدلائل الى ان المسلمين والكروات هم السكان الاصليون الاكثر قدماً في غالبية انحاء البوسنة، وان الصرب قدموا بسبب مآسي الهجرة. يشعر البعض في بعض الاحيان بالدهشة لدى رؤية التفاهم يسود اكثر بين المسلمين والكروات، ونفور هؤلاء الطرفين من الصرب. رأينا ذلك في عهد النظام الاوستاشي، ونرى ذلك، الى حدٍّ ما في الساحة السياسية الحالية.

تسمح هذه اللمحة التاريخية الموجزة بفهم سبب هذا التوزيع الجغرافي للسكان المدهش في الوهلة الاولى، وعلى وجه الخصوص، سبب تزايد الكثافة السكانية الصربية كلما ابتعدنا عن صربيا. في المقابل، لا تصلح كحجة لمساندة هذه النزعة الوطنية او تلك. لا يتناقص حق طائفة سكانية في الاقامة فوق ارض بسبب اقامتها فوقها زمناً اقل. هذا صحيح في البوسنة، وصحيح ايضاً في اي مكان من المعمورة.

الامر الاهم، هو التوزيع الحالي للسكان. وقد رأينا ان هذا التوزيع في جميع انحاء يوغوسلافيا بشكل عام، وفي البوسنة ـ والهرسك بشكل خاص، في غاية الصعوبة والتعقيد والابهام. ذكرتُ ان هذا الشعب او ذاك يشكل اغلبية في هذه المنطقة او تلك، ولكن الامر يتعلق دائماً ـ تقريباً ـ بأغلبيات ضئيلة. في كل مكان، ودون استثناء، تتداخل العرقيات المختلفة وتختلط فيما بينها.

فقدت البوسنة ـ والهرسك، خلال الحرب العالمية الثانية، العدد الاكبر من الضحايا، ليس بسبب الحرب، وانما بسبب المذابح الجماعية. فقدت ١٣٪ من سكانها، وهي نسبة مئوية تعادل ٣٢٨ ألف شخص. هكذا، فإن عدد الضحايا فيها يفوق ما فقدته صربيا وكرواتيا مجتمعتان رغم ان الكثافة السكانية فيهما اعلى. يتوزع عدد الضحايا كما يلي: ١٧٠ ألف صربي، ٧٨ ألف مسلم، و ٦٤ ألف كرواتي. يمكن القول، اذن، ان جمهورية البوسنة ـ والهرسك شهدت القدر الاكبر من المجازر التي قام بها نظام الاوستاشي، وان العمليات الانتقامية الصربية ضد المسلمين والكروات كانت دموية.

القسم الثاني

الازمة الثلاثية الابعاد

أولاً ـ الازمة الاقتصادية

ثانياً ـ ازمة المؤسسات

ثالثاً ـ المسألة الوطنية والجغراسياسة الداخلية

أ ـ المركزية والفيدرالية

١ ـ جذور المشكلة

٢ ـ المملكة اليوغوسلافية ورفض تعدد الجنسية

٣ ـ الشيوعية والفيدرالية

ب ـ موت تيتو وتزايد النزعات الوطنية

١ ـ الوطنية الالبانية وازمة الكوسوفو

٢ ـ الوطنية الصربية واعادة السيطرة على الكوسوفو

القسم الثاني
الازمة الثلاثية الابعاد

عند موت تيتو، الرئيس مدى الحياة، في الرابع من ايار عام ١٩٨٠، لم يكن له خليفة. اذ ينص دستور عام ١٩٧٤ على انشاء نظام رئاسة دوري. تنتخب كل من الجمهوريات الستة والاقليمان المستقلان ذاتياً عضواً يمثلها في «الرئاسة الجماعية» لمدة خمسة اعوام. ثم ينتخب اعضاء الرئاسة الجماعية (ثمانية) من بينهم ولمدّة عام رئيس ونائب رئيس الرئاسة الجماعية، اي رئيس ونائب رئيس الجمهورية اليوغوسلافية. هكذا، يتناوب اعضاء الرئاسة الجماعية بصورة دورية ولمدة عام على رئاسة الجمهورية الفيدرالية. تتخذ قرارات الرئاسة الجماعية على اساس «تقارب وجهات نظر الاعضاء»، واذا لم يحدث تقارب وجهات النظر فبأغلبية خمسة اصوات من ثمانية. ويعتبر الرئيس الفيدرالي، بالاضافة لصلاحيات اخرى قائد القوات المسلحة. اما رئيس اللجنة التنفيذية الفيدرالية (رئيس الوزراء)، فينتخبه البرلمان لمدّة خمسة اعوام. وتنتخب كل جمهورية «ادارتها الجماعية» وحكومتها وبرلمانها، وتمتلك دستورها الخاص.

انشأ تيتو نظام الرئاسة الدورية، بل انشأ دستور عام ١٩٧٤ ليأخذ بعين الاعتبار المميزات والخصوصيات لكلٍّ من الجمهوريات المختلفة. وهو دستور يطمح الى تحقيق التوازن بين العرقيات المختلفة من جهة، وبين الجمهوريات، من جهة ثانية، داخل اطار من الانسجام والتساوي. ولكن، وكما هو الحال في جميع الدول الشيوعية، تحتوي النصوص الدستورية والقضائية على الكثير من الغموض والفجوات. وهذا الامر ليس ذو اهمية ما دام الحزب الشيوعي قوياً ويلعب دور الحكم الذي بفضله لا يمكن ظهور خلافات ومناوشات سياسية. ثم يظهر هذا الخواء الدستوري والقضائي في حالة تلاشي الحَكَم، او في حالة ضعفه، هذا ما لاحظناه في الاتحاد السوفيتي السابق منذ عام ١٩٨٩، التاريخ الذي جرت فيه اول انتخابات

حرّة تقريباً. ينطبق القول على يوغوسلافيا. ويُصاب البعض بالدهشة بسبب استمرارية بقاء نظام الرئاسة الدورية لغاية عام ١٩٩١، وبالتالي، استطاعته العمل لمدة احد عشر عاماً بعد تيتو الذي كان يُمثل الحكم الوحيد، والسلطة المنظمة الوحيدة. ومع ذلك، ومنذ اختفائه ـ تيتو ـ ادى الاستقلال الذاتي المتنامي الذي كانت تتمتع به الجمهوريات، مضافاً اليه آثار الازمة الاقتصادية الى ظهور فجوات وعيوب وتصدعات النظام. ونتيجة لذلك، شهدت يوغوسلافيا خلال سنوات الثمانينات ثلاث ازمات: اقتصادية، دستورية (او مؤسساتية ـ اذا جاز التعبير)، وازمة علاقة بين الجنسيات. وقد صادف ان لحقت الازمة الاقتصادية العالمية بيوغوسلافيا في نفس العام الذي مات فيه تيتو. وفي العام التالي، عصفت اعمال العنف والشغب والمظاهرات في اقليم الكوسوفو عندما طالب السكان الالبان الذي يشكلون الاغلبية فيه بتحويله الى جمهورية يوغوسلافية سابعة، وساهم الردع والقمع الصربيان في تسميم العلاقات بين الصرب والالبان. طال امد هاتين الازمتين، وادى ذلك الى ولادة الثالثة: الازمة المؤسساتية.

انها تركيبة ازمة فريدة من نوعها. وصلت الصعوبات الاقتصادية الى يوغوسلافيا بعد دول اوروبا الشرقية الاخرى، ولكن السلطات كانت اقل قدرة على حلها، او على الاقل على مواجهتها. تواجه المؤسسات الاعتراض والاحتجاج، اولاً وقبل كل شيء من طرف الزعماء السياسيين انفسهم الذين يعصف في صفوفهم الانقسام والتناحر، في حين اننا لم نلاحظ، رغم استياء الجماهير الذي عبرت عنه المظاهرات والاضرابات، انفصاماً بين الدولة والمجتمع، كما حدث في بولونيا مثلاً. اما حدّة التوتر بين الصرب والالبان، فأهم ما نتج عنها هو انها اثبتت ان يوغوسلافيا دولة متعددة الجنسيات، غير متجانسة وهشة. واخيراً، يجدر بنا ان نذكر ان درجة الشعور بهذه المشاكل تختلف بين سلوفانيا، على سبيل المثال، حيث نسبة البطالة ضئيلة، ومقدونيا حيث نسبتها مرتفعة؛ وبين صربيا، حيث الصحافة تعالج مسألة الكوسفو يومياً، وحيث تعتبر صلاحيات الاقاليم من اهم المسائل المطروحة، وكرواتيا، حيث تعتبر هذه القضية بعيدة كل البعد، وحيث تستحوذ مسألة العلاقة بين الجمهوريات والفيدرالية على اقصى اهتمام الزعماء.

أولاً: الازمة الاقتصادية

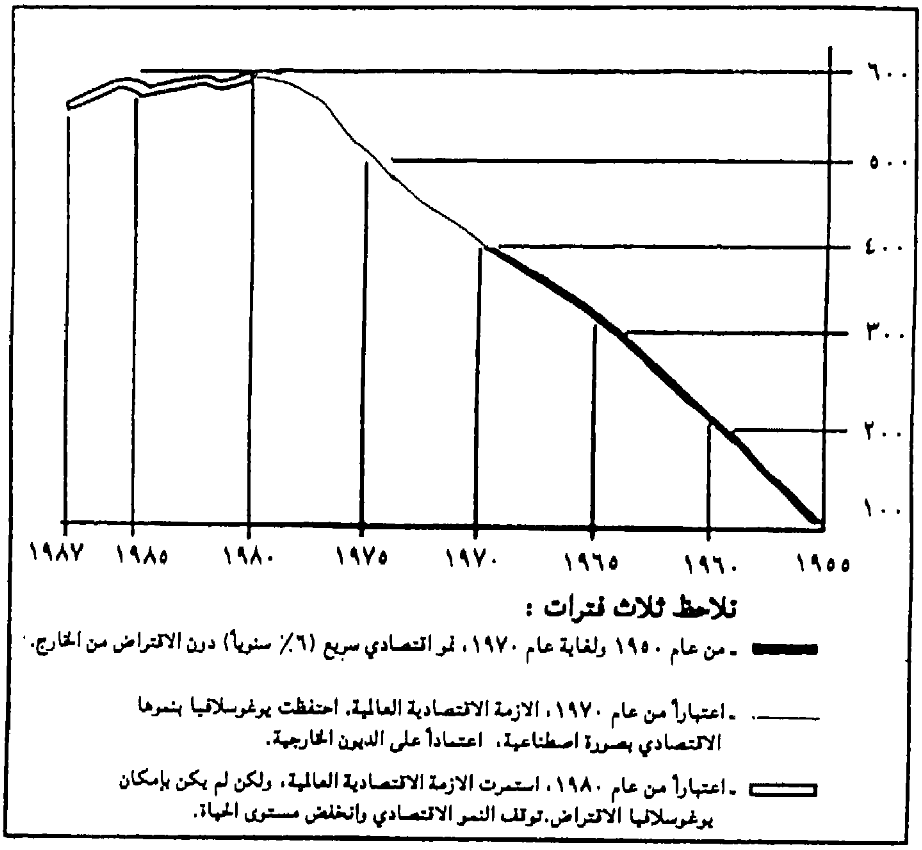
شهدت يوغوسلافيا مرحلة نمو اقتصادي سريع دامت ثلاثين عاماً وجعلت منها دولة «نصف متطورة»، او متوسطة التقدم. ولكن هذا النمو كان يعتمد، كما هو الحال في جميع دول اوروبا الشرقية، على التراكم الذي تمّ تحقيقه في الاقتصاد الوطني. يعني: على النقل الكثيف للايدي العاملة من القطاع الزراعي البدائي القليل الانتاجية نحو قطاع الصناعة والخدمات. وقد ترتب على ذلك حركة تنقلات جغرافية واجتماعية واسعة النطاق، ولكن دون ايجاد وظائف جديدة. هكذا، ازدادت كثافة الهجرات وارتفعت نسبة البطالة. ونتيجة للخلل الذي نتج عنه (الفوق - استثمار، التضخم، عجز المدفوعات الخارجية) استمر النمو الاقتصادي في يوغوسلافيا لفترة اطول منها في الدول الاوروبية الاخرى. ولكنه تعثّر بعد عام ١٩٧٩ بسبب صعوبة خارجية مزدوجة: الديون التي اصبحت تثقل كاهله والصدمة البترولية الثانية. حط الخمول الاقتصادي الرحال بصورة دائمة، ذلك لأن الصعوبات السياسية والاجتماعية التي تواجهها يوغوسلافيا تحول دونها ودون، ليس دراسة ووضع، وانما تطبيق سياسة تقشف اقتصادي واصلاح.

بعد الاصلاح والازمة التي نتجت عن القطيعة مع الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٤٨، شهدت يوغوسلافيا فترة نمو اقتصادي سريع. ارتفعت قيمة الناتج الاجتماعي(١) بمعدل ٦٫٦٪ سنوياً بين ١٩٥٥ و ١٩٧٩، والانتاج الصناعي بمعدل ٩٪ ، والانتاج الزراعي بمعدل ٢٫٧٪ فقط. وكانت سنوات الستينات مصيرية فيما يتعلق بانفتاح الاقتصاد اليوغوسلافي: ارتفعت قيمة الصادرات من ٦٪ من قيمة الناتج الاجتماعي (معدل سنوات الخمسينات) الى ١٤٪ (معدل سنوات ١٩٦٦ - ١٩٧٩)، ولكن البحث عن صناعات تعويضية استيرادية زاد من حدّة العجز في ميزان التجارة الخارجية. وفي نفس الفترة، انتهجت يوغوسلافيا سياسة سياحية طموحة. يضاف لهذا المصدر عائدات العمال المهاجرين. ساهم كل هذا في تخفيف العجز في ميزان المدفوعات الجارية. اما جهود السلطات الهادفة الى جلب المستثمرين الاجانب (يسمح بذلك قانون صدر عام ١٩٦٧) فكانت نتائجها محدودة.

وفي المناخ الاقتصادي العالمي الصعب في سنوات السبعينات، حاولت يوغوسلافيا تخفيض العجز في ميزان تجارتها الخارجية عن طريق زيادة قيمة مواردها الداخلية، وتوفير مقدار استهلاكها من الطاقة، والاستمرار في تطوير مقدار صادراتها. لم تنجح سوى في تحقيق الاول من هذه الاهداف الثلاثة. ولكن يوغوسلافيا تحتاج الى نمو اقتصادي سريع بدونه لا تستطيع تخفيض حدّة المفارقات الاقتصادية بين اجزائها المختلفة، ولا محاربة البطالة. اللهم في النصف الثاني من الستينات حيث انتهجت سياسات تركّز على محاربة البطالة اكثر من تركيزها على زيادة الانتاجية. ولم يكن النمو الاقتصادي منتظماً، لأن فترات النمو السريع ترفع مستويات التضخم والعجز الخارجي الى حد لا يطاق، مما يدفع السلطات الى اتخاذ اجراءات لكبح النمو. وقد تكررت هذه الحلقة (نمو - كبح النمو) ثلاث مرات خلال السبعينات. وهي تؤثر سلبياً على التوظيف اقل من تأثيرها سلبياً على الناتج الاجتماعي وعلى انتاجية العمل. اما فترات الكبح، وان كانت لا تؤدي بالضرورة الى تخفيض التضخم فإنها تتجسد بنوع من التقشف الرواتبي.

	الناتج الداخلي الخام (مليار دولار)	الناتج الداخلي الخام لكل مواطن (دولار)	نسبة النمو الاقتصادي السنوية (٪)	الديون الخارجية (مليار دولار)	نسبة التضخم (٪)
١٩٧٩	٦٨	٣٠٧٠	٥.٨	٣.٧	٢١.٤
١٩٨١	٥٨.٣	٢٥٩١	٢.٢	١٨.٤	٣٩.٥
١٩٨٢	٥٨و٣	٢٥٦٨	٢.٠ -	١٨.٧	٣٤
١٩٨٣	٥٣.٩	٢٠٦٧	١.٣ -	١٩	٥٨
١٩٨٤	٥٨.٥	٢٥٧٠	١.٧	٢٠	٤٧.٧
١٩٨٥	٤٨.٦	٢١٢٠	١.٧	١٩.٦	٨٦.٦
١٩٨٦	٤١.٧	١٨٠٤	٣.٦	١٩.٣	-
١٩٨٧	٥٣.٥	٢٣٠٠	٠.٥	٢٠	١٦٠.٣
١٩٨٨	٥٤.١	٢٣٠٠	٢.٠ -	-	٢٤٠.٥
١٩٨٩	-	-	٠.٨	٢١.٧	٢٦٨٥.٤

جدول ٤ : تطور المؤشرات الاقتصادية في الفيدرالية اليوغوسلافية خلال الثمانينات



تطور الناتج الاجتماعي (مؤشر ١٩٥٥ = ١٠٠)

وكان التضخم في يوغوسلافيا ذو طبيعة تركيبية، يمكن تفسيرها في التمادي في مصاريف الاستثمارات العامة. فالشركات، التي لا تمتلك سوى القليل من رؤوس الاموال الخاصة بها، تتمادى في الاقتراض لتمويل عمليات تطويرها لأنها مقتنعة بأن الهيئات العامة ستهب الى مساعدتها في حالة مواجهتها للصعوبات، وتضطر الى رفع الاسعار لتسديد ديونها. يضاف الى هذا صعوبة تحقيق الانتظام الرواتي، يعني زيادة او تخفيض الرواتب لكي تتلاءم مع درجة التضخم. ويشكل ارتفاع الاسعار عائقاً امام الكفاءة التصديرية، مما اضطر الحكومة الى اجراء تعويمات متعددة للدينار اليوغوسلافي. اما العامل الثاني الذي يعيق النمو فيتمثل في العجز في ميزان المدفوعات الجارية الذي يمثل العجز التجاري اهم مركباته : اذا كان حجم الصادرات قد تقدّم بنسبة ٩٪ سنوياً بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٧٣، فإن هذا المنوال انخفض الى ٥ . ١٪ بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٨. واذا كان حجم التبادل التجاري مع الدول الشيوعية قد بقي تقريباً ثابتاً، فإن العجز في التبادلات بالعملة الصعبة ازداد حدّة، مؤدياً الى خلل لا يطاق في ميزان المدفوعات الخارجية. وصلت قيمة الديون الخارجية الى ما يقارب العشرين مليار دولار، واضطرت الحكومة، اعتباراً من عام ١٩٨٠، الى اتخاذ سياسة استقرار اقتصادي صارمة، قاتلة للنمو.

اصبح مصطلح «الاستقرار» يُمثل اهم مصطلحات السياسة الاقتصادية اليوغوسلافية. يتعلق الامر بتصحيح الخلل التركيبي (او الخللات التركيبية ـ اذا جاز الجمع) الناتج (او الناتجة) عن فترة النمو السابقة، بهدف الوصول الى نمو دائم غير تضخمي. يتطلب ذلك تطويق الاقتراض بهدف تخفيض الاستهلاك الداخلي، بما في ذلك الاستثمار، انتهاج سياسة للحد من الاستيراد، سياسة توفير في الموازنات العامة، واخيراً، مجموعة اصلاحات وتعديلات اقتصادية متناسقة. استطاعت يوغوسلافيا، بين عامي ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤ السيطرة على مسائل فوائد ديونها والحصول على فائض طفيف في ميزان مدفوعاتها الجارية بفضل سياسة تقشف صارمة. ولكن النمو الاقتصادي هبط الى نسبة ٧ . ٠٪ سنوياً ـ في المتوسط ـ بدلاً من الـ ٥ . ٤٪ التي كانت متوقعة في الخطة الخمسية ٨١ ـ ١٩٨٥، انهارت الاستثمارات وانهار

مستوى الحياة، تضاءل وجود السلع في الاسواق وظهر القحط وتطورت سوق سوداء لتبادل العملات بين الشركات. الهمت هذه الصعوبات الحكومة، في عام ٨٥ ـ ١٩٨٦، محاولة دفع عجلة النمو عن طريق اطلاق سراح الاقتراض وتليين مراقبة الاسعار. ولكن النمو، المعتدل، الذي نتج عن هذه المحاولة صوحب بانفجار تضخمي زاد عن ١٠٠٪ سنوياً، مما دعا الى اعتبار هذه المحاولة نصف ـ فاشلة . اضطرت السلطات الفيدرالية الى السير على سياسة تطهير اقتصادي تعتمد على اقفال العديد من الشركات التي تواجه عجزاً دائماً. يعبر ذلك عن نهاية المعالجة الاجتماعية للازمة، التي نتج عنها تزايد اعداد العمال في المجال الاجتماعي، وبالتالي، تناقص انتاجية العمل منذ عام ١٩٨٠.

ويعتبر التوظيف مسألة رئيسية في يوغوسلافيا. واذا كان النمو قد ادى الى تطور اجتماعي منقطع النظير فإن غالبية هذا التطور قد تجسد في انتقال الايدي العاملة من قطاع الزراعة البدائي الخاص الى قطاع الصناعة والخدمات، جميعهم تقريباً موظفون في القطاع الاجتماعي ويرتبطون بنظام «الادارة الذاتية». لم يرتفع عدد الاشخاص العاملين في يوغوسلافيا سوى بنسبة ٧٪ بين احصائيتي عام ١٩٥٣ وعام ١٩٨١. وفي نفس الوقت، ازداد العدد الكلي للسكان بنسبة ٣٢٪، وازداد عدد الايدي العاملة بنسبة ٣٧٪. ادى هذا التفارق الى ظهور طبقتين جديدتين: العاطلين عن العمل، والمهاجرين. بل يمكن اعتبار المهاجرين كعاطلين عن العمل بالنسبة للاقتصاد الوطني رغم انهم يجلبون له العوائد المالية بدلاً من ان يكونوا عبئاً على كاهله. ادت موجات هجرة الايدي العاملة التي بدأت في بداية الستينات، واصبحت كثيفة بين عام ١٩٦٥ ـ ١٩٧٣ الى هجرة ما يقارب مليون ومائة ألف يوغوسلافي، وفي نفس الوقت يوجد في يوغوسلافيا مليون شخص عملوا سابقاً في الخارج. واذا كان المهاجرون لم يعودوا بكثافة الى بلادهم، فإن رفض الدول المستقبلة استقبال مهاجرين اضافيين (١٩٧٤) ادى الى تزايد البطالة، ارتفع عدد العاطلين عن العمل من ثلاثمائة الف الى اكثر بقليل من المليون. يدل التوزيع الجغرافي للعاطلين عن العمل (٥ , ١٪ من الايدي العاملة في سلوفينيا، ٢٩٪ منها في الكوسوفو، ١٩٨٦) على حجم المفارقات الاقتصادية

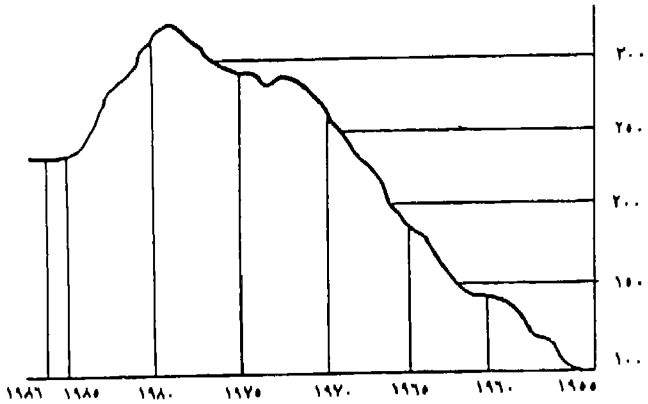
الاقليمية التي لم يستطع النمو ازالتها.

وذلك رغم ان ازالة هذه المفارقات كانت تمثل طموحاً يوغوسلافياً رئيسياً. على اثر نشأتها في عام ١٩١٨، اشتملت يوغوسلافيا على شمال شهد، في عهد الامبراطورية الاسترو ـ هنغارية، بداية تصنيع وجنوب متأخر بعض الشيء بقيت بعض اجزائه تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية لغاية عام ١٩١٢ (مقدونيا، الكوسوفو). وبناءً على مبدأ المساواة بين جمهوريات الفيدرالية، اتخذ النظام الشيوعي الناتج عن الحرب العالمية الثانية سياسة تهدف الى القضاء على هذه المفارقات الاقتصادية بين الشمال والجنوب. وقد تمثلت «سياسة تطوير الجنوب» التي تم تحديدها في عام ١٩٦٥ بإجبار جميع الشركات على تقديم قرض اجباري تحوّل قيمته الجمهوريات الى «الصندوق الفيدرالي للتطوير السريع للجمهوريات غير المتطورة بما فيه الكفاية». ثم تُقدم الاموال للمستفيدين على شكل قروض طويلة الاجل وبنسبة فائدة ضئيلة، بل يمكن القول على شكل هبة، طالما ان التضخم يقلل قيمة الاقساط.

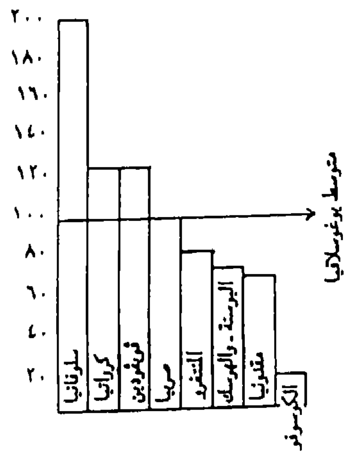
رغم الانتقال الهائل للاموال، الذي شكّل ٣٠٪ من استثمارات البوسنة ـ والهرسك ومقدونيا والمتتنغرو وثلثي استثمارات الكوسوفو، ازدادت حدّة المفارقات التنموية بين الشمال والجنوب. صحيح ان قيمة رأس المال الثابت المتواجد في الجنوب ارتفعت، بين ١٩٥٠ ـ ١٩٨٥، من ٢٢٪ الى ٢٧٪ من مجموع رأس المال الثابت اليوغوسلافي، ولكن قيمة الناتج الاجتماعي بقيت كما هي خلال هذه الفترة، اي ما يقارب الـ ٢٢٪. وبما ان الجنوب اكثر انجاباً، فإن عدد سكانه قفز من ٣١٪ الى ٣٨٪ من مجموع يوغوسلافيا الكلي. لهذا، نلاحظ ازدياد المفارقات الاقتصادية في حالة التعبير عنها بالناتج الاجتماعي لكل مواطن. وتزداد حدّة هذه المفارقات بصورة مدهشة بين الطرفين المتناقضين اقتصادياً، اذ زادت سلوفانيا من حدّة تقدمها على متوسط يوغوسلافيا، وزادت الكوسوفو من حدة تأخرها، بشكل اصبح فيه الناتج الاجتماعي في سلوفانيا يفوق، في عام ١٩٨٦، الناتج الاجتماعي في الكوسوفو بمقدار ٧,٢مرة (٤,٥ مرّة في عام ١٩٥٥). يمكن القول، اذن، ان سياسة المساواة فشلت، رغم التقدم الملحوظ الذي احرزه الجنوب بفضل الاستثمارات. ومع ذلك اكدّت الخطة الخمسية

١٩٨٦ ـ ١٩٩٠ على ضرورة الاستمرار على هذه السياسة رغم انها خفضت الامكانيات اللازمة لذلك. بقيت يوغوسلافيا متسمة بتمايز فضائي قوي بين مناطق متطورة ومناطق غير متطورة نسبياً، وبنمو ديمغرافي اسرع ـ بصورة عامة ـ في الثانية منه في الاولى.

بناءاً على تقرير نشرة البنك الدولي، قفزت نسبة التضخم من ما معدله ٢ . ١٥٪ سنوياً خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٥ ـ ١٩٨٠ الى ما معدله ٩ . ٩٦٪ في الفترة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٩. ادت الازمة الاقتصادية الخانقة المحتومة خلال الثمانينات الى زيادة حدّة المفارقات التنموية بين الجمهوريات. وانطلاقاً من كونها اكثر او اقل تقدماً اقتصادياً، او بالاحرى، انطلاقاً من كونها اكثر او اقل غرقاً في الازمة الاقتصادية، اخذت كل جمهورية تحاول البحث في حلول ازمتها الخاصة عن حجج وذرائع لتطوير نظرياتها ونزعاتها الوطنية. في هذا الاطار، فإن فترة التراجع الاقتصادي الطويلة التي غرقت فيها يوغوسلافيا تمثل سبباً هاماً ـ من بين اسباب اخرى ـ لتفكك الفيدرالية.



تطوّر مؤشر العوائد لكل فرد (مؤشر ١٩٥٥ = ١٠٠)



الناتج الاجتماعي لكل مواطن في عام ١٩٨٤

(مؤشر ١٠٠ = متوسط يوغوسلافيا)

محاولات الحكومة المركزية لإصلاح الاقتصاد

فشلت محاولات الاصلاح الثلاثة التي حاولت الحكومة المركزية تطبيقها في بداية الخمسينات، في عام ١٩٦٦ وفي عام ١٩٨٣، وذلك بسبب التحفظات السياسية حول مسألة الانتقال نحو اقتصاد السوق الحرة (كانت الرابطة الشيوعية، الحزب الحاكم، ترغب في بعض التحوّل الى اقتصاد السوق الحرة، ولكنها كانت تعلن في نفس الوقت تمسكها ووفاءها للمبادئ الشيوعية الاساسية).

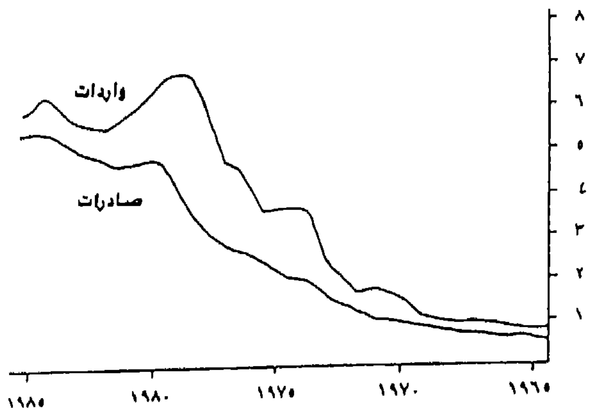
وفي عام ١٩٨٩، بدأت الحكومة المركزية بزعامة رئيس الوزراء، آنت ماركوفيش، العمل في مشروع اصلاح اقتصادي يعتمد، بصورة اساسية، على التحول نحو اقتصاد السوق الحرة. في بداية الأمر، ادّت اجراءات الاصلاح الى بعض النتائج الايجابية: انخفضت نسبة التضخم من ٩ , ١٢٣٩٪ في عام ١٩٨٩ الى ٥ , ٦٨٧٪ في عام ١٩٩٠، واستطاعت يوغوسلافيا الاستمرار في تخفيض ديونها الخارجية بمقدار مليار دولار سنوياً (بدأ منوال الانخفاض هذا في عام ١٩٨٧).

ومع ذلك، استمر الاقتصاد اليوغوسلافي في الانهيار. بناءاً على الارقام الرسمية انخفضت قيمة الانتاج الصناعي بمقدار ٢ , ١٨٪ في عام ١٩٩٠، وهو الانخفاض الاكثر حدّة منذ عام ١٩٥١. وتذكر الارقام الرسمية افلاس ما يقارب ربع الـ ٢٨ ألف شركة المتواجدة في البلاد في نهاية يناير من عام ١٩٩١. واعلنت الحكومة ان ١٦٦٢ شركة كبرى توشك على الافلاس، نصفها في صربيا. لم يعد بإمكان الشركات العامة شراء المواد الاولية، وبدأ الانتاج يتوقف تدريجياً.

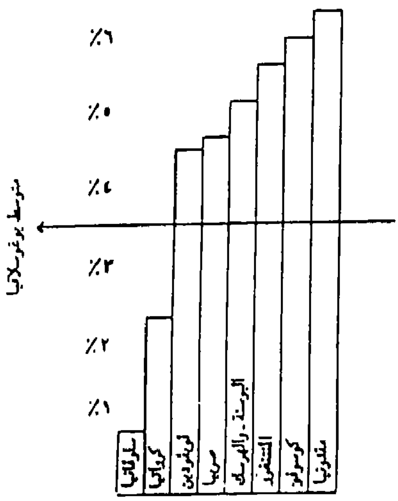
كان مشروع آنت ماركوفيش يعتمد على منظور يوغوسلافيا الموحدة الديمقراطية. وبما انها لم تجد فيه صدى لنزعاتها الوطنية، رفضت كل من صربيا وسلوفانيا وكرواتيا برنامج الاصلاح.

وبما انها لم تعد تمتلك الوسائل السياسية الضرورية لممارسة نشاطها في جميع انحاء

البلاد، لم تستطع المؤسسات الفيدرالية (ولم يستطع آنت ماركوفيش) الاستمرار في المرحلة الثانية من برنامج الاصلاح الاقتصادي في عام ١٩٩١. ثم ادى الخواء الناتج عن الحروب الانفصالية في سلوفانيا وكرواتيا الى انهيار النشاط الاقتصادي بنسبة ٣٥٪، الى ارتفاع شهري في نسبة التضخم بمقدار ٢٠٪ في الربع الرابع من عام ١٩٩١، والى انخفاض بمقدار ١١٪ في الصادرات وانخفاض بمقدار ١٦٪ في الواردات في نهاية عام ١٩٩١.



تطور ميزان التجارة الخارجية بمليارات الدولارات



العاطلين عن العمل في عام ١٩٨٧
نسبة مئوية من مجموع السكان

ثانياً: أزمة المؤسسات

في ايام الثمانينات العصيبة، اظهر المجتمع اليوغوسلافي، الاستياء وليس التمزق. وقد اخذت الاحتجاجات اشكالاً مختلفة، في سلوفانيا، مثلاً، ضد مظاهر النظام التقليدية سواءاً تمثلت في الاحتفالات والمهرجانات كالاحتفال بذكرى ميلاد تيتو، او في عمليات القمع والمحاكمات السياسية. ثم اخذت الصحافة، واخذ الكتّاب حريات جديدة. وبدأ الزعماء السياسيون يفقدون فعّاليتهم وهيبتهم، سواء كان ذلك بسبب الاجراءات عديمة المهارة، بل الحمقاء، كمطالبة العمال بتعويض زيادة الاجور التي حصلوا عليها لأنها اكثر مما يلزم - نتج عن ذلك موجة اضرابات في ربيع ١٩٨٧ -، او بسبب الفضائح السياسية المالية، ولكن، ألا يحق لنا ان نتساءل: في دولة فيدرالية، حيث نظام الادارة الذاتية في غاية الابهام والتعقيد، من الذي يمارس الحكم، واين توجد السلطة الحقيقية؟

بصورة عامة، يمكن القول ان السلطات كانت موزعة داخل المجتمع اليوغوسلافي منذ بداية الخمسينات، وذلك بثلاثة اساليب: منح جزء واسع من صلاحيات الدولة الاقتصادية لعمّال النظم الجماعية ضمن اطار نظام «الادارة الذاتية»؛ لا مركزية الادارة السياسية ونقلها من المستوى الفيدرالي الى مستوى الجمهوريات؛ ابتعاد الحزب الشيوعي عن الممارسة المباشرة للسلطة (اقل في الافعال منه في النوايا). ينتج عن ذلك نظام يُدعى «نظام الادارة الذاتية» ويتسم بالتعقيد لأنه كان يحتوي في نهاية الثمانينات على ٨٠ ألف مؤسسة تمتلك كل منها صلاحيات مختلفة، خصوصاً في مجال التخطيط.

رغم ان «الادارة الذاتية» كانت تمثل شعار النظام السياسي وكانت تجسد الشمولية والتمام، يعني كانت تهدف الى تنظيم الانتاج والادارة الاجتماعية بصورة تامة، إلا انها كانت غير مكتملة ومهددة بالانحراف، وبالتالي غير صالحة للعمل بها. هكذا كانت التدخلات على المستوى البلدي او الجمهوري او الفيدرالي تشكل عائقاً امام ممارسة الادارة الذاتية داخل

الشركات (انحراف بيوقراطي)، وهكذا كانت الكوادر العليا داخل جمعيات العمل تغتصب سلطات الادارة الذاتية من العمال (انحراف تكنوقراطي). وقد اعترف بعض الزعماء ان الرابطة التي يبنيها النظام الانتخابي، المدعوة بـ «نظام التفويض»، بين العمال والمؤسسات الجمهورية او الفيدرالية بقيت شكلية. ولكن هؤلاء الزعماء كانوا يؤكدون ان هذه المساوئ ليست سوى مؤقتة، في حين كان المثقفون يدينونها ويعتبرونها تمثل «ادارة ذاتية» مُدارة من الاعلى : لم تنفصل يوغوسلافيا بصورة تامة عن النموذج السوفييتي الذي يجسد سيطرة الحزب والدولة على السلطة. لم يتم تطبيق افكار المؤتمر السادس (١٩٥٢) المتعلقة بتغيير دور الحزب. فالحزب والدولة يقرران توسيع او تقليص صلاحيات الادارة الذاتية. لهذا، لا يمكن ان تصلح تلك كمبدأ للتنظيم الذاتي الاجتماعي، وبقيت محصورة داخل طبقة اقتصادية ضيقة. وبالتالي كان نظامها يتسم بالخمول، ويقع تحت سيطرة الدولة.

ولكن بعد تعزيز سلطات الجمهوريات واقاليم الحكم الذاتي بموجب دستور عام ١٩٦٣، ثم بموجب دستور عام ١٩٧٤، تحولت الدولة ـ تقريباً ـ الى دولات، وتحولت الفيدرالية الى شبه كونفدرالية ذات سلطة مركزية ضعيفة. وقد تم تحديد اسس الاستقلال الذاتي للجمهوريات في دستور عام ١٩٧٤ الذي يُعرِّف البند الثالث فيه الجمهوريات كدول ذات سيادة. ولكن، لا يمكن ان تكون هذه السيادة فعلية إلا اذا امتلكت كل جمهورية، بحرية، شركاتها الخاصة وعوائد يتم تحقيقها فوق اراضيها. وبالتالي، لا يمكن اتخاذ اي قرار هام على المستوى الفيدرالي إلا بعد اتفاق عام، وهذا ما يمنح كل جمهورية حق النقض «الفيتو»، وايضاً لاقاليم الحكم الذاتي التي اصبحت صلاحياتها لا تختلف عن صلاحيات الجمهوريات إلا قليلاً. نتج عن اسلوب تطبيق هذا المبدأ ثلاثة آثار اقتصادية مشؤومة، اذا اردنا الاقتصار على المجال الاقتصادي. تتعلق هذه الآثار بعملية اتخاذ القرارات على المستوى الفيدرالي، بتركيبة الجهاز الانتاجي، وبمساعدة المناطق الجنوبية الاقل تطوراً.

تباطأت عملية اتخاذ القرارات على المستوى الفيدرالي بسبب توسيع مبدأ الاجماع. يتم اقرار ملفات السياسة الاقتصادية المتعلقة بمحاربة الازمة ببطء شديد، وتتمثل غالباً في

حل وسط جهيد بين المصالح المتناقضة. يجدر بنا ان نذكر ان السلطات الفيدرالية استطاعت، في نوفمبر ١٩٨٧، الغاء مبدأ الاجماع من اجل اقرار خطة الاستقرار التي عرضتها حكومة ميكوليش، وذلك رغم معارضة كرواتيا وسلوفانيا. ولكن، استمرت الجمهوريات، في اغلب الاحيان، في تطبيق القرارات الفيدرالية حسب مشيئتها وهواها.

اما فيما يتعلق بتركيبة الجهاز الانتاجي، فقد تفككت الى ما لا نهاية من التفكيك. اتخذت الجمهوريات واقاليم الحكم الذاتي جميع اشكال الانتاج الممكنة، وليس عن طريق الصدفة ان تم تشكيل التجمعات الصناعية داخل الاطار الجمهوري او الاقليمي. لا تمتلك المجموعات الصناعية التي يتم انشاؤها بهذه الصورة ادنى كفاءة على المستوى العالمي، واستخدمت، في بعض الاحيان، تكنولوجيا تختلف فيما بينها، ولم تستثمر إلا قليلاً خارج حدود الجمهورية. لا يمكن ان يساعد حال كهذا على تيسير المنافسة في السوق الداخلية، لأن هذه السوق، نفسها، تجزأت الى اسواق اقليمية. ادى غياب الانتاج على المستوى الفيدرالي الى ارتفاع تكاليفه. وينتج عن عدم التجمع قدرات انتاجية غير كافية على المستوى العالمي، او زائدة عن اللازم داخل الاطار الجمهوري، وينتج عنه ايضاً سهولة الوقوع في الاخطاء الاقتصادية، التي كان بعضها في يوغوسلافيا فاحشاً.

واخيراً، يؤدي ضعف حركة رأس المال بين الجمهوريات الى تصعيب عملية تطوير الجنوب، بسبب ضآلة الاستثمار فيه.

تتركز الانتقادات الموجهة للمؤسسات، من جهة حول قصور السلطة الفيدرالية، ومن جهة ثانية حول توسيع الصلاحيات على المستوى الجمهوري او الاقليمي، بل على المستوى البلدي، اي على مستوى البلديات. ينسب الى هذا النوع من اللامركزية عدم كفاية الشمولية الاقتصادية اليوغوسلافية، وتعطيل ممارسة «الادارة الذاتية». زاد تمركز السلطات على المستوى الجمهوري من حدّة ميل الرأي العام اليوغوسلافي الى التقاطبات الوطنية، وادى الى فقدان الثقة في مبدأ «الادارة الذاتية». بدأت السلطات الفيدرالية، في عام ١٩٨٧، في تطبيق مشروع تعديل دستوري يهدف الى اعادة تعريف العلاقات بين الجمهوريات والفيدرالية

لكي تستطيع الاخيرة تنفيذ سياسة فعّالة للخروج من الازمة. ولكن المسألة كانت اكثر صعوبة في صربيا، يتعلق الامر بإعادة النظر في العلاقات بين هذه الجمهورية والاقليمين المستقلين ذاتياً التابعين لها. يُعرّف الدستور هذين الاقليمين كجزئين من صربيا، وفي نفس الوقت كعضوين فيدراليين، لهما ممثلين في الرئاسة الجماعية وفي الجمعية الفيدرالية (او البرلمان الفيدرالي). كانت صربيا تظهر، اذن، اثناء المناقشات على المستوى الفيدرالي، في بعض الاحيان اقوى من الجمهوريات الاخرى، وفي احيان اخرى منقسمة على نفسها. بل ان صربيا نفسها كانت تشكل فيدرالية داخل الفيدرالية، اذ كان يجلس ممثلوا الاقليمين المستقلين ذاتياً في برلمان بلغراد، ويمتلكون جزءاً من الصلاحيات على صربيا نفسها، في حين ان العكس ليس صحيحاً، فالشؤون الداخلية للاقليمين تبقى داخل اطار صلاحيات الهيئات المنتخبة محلياً. وبدأ المسؤولون المحليون يتهمون جزءاً من الزعماء الصرب بمحاولة قضم استقلالهم الذاتي من اجل ان يحكموا سيطرتهم المباشرة على اقليم الكوسفو. وقد شكلت الازمة المستمرة في هذا الاقليم منبعاً لخلافات سياسية دائمة. (استمر الوضع على هذه الصورة الى ان سيطرت صربيا على كوسوفو والفويفودين في سبتمبر ١٩٩٠).

يمكن ايجاز الوضع المذكور آنفاً كما يلي: لا تتلاءم السياسات الاقتصادية في الجمهوريات المختلفة (خصوصاً في كرواتيا وسلوفانيا وصربيا)، منطقياً، مع مشاريع الاصلاح التقشفية التي كانت تدعو اليها الحكومة الفيدرالية. وفي الوقت الذي كان يحاول فيه آنت ماركوفيش، رئيس الوزراء الفيدرالي، تطبيق سياسته على المستوى الوطني، كان دائماً وباستمرار يصطدم باستراتيجية «الانطواء على النفس والعزلة» التي اتخذتها الجمهوريات المختلفة. رغم اصرار ماركوفيش، بدأت حكومته تفقد شيئاً فشيئاً سلطاتها على الجمهوريات، التي اصبحت في نهاية المطاف ترفض رفضاً كلياً ودون نقاش مشاريع الاصلاح. ثم اخذت هذه الخلافات احجاماً هائلة لأنه لم يعد بإمكان «الادارة الجماعية» - او الرئاسة الجماعية - ممارسة دورها التحكيمي، اذ فقدت هذه الرئاسة قيمتها وفعاليتها في نظر الكروات والسلوفانيين.

ذلك لأنه، منذ سبتمبر ١٩٩٠، احكمت صربيا سلطتها على الادارة السياسية لإقليمي

الحكم الذاتي، الكوسوفو وفويفودين، وبالتالي اصبحت تمتلك تلقائياً ثلاثة اصوات، من ضمن ثمانية في مجلس الرئاسة الجماعية. وازدادت حدّة الاستياء في كرواتيا وسلوفانيا بسبب نفوذ الصرب على الادارة السياسية في جمهورية المنتنغرو - وهي جمهورية موالية لصربيا تقليدياً. متهمة بامتلاك اربعة اصوات في مجلس الرئاسة الجماعية، تمتلك صربيا، وبالنتيجة، حق النقض «الفيتو» لتعطيل جميع المشاريع التي لا تخدم مصالحها. وبالتالي اصبحت قرارات الهيئة الادارية الفيدرالية غير ذات فعالية، واصبحت توجه اليها الجمهوريات النقد اللاذع.

ولم تكن احوال الرابطة الشيوعية اليوغوسلافية (التي تتكون من ممثلين عن الجمهوريات واقاليم الحكم الذاتي) افضل. تكاثرت فيما بينها وتفاقمت الخلافات حول المظاهر الديمقراطية للمؤسسات الفيدرالية. وادت هذه الخلافات الى مقاطعة وفود كرواتيا وسلوفانيا للرابطة. وبما ان اسلوب عملها يعتمد على الاتفاق الجماعي حول القرارات المتعلقة بالفيدرالية، فإن انفصال كرواتيا وسلوفانيا يضع حداً لايديولوجية الرابطة الشيوعية ولدورها كضمان هام للوحدة الوطنية. ثم مثّل الاعلان، في السادس والعشرين من ايار ١٩٩٠، عن نهاية سيطرة الرابطة الشيوعية الفيدرالية اعترافاً، غير مباشر، باستقلال وسيادة كل رابطة فوق اراضيها.

تلفت آلية عمل المؤسسات الفيدرالية، وتعطلت مهمتها في التنسيق واتخاذ القرارات على المستوى الوطني. وازدادت، في نفس الوقت، سلطات وصلاحيات زعماء الجمهوريات المختلفة، واصبحت قراراتهم تفوق - في المرتبة - قرارات الهيئات والمؤسسات الفيدرالية.

ثالثاً: المسألة الوطنية والجغراسياسة الداخلية

تميزت العلاقات بين الجماعات الوطنية في يوغوسلافيا، دائماً وباستمرار، بأهمية خاصة، وشهدت هذه البلاد في هذا المجال التجارب السياسية الاكثر تناقضاً. ثم اخذت هذه العلاقات احجاماً جديدة، وازدادت حدّة وتوتراً في سياق التحويلات (٢) التي، في الثمانينات، وضعت حداً، في يوغوسلافيا وفي مجمل دول اوروبا الشرقية لعدّة عقود من الحكم الشيوعي.

تميزت يوغوسلافيا، من الناحية التي تستحوذ على اهتمامنا، بخاصتين هامتين جعلتاها تختلف عن باقي جاراتها من دول اوروبا الشرقية، وتشابه، الى حد ما، الاتحاد السوفيتي المنحل. فقد كانت ـ اولاً ـ دولة ذات خليط سكاني فيما يتعلق بالجنسيات والاديان؛ وكانت ـ ثانياً ـ دولة فيدرالية جرت التحويلات السياسية فيها جزءاً فجزءاً، واستمرت داخل مناخ ازمة اقتصادية في الوقت الذي تتفاقم فيه، منذ عام ١٩٨١، حدّة الصراع الالباني ـ الصربي في مقاطعة الكوسوفو.

أ ـ المركزية والفيدرالية

١ ـ جذور المشكلة:

ولدت يوغوسلافيا في نهاية عام ١٩١٨ نتيجة لاتفاق عام بين شعوب سلاف الجنوب، ونتيجة لرغبة الفائزين في الحرب العالمية الاولى في انشاء دولة متوسطة القوة في غربي البلقان. ثلاثية الجنسيات، كما يدل على ذلك اسمها الاصلي: مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين، كانت يوغوسلافيا تمتلك عامل توحيد يتمثل في اللغة السائدة : اللغة الصربو ـ كرواتية (لغة ما يقارب ٧٠٪ من السكان في ذلك الوقت)، وايضاً العديد من عوامل الاختلاف التي يمكن ان تؤدي الى ولادة خلافات داخلية، او الى زيادة حدّة خلافات موجودة اصلاً، وذلك انطلاقاً من اختلاف المصالح المادية واختلاف الايديولوجيات المتمادى في رفع قيمتها المعنوية.

هكذا، نلاحظ قساوة الانقسام الثلاثي الديني بين ارثوذوكس وكاثوليك ومسلمين، وفرق شاسع في النمو والتطور الاقتصادي بين الجنوب، الذي انتمى زمناً طويلاً للامبراطورية العثمانية، والشمال. بالاضافة لذلك، وبما ان الحدود قد رُسمت «بالمسطرة على الخريطة» ـ كما تقول العامة ـ، فإن اقليات عرقية كبيرة العدد ضُمت الى دول جديدة دون ان تكون بالضرورة راغبة في الانضمام اليها. نذكر، على سبيل المثال، الاقلية الالبانية في كوسوفو وفي مقدونيا، والهنغاريين والالمان في ڤويڤودين : ثلاث مجموعات يبلغ عدد كل منها نصف مليون شخص مما مجموعة ١٢٫٥ مليون نسمة حسب احصائية عام ١٩٢١. نستطيع ملاحظة ان التشكيلات الجغرافية المقترنة بالعرق والجنسية، بالانتماء الديني، وبالتطور الاقتصادي غير المتساوي مُعقدة ومختلفة فيما بينها. وتتقاطع هذه التشكيلات فيما بينها في اغلب الاحيان، وهذا ما يفسر الاختلافات الفضائية ـ الاجتماعية للبلاد. تعكس الحياة السياسية في العشرينات، بصورة لا جدل حولها، هذه الاختلافات، فغالبية الاحزاب السياسية التي تشكلت في ذلك الوقت تقترن بالجذور العرقية، الدينية، او الاقليمية.

لا شك بأن استمرارية وجود وعمل مزيج كهذا تتطلب على الاقل حل مشكلتين داخليتين. تتعلق المشكلة الاولى بتقاسم السلطات السياسية بين الجماعات الوطنية الرئيسية، بتوازن الصلاحيات والسلطات بين جهاز الدولة المركزي واجهزة الحكم الاقليمية، وبتعريف وتحديد اشكال الاستقلال الذاتي الثقافي. وتتعلق المشكلة الثانية بالاقليات التي يتوجب منحها شروط واحوال وضمانات اندماج تكفي لكبح جماح الحركات الانفصالية التي تزداد مخاطرها بسبب ارتباطها في بعض الاحيان بجهات سياسية خارجية. وبما ان هاتين المشكلتين بقيتا دون حل، شهدت يوغوسلافيا (قبل الحرب الحالية) خلافين هامين كان لهما اثر كبير على تاريخها: بين الصرب والكروات، وبين الصرب والالبان. وقد استمر هذان الخلافان، بأشكال متغيرة ومتجددة، رغم تغييرات وتطورات اشكال الانظمة والتجارب السياسية التي شهدتها البلاد. يمكن اختصار هذه التغييرات وتلك التطورات تحت عنوانين رئيسيين: مركزية المملكة اليوغوسلافية، وفيدرالية النظام الشيوعي.

٢ ـ المملكة اليوغوسلافية، ورفض تعددية الجنسية:

سيطر الصرب على الحياة السياسية في المملكة اليوغوسلافية من بدايتها الى نهايتها كانت العائلة المالكة صربية، والعاصمة في اراضي الصرب، وسيطر هؤلاء على الادارات العليا وعلى قيادات الجيوش. نستطيع ان نتفهم بسهولة سيطرة الصرب السياسية في البداية، بسبب الشهرة التي اكتسبتها صربيا اثناء حروب البلقان والحرب العالمية الاولى، بسبب الدعم الديبلوماسي الخارجي الذي كانت تتمتع به والدور الهام الذي لعبته في تجميع الشعوب اليوغوسلافية، واخيراً بسبب تفوقها العددي. ولكن هذا الوضع استمر مؤدياً الى استياء مفكري ومثقفي ونخبة الشعوب الاخرى الذين بدأوا يتهمون الصرب بالدكتاتورية والتسلط والاعتزاز بالنفس. لم تكن يوغوسلافيا، من هذه الناحية، سوى صربيا مكبّرة. وقد استخدم الحزب الشيوعي (٣) هذا المحور، وهو الحزب الذي حاول، لغاية منتصف الثلاثينات تفكيك يوغوسلافيا عن طريق مساندته للاقليات والحركات الانفصالية.

اتسم دستوراً ما قبل الحرب (١٩٢١، ١٩٣١) بالمركزية. واذا كان هناك، على الاقل في البداية، اتفاق بين الاوساط الفكرية الوطنية المختلفة حول هذا التفسير السياسي للفكرة اليوغوسلافية (يعني: اعتبار المركزية السياسية كعامل توحيد وطني)، فإن الكروات والسلوفانيين لم يكونوا يرون في هذا الشكل المركزي للدولة سوى اطار يسمح لهم بالتطور والنمو الذاتي. وفي المقابل، كان الصرب يريدون ان يضيفوا الى مركزية السلطة مركزية من نوع آخر: المركزية الوطنية، وان يحققوا، بالتالي، الفكرة اليوغوسلافية بصورة كاملة. وهذا يتطلب اندماجاً تدريجياً للشعوب فيما بينها. في حقيقة الامر، لم يكن الشعور الجماهيري بوحدة اللغة كافياً لتحقيق هذا الاندماج، ولم تكف لتحقيقه ايديولوجية الوحدة اليوغوسلافية التي كانت تعتنقها بعض الفئات الحاكمة.

لا شك بأن الادارة «المركزية ـ الاتحادية» التي ساد العمل بها بين الحربين العالميتين ادّت الى ازدياد حدّة النزعات الوطنية والحقد المتبادل بين الشعوب والى عدم الاستقرار السياسي (٢٤ حكومة خلال ٢٣ عاماً). ولكن يتوجب التحفظ في اتهام هذا الشكل من الادارة بأنه

سبب جميع الآلام التي اصابت يوغوسلافيا كما كان يفعل جميع المؤرخين في عهد تيتو. اذ لعبت العوامل الخارجية (ازمة الثلاثينات وصعود النازية الالمانية والايطالية) دوراً هاماً. من جهة ثانية، لم تتوقف الخلافات بين الصرب والالبان منذ القرن السابع عشر، وبين الصرب والكروات منذ القرن الثامن عشر، رغم ان هذه الخلافات كانت تدور داخل اطار ديني (اورتوثوكس، كاتوليك، اسلام)، وليس داخل اطار وطني.

٣ ـ الشيوعية والفيدرالية

حال وصول الشيوعيين الى السلطة، وضعوا حداً للنظام وللممارسات السياسية التي كان معمولاً بها فيما اصبح يُدعى بـ «يوغوسلافيا القديمة». انشأوا جمهورية ذات شكل فيدرالي، ونظاماً سياسياً ذو حزب وحيد. كان الشكل الفيدرالي يُعبر عن تجسيد سياسي للمساواة الوطنية: تهتم كل جنسية من الجنسيات بشؤون الاراضي التي تشغلها. وكان لوحدانية الحزب مبررات لم تكن موجودة في باقي دول اوروبا الشرقية: فهو ليس فقط حزب الطبقة العمّالية المكلف بإجراء التحويلات الثورية للمجتمع، وانما هو بالاضافة لذلك عامل توحيد ضروري لهذا المزيج من السكان: الحزب الوحيد الذي يرفض جميع الوطنيات، ويدّعي، بالتالي، تحجيم تأثيرها. يتعلق الامر، اذن، بأسلوب التعامل مع مسألة تعدد الجنسيات وتلافي هيمنة شعب على الشعوب الاخرى، وبالتحديد تلافي الهيمنة الصربية (كان تيتو كرواتياً).

ومع ذلك، لم يَسُد اتفاق عام وشامل حول كون الحزب الشيوعي عامل توحيد وضمان ضد نشوب الوطنيات: لم يتخلص الحزب الشيوعي، في اي يوم من الايام، من المشاحنات الوطنية، وكان الرأي العام في كل جمهورية من الجمهوريات يعتقد ـ مقارناً مزاياه بمزايا الجمهوريات الاخرى ـ بأنه مظلوم فيما يتعلق بتوزيع الاموال ووسائل الاستثمار، بمشاريع التوظيف ومستويات الاجور؛ اضف لذلك ان الخشية من تسلط وطغيان الصرب كانت تقود الى فشل جميع المشاريع السياسية «الفوق ـ وطنية»، وهي المشاريع التي كانت تواجه تهمة كونها كارثة. هكذا كان، على سبيل المثال، امر محاولات قيادة الحزب بين عام ١٩٥٣ و

١٩٦٣ الهادفة الى انشاء قومية يوغوسلافية وايجاد ثقافة موحدة، وهو المشروع الذي اطلق عليه اسم «اليغَسْلَفَة» - اذا جاز القول - واجه هذا المشروع فشلاً ذريعاً لأنه يمس بحدود عملية الاندماج الوطني.

ذلك رغم ان نظام تيتو حاول جاهداً ازالة - او تخفيف حدّة - اللامساواة التي كان من الممكن ان تثيرها الفروق العددية للشعوب المختلفة: من ثلاثة قبل الحرب، اصبح عدد الشعوب اليوغوسلافية ستة بعدها، محاولاً كل منها فرض هويته الجماعية في تفاعل مع المبادرة السياسية. اعترفت لجنة التحرير الوطنية الضد - فاشية (٢٩ - ٣٠ نوفمبر ١٩٤٣) التي حددت عدد الجمهوريات اليوغوسلافية الفيدرالية المستقبلية بمقدونيا والمونتنغرو كشعبين مميزين، ثم منحت هذه الصفة ايضاً للمسلمين في بداية الستينات.

يبدو ان سياسة تيتو كانت تمثل سياسة توازن تحاول جاهدة تجزئة الواقع الوطني من الناحية الدستورية والجغرافية. يمكننا، في هذا المجال، ملاحظة الكثير من المحاور السياسية التي اتسمت بالثبات طوال عهد تيتو: «مشاركة جميع الجماعات الوطنية في ممارسة السلطة وادارة الاقتصاد؛ تحقيق سياسة تضامن اقتصادي بين الشمال المتطور والجنوب المتأخر؛ شنّ نضال عنيد للمحافظة على وحدة الحزب؛ واخيراً، الادانة الثابتة والمستمرة للنزعات الوطنية التي كان يُشار اليها كأهم الاخطار التي تواجه البلاد والتي كان يُفرّق النظام السياسي بينها وبين مسألة التأكيد على الهوية الوطنية التي كانت تُعتبر محبذة. لقد وصل هذا التفريق (بين النزعات الوطنية والهويات الوطنية)، من الناحية العملية، الى درجة من الغموض تسمح بممارسة جميع عمليات القمع.

اذ صاحبت ادانة النزعات الوطنية التي كانت تتكرر باستمرار في احاديث وخطب الزعماء السياسيين عمليات قمع متغيرة الحدة. ولكن نظام تيتو كان يستخدم العنف لمواجهة الازمات الوطنية مضافاً اليه جهوداً سياسية للبحث عن مخرج يمكن اعتباره، في اغلب الاحيان، كحل وسط: صحيح على سبيل المثال، ان تيتو استخدم العنف الشديد لمواجهة المظاهرات الالبانية التي كانت تطالب بمنح الكوسوفو مرتبة الجمهورية في نهاية ١٩٦٨، ولكنه

في نفس الوقت لبى جزءاً هاماً من رغبات المتظاهرين، اذ منح استقلالاً ذاتياً اوسع لهذه المقاطعة التابعة للجمهورية الصربية (٤) واثناء ازمة كرواتيا (١٩٧١ ـ ١٩٧٢)، اضطر قادة الجمهورية الذين شجعوا المظاهرات التي ترفع الشعارات الوطنية الى الاستقالة، وجرت حملة اعتقالات واسعة، ولكن كرواتيا حصلت، تقريباً، على جميع مطالبها فيما يتعلق بمسألة توزيع وسائل الاستثمار الاقتصادي، وهي المطالب التي كانت تمثل السبب الرئيسي لهذه الازمة.

ب ـ موت تيتو وتزايد النزعات الوطنية

لم يستطع هذا التوازن الهش الذي تمت المحافظة عليه بصعوبة بالغة الصمود امام المنعطف الحاد المزدوج الذي تمثل، في عام ١٩٨٠، بموت تيتو وبانتهاء عملية النمو الاقتصادي السريع الذي استمر دون توقف منذ ربع قرن، فمن جهة، فقدت الفيدرالية، التي لم يترك لها دستور عام ١٩٧٤ سوى بقايا صلاحيات، القدرة على التحكيم بين مكوّناتها؛ ازدادت جُرأة الكثير من الجماعات الوطنية على زيادة مطالبها السياسية، ازدادت حرية الصحافة والاعلام (ليس في كل مكان)، ازدادت اعداد الكتب والمنشورات الناقدة، وازداد اهتمام الرأي العام ازاء الجدل والحوار حول صلاحية وفعالية سياسة تيتو. ومن جهة ثانية، دخلت يوغوسلافيا في فترة خمول اقتصادي نتيجة للازمة الاقتصادية التي عصفت بها والتي كانت تتمثل بصورة رئيسية في ميزان مدفوعاتها المرهق بسبب الديون الهائلة. وقد رافق فترة الخمول هذه تضخماً حاداً (٢٦٨٩٪ في عام ١٩٨٩) وانهياراً شديداً في مستوى الحياة: مما زاد من استياء الرأي العام، من تردد الجمهوريات الغنية عندما يتعلق الامر بمساعدة الجنوب الفقير، ومما ادى الى تضاؤل فعالية المجتمع السياسي المتناحر فيما بينه، الغارق في بحر من الفضائح السياسية والمالية، وغير القادر على تصحيح الامور. اضف لذلك ان غيوم النزعات الوطنية كانت تخيم على المناخ العالمي، خصوصاً في اوروبا الشرقية.

١ ـ الوطنية الالبانية، وازمة الكوسوفو

في عهد ما بعد تيتو، حدثت اول المطالبات السياسية التي من شأنها ان تهدد النظام الدستوري القائم في ايار ـ نيسان عام١٩٨١، وذلك عندما طالب الالبان، خلال مظاهرات

عارمة وعنيفة، ان تُمنح مقاطعتهم (الكوسوفو) المتمتعة بالاستقلال الذاتي مرتبة الجمهورية. اعترضت بلغراد على ذلك اعتراضاً شديداً، وادانت ما دعته ببداية حركة انفصالية بالتعاون مع البانيا. بهذا الرفض، والقمع الذي رافقه افتتحت ازمة سياسية دستورية حادة تتمثل في العلاقات بين الجماعات الوطنية. واستمرت هذه الازمة طوال الثمانينات.

يكفي ان نتذكر ان عمليات القمع العنيفة، والاعتقالات الواسعة، ثم الاحتفاظ بالمراقبة البوليسية المشددة اضطرت الالبان الى السكوت في الوقت الذي تزداد فيه حرية التعبير في جميع انحاء البلاد. في مناخ كهذا، تصاعدت حدّة التوتر في الكوسوفو بين الاغلبية الالبانية والاقلية الصربية والمونتنغرية. وبدأت هذه الاقلية، على اثر شعورها بالخوف بسبب الاشاعات حول الحوادث الطائفية، بالهجرة بكثافة. هذا ما كانت تدعيه صحافة بلغراد التي استخدمت، على مدار سنوات، هذا الامر لادانة «الضغوط الالبانية التي تؤدي الى هجرة الصرب من مقاطعة الكوسوفو». ولكن الحقيقة تختلف بعض الشيء. فإذا كانت الاقلية الصربية تهاجر من المناطق الريفية في الكوسوفو، فقد يكون احد الاسباب شعورها بالخوف. ولكن الاهم من ذلك، هو ان هذه المناطق تعتبر الاكثر فقراً، ذات نسب البطالة الاكثر ارتفاعاً. والكثير من المناطق المشابهة، خارج الكوسوفو، في جنوبي صربيا، تشهد تيار هجرة مماثل. يتعلق الامر، اذن، بهجرة اقتصادية مستمرة - على كل حال - منذ الخمسينات. قد تكون حدة هذه الهجرة قد ازدادت منذ نشوب ازمة الكوسوفو.

مهما يكن من امر، لا يقبل الصرب التخلي للالبان عن مقاطعة الكوسوفو التي يعتبرونها مهد حضارتهم. لهذا، بذل القادة الصرب جهوداً (دون نجاح) للحيلولة دون استمرار هجرة الصرب منها، او لإعادة من هاجر. يبدو على هذه الجهود الكثير من التناقض، ذلك لأن الكوسوفو تعتبر المقاطعة الاكثر فقراً في يوغوسلافيا، ذات الكثافة السكانية الاعلى، نسبة البطالة الاكثر ارتفاعاً والنمو الديموغرافي الاكثر سرعة.

٢ - الوطنية الصربية، واعادة السيطرة على الكوسوفو

ادى طول فترة هذه الازمة الى اثارة وتصعيد حدّة النزعة الوطنية الصربية، التي تم

التعبير عنها عن طريق حملات توقيع صرب الكوسوفو للعرائض وارسال الوفود الى بلغراد. استقبلت سلطات بلغراد، في بداية الامر، هذه المبادرات بالفتور، ثم ساندتها مساندة شديدة اعتباراً من اللحظة التي وصل فيها سلوبودان ميلوسيفيك وانصاره، في خريف عام ١٩٨٧، الى السلطة. وبدأ الزعماء الصرب الجدد في تنفيذ سياسة مزدوجة تجاه الكوسوفو: تعزيز الجيوب الصربية فيها، وتحجيم صلاحيات سلطات الحكم الذاتي. اما الامر الاكثر خطورة على مستقبل يوغوسلافيا فقد تمثل في استخدام، خلال خريف عام ١٩٨٨، الوطنية الصربية بصورة مباشرة على شكل مظاهرات عارمة - وصل عدد المتظاهرين في بعضها الى مليون شخص - تهدف الى التعبير عن مساندة الشعب الصربي بأكمله لسياسة بلغراد، ووقوفه الى جانب صرب الكوسوفو. وفي اوائل تموز ١٩٨٩، حلت سلطات بلغراد مجلس مقاطعة كوسوفو (ما يعادل البرلمان)، واقالت حكومتها، واستولت على الاذاعة والتلفزيون. هكذا بسطت بلغراد سلطتها السياسية على مقاطعة فقدتها من الناحية الديموغرافية. ولكن اثار هذه الازمة، انتشرت لتشمل جميع جمهوريات يوغوسلافيا ولتزيد من حدّة التوتر العام بين الجماعات الوطنية، ومن حدّة الخلافات بين الجمهوريات.

هوامش

(١) الناتج الاجتماعي، اهم مركبات المحاسبة الوطنية اليوغوسلافية. ويمثل قيمة خام تماثل الناتج الوطني الخام في الدول الاخرى. يغطي النشاطات التي يطلق عليها لقب «انتاجية»، يعني التي تنتج سلعاً او خدمات مادية (كالمواصلات، والتوزيع، والفنادق والمطاعم). اما الخدمات غير المادية (كالتعليم، والثقافة، والصحة، والادارة، والدفاع، والبنوك، والتأمين) فلا تدخل في حساباته. يؤدي هذا التعريف الى انقاص قيمته بمقدار ١٥٪ بالمقارنة مع تعريف الناتج الوطني الخام حسب المعايير الاوروبية على سبيل المثال. تعريف مقتبس عن: منظمة التعاون والتطوير الاقتصادي، دراسات اقتصادية، يوغوسلافيا، ايار ١٩٨٣، صفحة ٥٦ - ٥٩.

(٢) اقصد بالتحويلات جميع الاجراءات والتطورات التي سمحت لشعوب اوروبا الشرقية بالتخلص من ديكتاتورية الاحزاب الشيوعية.

(٣) تم حل الحزب الشيوعي في عام ١٩٢١، واخذ يعمل منذ ذلك الوقت بصورة سرّية.

(٤) كان بعض الصرب يرون ان تيتو زاد من صلاحيات الحكم الذاتي في الكوسوفو بهدف اضعاف جمهوريتهم.

القسم الثالث

زئير رصاص

أولاً: تنظيم نظام الدفاع اليوغوسلافي

١ ـ القوات المسلحة
٢ ـ مفهوم وطبيعة عمل نظام الدفاع
٣ ـ دور الجيش الفيدرالي والميليشيات الصربية .

ثانياً: الحرب الاولى

١ ـ اولى اعمال العنف.
٢ ـ نهاية الدولة اليوغوسلافية
٣ ـ حرب سلوفانيا «الصغيرة»
٤ ـ حرب كرواتيا «الكبيرة»
٥ ـ محاولات الوساطة .

ثالثاً : الحرب الثانية، «المجزرة»

١ ـ مدخل
٢ ـ «الحزب الديمقراطي الصربي»، الحرب افضل من استقلال البوسنة.
٣ ـ «حزب النشاط الديمقراطي» و«التجمع الديمقراطي الكرواتي»، الاستقلال افضل من السلام.
٤ ـ حرب ضد المجتمع .
٥ ـ حرب من اجل الاراضي.
٦ ـ الدولة البوسنية : الاعتراف والانشطار .
٧ ـ المواجهات الكرواتو ـ اسلامية.
٨ ـ خلافات اسلامية ـ اسلامية.
٩ ـ المسلمون يتمالكون انفسهم .
١٠ ـ انشاء الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية.
١١ ـ ازمة الجمهورية الصربية .
١٢ ـ منعطف صيف ١٩٩٥.

اولاً: تنظيم نظام الدفاع اليوغوسلافي

في بداية عام ١٩٩٠، كانت هناك هيئة فيدرالية متماسكة، لم يصلها الانحلال والتشقق بعد : الجيش. ولا شك بأن لمحة سريعة حول مفهوم نظام الدفاع والامن اليوغوسلافي تعتبر ضرورية في محاولة فهم الآليات التي ساست الصراع المسلح فوق الارض اليوغوسلافية. تعتمد اساسات القوات المسلحة اليوغوسلافية على المبادئ الخاصة بايديولوجية الدفاع الشعبي. هذا النظام، الذي تمّ بناءه ليكون فعالاً في حالة التعرض لاعتداء خارجي، اضطر الى التفاعل لمواجهة وضع نزاعي على الساحة الداخلية. تعطلت طبيعة نظام الدفاع عن العمل بالمقارنة مع اساسات بنائها الاولية، مما جعل العوامل العسكرية في الصراع اكثر غموضاً، وجعل السيطرة عليها اكثر صعوبة.

١ ـ القوات المسلحة :

دستورياً ، تتكون القوات المسلحة من الجيش الشعبي اليوغوسلافي، ومن نظام دفاع اقليمي يستطيع استنفار ٨٥٪ من السكان على شكل وحدات مقاومة محلية. وفي الوقت الذي يقع فيه الجيش تحت قيادة «السكرتارية الفيدرالية للدفاع الوطني»، فإن قوات نظام الدفاع الاقليمي تقع تحت الاوامر المباشرة لسكرتير الدفاع في الجمهوريات المختلفة. بالاضافة لهاتين المركبتين الرئيسيتين ، يشمل نظام الدفاع اليوغوسلافي ايضاً الدفاع المدني والميليشيا الشعبية.

أ ـ يتكون الجيش الفيدرالي من ١٦٩ ألف رجل، من بينهم ٩٥ ألف مدعو للخدمة، و ١٤ ألف حارس حدود. بعد الخدمة العسكرية الاجبارية (١٥ شهراً)، ٢٠ ٪ من المدعوين يدخلون في احتياطي الجيش الفيدرالي، ويخصص الـ ٨٠٪ الباقون للدفاع الاقليمي وللدفاع المدني. يشكل هذا التوزيع،بالنتيجة، قواعد ومصادر تكوين القوات المسلحة في الجمهوريات المختلفة. في حين يبقى الجيش الشعبي اليوغوسلافي قوة مشتركة بين جميع الجمهوريات والشعوب.

ب ـ الدفاع الاقليمي، لا مركزي، يقع تحت القيادة المباشرة للجمهوريات، ويستطيع

استنفار ٨٨٥ ألف احتياطي في حالة الحرب. يعتبر، بالاضافة للجيش الشعبي اليوغوسلافي، احدى المكونات الاستراتيجية للقوات المسلحة اليوغوسلافية، ويمتلك وسائله ومعداته وتجهيزاته الخاصة (مستودعات اسلحة موزعة في جميع انحاء البلاد). يمكن استنفاره اعتماداً على مواصفات محلية: في البلديات، في الحارات، في اماكن العمل... الخ، وقد تصل اعداده الى ثلاثة ملايين رجل وامرأة.

جـ - اما الدفاع المدني فيستطيع استنفار مليوني شخص. وبما انه لا ينتمي للجيش الشعبي اليوغوسلافي، ولا لقوات الدفاع الاقليمي (التركيبتان المنظمتان في وحدات دفاع محلية)، فإنه يتعلق بجميع المواطنين.

د - الميليشيا الشعبية، يقدر عددها بـ ٢٥ ألف رجل في عام ١٩٩١. وهي تشكل قوات الامن التابعة لوزارة الداخلية، تمتلك مدرعات خفيفة وطائرات هيليوكبتر، وتستطيع تعزيز قواتها اعتماداً على المدعوين او الاحتياط.

٢ - مفهوم وطبيعة عمل نظام الدفاع

بعد التدخل العسكري السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا (١٩٦٨)، ايقن الزعماء اليوغوسلاف انه لا يمكن الصمود بصورة فعالة ولزمن طويل امام جيوش غازية قوية اعتماداً، فقط، على الجيش العملي المنظم. وانطلاقاً من الاساسات التي تم وضعها اثناء حرب التحرير (١٩٤١- ١٩٤٥)، تم انشاء نظام «الدفاع الشعبي العام» في عام ١٩٦٨. وهو منظم اعتماداً على تصرفات المجتمع المدني اثناء الحرب. ادخلت الدولة اليوغوسلافية هذه المعطيات الهامة في مفهوم واستراتيجية الدفاع، وذلك بجعل كل مواطن مسؤول عن أمن البلاد.

انطلاقاً من هدف استراتيجي ردعي، يظهر نظام «الدفاع الشعبي العام» وكأنه مؤسسة دفاعية تتمتع بإدارة ذاتية في المستويات الاجتماعية اليوغوسلافية المختلفة: الجمهوريات، الاقاليم المستقلة ذاتياً، البلديات، الحارات، الشركات. هكذا، تجعل تعددية عناصر الدفاع من هذه العناصر مراكز قرارات مستقلة ذاتياً.

في حالة اعتداء خارجي، يستطيع هذا النظام، وبفعالية تامة، ابطال مفعول تكتيك الغزاة الذين يحاولون غالباً - بل دائماً - اضعاف امن الدولة اعتماداً على قوى داخلية. في نظام «الدفاع الشعبي العام» اليوغوسلافي هذا، يستحيل على الخصم تجنيد قوى داخلية لصالحه لأن كل فرد من قوات الدفاع الاقليمي يرتبط ارتباطاً مباشراً بأرضه، ومكلف بالدفاع عن اقليمه، عن بلديته، عن حارته، عن مكان عمله، بل عن مسكنه. تستطيع ان نتصور بسهولة تفاني الجندي الذي يدافع عن اقليمه، وقريته وبيته، وان نتصور الورقة الرابحة التي يمتلكها هذا الجندي التي تتمثل في معرفته التامة لأرضية القتال.

ادى طيف النزعات الانفصالية السلوفانية والكرواتية الى خلل في نظام الدفاع. اثناء الحروب الانفصالية اشتبكت القوات الاقليمية في هاتين الجمهورتين (تم تعزيزها بميليشيات خاصة) مع الجيش الفيدرالي الذي استخدم، والحال هذا، المكونتين الرئيسيتين لنظام الدفاع اليوغوسلافي. استطاعت سلوفانيا استنفار ٤٠ او ٥٠ ألف جندي احتياطي من القوات الاقليمية السلوفانية بسرعة فائقة. مجهزين بأسلحة خفيفة، استطاعوا الصمود امام الجيش الفيدرالي المهاجم الذي لم يكن ينتظر ردة فعل كهذه.

في المقابل، كان الحرس الوطني الكرواتي، الذي تم تشكيله في نيسان ١٩٩١، اقل قدرة على مواجهة الجيش الفيدرالي، لأنه تشكل في وقت متأخر، ولأن هدفه الرئيسي كان يتمثل في تطويق الميليشيات الصربية في جيوب كراجينا وسلافونيا.

الجنسية	نسبة مئوية من ضباط الجيش	نسبة مئوية من سكان يوغوسلافيا
مونتنغريون	٦٫٢	٢٫٦
كروات	١٢٫٦	١٩٫٨
مقدونيون	٦٫٣	٦
مسلمون	٢٫٤	٨٫٩
سلوفانيون	٢٫٨	٧٫٨
صرب	٦٠	٣٦
الباتيون	٠٫٦	٧٫٧
هنغاريون	٠٫٧	١٫٩
يوغوسلاف	٦٫٧	٥٫٤
جنسيات اخرى	١٫٦	٣٫٦

جدول ٥ : تركيبة الهيكل القيادي في الجيش الفيدرالي

الجنسية	جنرال	عقيد	مقدم
مونتنغريون	١٩	٢٥٧	٤١١
كروات	٢٢	٢١٩	٥٦١
مقدونيون	١٢	١٠٣	٣٩٤
مسلمون	٣	٢٨	١٠٩
سلوفانيون	١٢	٧٢	١٤٢
صرب	٧٧	١٥١١	٣٨٩٦
الباتيون	١	٥	١٥
هنغاريون	صفر	٦	١٥
يوغوسلاف	٧	١٢٣	٤٢٢
جنسيات اخرى	صفر	١٨	٧٣

جدول رقم ٦ : توزيع الضباط القياديين حسب الجنسية

ملاحظة : يفترض أن غالبية الذين يعلنون كونهم يوغوسلاف هم في حقيقة الامر صرب

٣ ـ دور الجيش الفيدرالي والميليشيات الصربية

في مواجهة محاولات سلوفانيا وكرواتيا الانفصالية، كان الجزء الاكبر من زعماء الجيش يدعون الى الاحتفاظ بوحدة اراضي يوغوسلافيا. وفي نهاية عام ١٩٩٠، في الوقت الذي كانت تزداد فيه حدّة التوتر بين ممثلي سلوفانيا وكرواتيا وممثلي «الحلف الصربي» داخل المؤسسات الفيدرالية، تدخل الجيش على الساحة السياسية اليوغوسلافية، وذلك عندما ادان زعماؤه محاولات تشكيل قوات مسلحة مستقلة داخل الجمهوريات.

وكان الجيش منقسماً بين المؤيدين لتشكيل «صربيا الكبرى» والشيوعيين الذين يعتبرون انفسهم حماة وحدة الاراضي اليوغوسلافية. مهما يكن من امر، بإعلانه بأنه يعمل من اجل وحدة البلاد، كان الجيش يظهر وكأنه شيوعي موال للصرب فوق الاراضي السلوفانية والكرواتية التي اصبحت جمهوريات مستقلة يقودها زعماء غير شيوعيين (انتخابات نيسان وايار ١٩٩٠).

اذا القينا نظرة سريعة على الجدول رقم ٥، نلاحظ ان ٦٠٪ من كوادر الجيش صرب، وان ٦،٢٪ منها من اصل موتنغري، الحليف التقليدي لصربيا ـ كما ذكرنا آنفاً. ونستطيع ان نعتقد ان غالبية الـ ٦،٧٪ الذين تم احصائهم كـ «يوغوسلاف» هم في حقيقة الامر صرب. ويظهر، في الجدول رقم ٦، ان الصرب والمتنتغريين يشغلون نسبة مرتفعة من مراكز الجيش العليا بالمقارنة مع نسبة اعدادهم من مجموع السكان الكلي.

اتخذت سلوفانيا وكرواتيا، في نوفمبر ١٩٩٠، اجراءات تضع قوات الدفاع الاقليمي تحت السيطرة التامة لحكومتي الجمهوريتين، وانشأت كرواتيا ميليشيات اخرى اضافية. وفي نفس الوقت تشكلت ميليشيات صربية في مقاطعة الكراجينا الكرواتية. وبدأت الخشية من تدخل الجيش عسكرياً في الخلاف بين الجمهوريات تزداد في نهاية عام ١٩٩٠، وذلك بعد ان بدأ الجيش الفيدرالي يستولي على شحنات اسلحة وعتاد موجهة للقوات الاقليمية السلوفانية والكرواتية. نجح تيتو في المحافظة على تعايش حقيقيتين متناقضتين تمام التناقض: مؤسسة

مركزية، الجيش، وسلطات مدينة لا مركزية وتقريباً مستقلة على مستوى الجمهوريات. لم يستطع هذا التناقض الاستمرار، وتفسّخ الجيش.

في يناير عام ١٩٩١، حصل الجيش الفيدرالي، من الرئاسة الجماعية، على اوامر بنزع سلاح «جميع القوى المسلحة غير الشرعية». رفضت سلوفانيا وكرواتيا الانصياع لهذه الاوامر، وخشي الجميع نشوب الصراع: وُضعت قوات الطرفين في حالة تأهب قصوى. وفي نهاية المطاف تم التوصل الى حل وسط: توافق الجمهوريات على نزع سلاح الميليشيات التي جندتها حديثاً، وتحتفظ بقوات الدفاع الاقليمي. ومع ذلك، احتفظت الميليشيات الصربية في مقاطعة الكراجينا الكرواتية بأسلحتها.

في الوقت نفسه، ظهر خلاف آخر. اكتشفت وكالة استخبارات الجيش ان كرواتيا اشترت اسلحة من شركة هنغارية خاصة. طالب الجيش بتسليم وزير الدفاع الكرواتي وتقديمه للمحاكمة بتهمة التحضير «لعصيان مسلح فوق اراضي الجمهورية الكرواتية». رفضت الحكومة الكرواتية تسليم وزير دفاعها، وحالت دون اعتقاله. في الثامن من نيسان، انعقدت محاكمته غيابياً في المحكمة العسكرية في زاغرب. ولكن المظاهرات الكثيفة امام المحكمة حالت دون استمرار جلسات المحاكمة. في هذا الوقت بالذات، بدأ الجيش الفيدرالي ينتشر في مناطق مختلفة من كرواتيا. اعتبره الكروات جيش احتلال.

في الفترة الواقعة بين اواخر عام ١٩٩٠ ونهاية النصف الاول من عام ١٩٩١، تميز دور الجيش الفيدرالي بالغموض والتناقض. انه يمثل مؤسسة موحدة ليس لها مكان ولا سبب وجود في نظام متفكك. اختفى الحزب، وبقي الجيش. ولكن لم يعد بإمكانه ان يلعب دور مؤسسة تنفذ اوامر سلطة مركزية غير موجودة. لهذا، بدا وكأنه يتخذ قراراته بنفسه.

بعد ان اصبح مستقلاً، اخذت الجمهوريات ترى في الجيش اليوغوسلافي ذو الاغلبية الصربية عامل خطر يهدد امنها. وبالتالي، حاولت هذه الجمهوريات الحصول على السلاح للدفاع عن نفسها. هذا ما فعلته سلوفانيا وكرواتيا. اما البوسنة ـ والهرسك، فقد اتخذت، في وقت لاحق، موقفاً سلمياً: لم تشكل قوات مسلحة، وفي مواجهة انتهاكات الجيش الفيدرالي

لسيادتها، اكتفت بالاحتجاج والتفاوض. يصعب القول ما اذا كان الرئيس البوسني ايزتبيغوفيش قد اتخذ هذه السياسة عن قناعة، ورغبة في السلام، ام فرضتها عليه الضرورة.

مهما يكن من أمر، تحوّل الجيش الى عنصر سياسي، وتحولت حكومات العديد من الجمهوريات الى عناصر عسكرية: اصبح ديكور الحرب جاهزاً.

ثانياً: الحرب الاولى

١ ـ اولى اعمال العنف

بدأ التمرد الصربي في مقاطعة كنان الكرواتية في شهر سبتمبر ١٩٩٠، واستمر طوال الخريف والشتاء، وتخللته اعمال عنف متفرقة. اغلقت الطرق، تعطلت حركة القطارات بين سبليت وزاغرب مروراً بكنان. ثم اعلن صرب كرواتيا انشاء «جمهورية الصرب المستقلة ذاتياً في كراجينا»، ومنعوا البوليس الكرواتي من دخول اراضيها، في حين ان هذا البوليس كان يحاول بجميع الوسائل بسط نفوذ السلطات الجمهورية في كل مكان يستطيع بسطه فيه.

في الثامن والعشرين من فبراير ١٩٩١، اعلنت حكومة صرب كرواتيا انفصال مقاطعة كراجينا عن الجمهورية الكرواتية، وابدت رغبتها في الاتحاد مع الجمهورية الصربية والمنتنغرو وصرب البوسنة. المبدأ هو ان كراجينا ستنفصل عن كرواتيا لأن هذه الاخيرة انفصلت عن يوغوسلافيا، وحسب اجراءات مماثلة. في نفس الوقت، اتخذ تمرّد صربي آخر احجاماً واسعة في مقاطعة سلافونيا الشرقية، حيث اعداد الصرب كبيرة، ولكنهم لا يشكلون اغلبية. في هاتين المقاطعتين، كانت اعمال الشغب والعنف شبه يومية.

في الثاني من آذار، حدثت اعمال عنف شديدة في مدينة باكراك، في سلافونيا الغربية. حسب السيناريو المعتاد: تخفض البلدية العلم الكرواتي، وتعلن انها لم تعد تعترف بسلطات الجمهورية. تتدخل القوات الحكومية الكرواتية، وتحتل البلدية من اجل اعادة بسط نفوذها فيها. يتدخل الجيش الفيدرالي ليفصل بين الطرفين. الامر الجديد: اعلن راديو بلغراد سقوط احد عشر قتيل صربي، من بينهم راهب ارثوذوكسي، وعدد اسماء الضحايا. ولكن الخبر كان كاذباً: لم يكن هناك قتلى. واعلن احد الزعماء الصرب ان سقوط هؤلاء القتلى يعبر عن «اعلان حرب ضد الشعب الصربي»، وعن بداية «مذابح جديدة ضده». اما الرئيس الكرواتي توجمان، فقد وصف ذلك بأنه يمثل «حرباً بسيكولوجية ضد كرواتيا».

حدثت اعمال العنف الاولى التي ادّت الى وقوع ضحايا، حقيقيين هذه المرة، في منتزه بليتيفيش الوطني. وهو منتزه سياحي في غاية الروعة والجمال بما يحتويه من بحيرات

وشلالات في وسط الغابات. يصفه الكروات بأنه «اعجوبة العالم الثامنة». يقع الجزء الاكبر منه فوق اراضي بلدية ذات اغلبية صربية في كراجينا، ويقع باقيه فوق اراضي بلدية ذات اغلبية كرواتية. وما خلا الغزلان والدببة، لا يقطنه احد سوى موظفيه. هنا، في اواخر ايام آذار، دخلت فرقة من الميليشيات الصربية، واستولت على ادارة المنتزه وفنادقه باسم حكومة كراجينا. جاءت فرقة من البوليس الكرواتي لإخراجهم منه. فتح الصرب النار، ردّ الكروات، سقط ثلاثة قتلى، صربيان وكرواتي. انهم اول ثلاثة قتلى في حرب ستدوم طويلاً. نحن في الحادي والثلاثين من آذار ١٩٩١.

في اليوم التالي، جاء الجيش الفيدرالي واستولى على المنطقة بحجة الفصل بين المتحاربين. ولكن وجوده يعني، في حقيقة الامر، احتلال المنطقة واخراجها نهائياً من نفوذ الحكومة الكرواتية. استمر الجيش الفيدرالي في استعمال هذا التكتيك الى أن، في شهر آب، تدخل بصورة مباشرة في القتال، واستلم ادارة العمليات. اعتباراً من شهر نيسان، يكفي ان يثير الصرب بعض القلاقل في مكان ما ليتدخل الجيش، ويمنع القوات الكرواتية من دخول هذا المكان.

وفي بداية ايار، تكاثرت المناوشات واعمال العنف والاغتيالات في جميع انحاء كرواتيا. في الثاني منه، في قرية «بوروفو سيلو» السلوفانية، وقعت المجزرة الاولى في هذه الحرب. دخلتها فرقة من البوليس الكرواتي للبحث عن رجال بوليس اختفوا. عند دخولهم القرية، استقبلهم الصرب الذين نصبوا الحواجز بالاسلحة النارية. فوقع ثلاثة عشر قتيلاً في صفوفهم، وعشرات الجرحى. كما قتل مدنيان. يقول الكروات: «لقد وقعنا في كمين». وترد صحافة بلغراد: «اذا كانوا يعترفون بأنهم وقعوا في كمين، فهذا يعني انهم كانوا يقومون بعملية عسكرية، ويعني، بالنتيجة، انهم جاءوا مهاجمين». وكالعادة، تدخل الجيش واحتل القرية ومنع الكروات من دخولها. واخذ الجنرالات يصرون على ان تمنحهم الرئاسة الجماعية صلاحيات اكثر، ويطالبون بفرض حالة الطوارئ، ولكن الاعضاء الاربعة غير الصرب في الرئاسة الجماعية اعترضوا على ذلك. في نهاية المطاف، امرت الرئاسة الجماعية بمنع جميع

تحركات القوات باستثناء الجيش الفيدرالي، بإنهاء نفير الاحتياط الكرواتي ونزع سلاحه، وبإنشاء لجنة تحتوي على ممثلين عن الجيش، عن الحكومة الكرواتية، وعن «الممثلين الشرعيين» لصرب كرواتيا بهدف التفاوض والتوصل الى حل سلمي.

رفضت كرواتيا ذلك: من المستحيل ان يوافق الرئيس توجمان على انهاء نفير جيوشه وان يضع نفسه تحت رحمة الجيش الفيدرالي؛ ومن المستحيل ان يستأنف مفاوضات داخل اطار فيدرالي وتحت ضغط الجيش مع مواطني جمهوريته الصربيين الذين رفضوا جميع اشكال الحوار داخل اطار مؤسسات الجمهورية، والذين يصفهم بالارهابيين. لأن موافقته على ذلك تعني عدم سيادة كرواتيا على اراضيها.

٢ ـ نهاية الدولة اليوغوسلافية

بين الخامس عشر من ايار والسادس والعشرين من حزيران، في الوقت الذي تكاثرت فيه اعمال العنف الدموية، وصلت الازمة الى ذروتها السياسية: تطايرت الدولة اليوغوسلافية، او تطاير ما تبقى منها شظايا.

كان الخامس عشر من ايار تاريخ التبادل السنوي للرئاسة الدورية. في هذا التاريخ انتهت فترة رئاسة الصربي بورساف جوفيش، الرئيس من عام ١٩٩٠ ـ ١٩٩١. وكان من المفترض ان يخلفه عضو الرئاسة الجماعية الكرواتي ميزيش، الذراع الايمن للرئيس توجمان. ولكن الصرب لا يطيقون امراً كهذا. منذ عام، تتهكم صحافتهم على كرواتيا ورئيسها ومقربيه، فكيف يمكن ان يكون ميزيش رئيساً للجمهورية اليوغوسلافية.

لم تكن الرئاسة الدورية اتوماتيكية. اذ يتطلب تعيين الرئيس الجديد تصويت نظرائه في الرئاسة الجماعية وموافقتهم عليه. اعلنت كرواتيا انه اذا لم يتم انتخاب ميزيش فإنها ستتخذ اجراءات فورية للانفصال عن يوغوسلافيا. لم يلق تحذيرها آذاناً صاغية، وصوت الاعضاء الاربعة في الحلف الصربي ضد ميزيش في السابع عشر من ايار. اربعة اصوات مقابل اربعة: تعطل النظام، واصبحت الفيدرالية بدون رئيس.

يمكن القول ان السابع عشر من ايار ١٩٩١، هو اليوم الذي ماتت فيه يوغوسلافيا. قبل

هذا التاريخ كانت فيها حياة ظاهرية وكانت في المؤسسات التيتوية بقايا حياة. وكانت رئاسة الرئاسة الجماعية، رغم انها دورية وتمثل منصباً شبه ـ فخري، تعتبر رمز هذه المؤسسات ورمز الدولة. بعد هذا اليوم، لم يعد هناك خليفة لتيتو، لم يعد هناك رئيس دولة تنفذ الحكومة اوامره، لم يعد الديبلوماسيون اليوغوسلاف في الخارج يمثلون احداً. الاهم من ذلك، وهذا ما كان يريده الحلف الصربي، لم تعد هناك سلطات مدنية يخضع الجيش لها، بل اصبح يخضع لأوامر نفسه بنفسه. لم يستول على السلطة بصورة رسمية كما هو الحال في الانقلابات العسكرية التقليدية، ولكن اصبح بإمكانه ان يفعل ما يشاء وقتما يشاء. هذا ما كان يريده سلوبودان ميلوسيفيك. الامر المدهش، هو ان الرأي العام الاوروبي في مجمله، لم يشعر بهذه النهاية، وان الحكومات الاوروبية عاشت في اوهام عودة الامور الى طبيعتها. اعلنت المجموعة الاوروبية المشتركة (لم يكن الاتحاد الاوروبي قائماً بعد) في العشرين من ايار انها تشترط علاقاتها المستقبلية مع يوغوسلافيا بالاحتفاظ بوحدة البلاد: كالذي يقطع الغذاء عن الميّت عقاباً له لأنه لا يريد العودة الى الحياة.

مهما يكن من امر، اتخذت سلوفانيا وكرواتيا الاجراءات الضرورية للحصول على استقلالهما. اجرت سلوفانيا استفتاءاً شعبياً عاماً حول الاستقلال في شهر ديسمبر، وفعلت كرواتيا بالمثل في التاسع عشر من ايار. صوتت غالبية سكان الجمهوريتين بـ «نعم». ولم يبق امامهما سوى انهاء اجراءات الاستقلال وذلك بوضع القوانين الضرورية لتنقل، لنفسها، صلاحيات الفيدرالية. هذا ما فعله خلال الجزء الاكبر من شهر حزيران برلمانَيْ الدولتين. وفي السادس والعشرين من حزيران عام ١٩٩١، انتهى العمل التشريعي واعلنت الدولتان الاستقلال.

٣ ـ حرب سلوفانيا «الصغيرة»

في اليوم التالي لإعلان الاستقلال، السابع والعشرين من حزيران، اجتاح الجيش الفيدرالي سلوفانيا، بالمدرعات والطائرات. ووقعت الاشتباكات على وجه الخصوص على الحدود. اقامت الميليشيات السلوفانية، المسلحة بالرشاشات والبازوكا، الحواجز على جميع

الطرق، ولم يكن باستطاعة هذه الحواجز الصمود امام زحف الجيش الفيدرالي.

من الذي اصدر الاوامر بالهجوم؟ دستورياً، لا يستطيع احد ان يفعل ذلك، اذ، بسبب عدم وجود رئيس فيدرالي، ليس للجيش قائد. ومع ذلك، لم يتصرف الجيش بنا ءاً على مبادرةٍ عسكرية مستقلة. جاءته الاوامر من الاعلى، من حكومة آنت ماركوفيش الفيدرالية بنا ءاً على طلب جلسة استثنائية للبرلمان الفيدرالي. وقد حدّد هذا البرلمان ايضاً هدف الهجوم: «حماية حدود الفيدرالية التي تواجه التهديد». لا شك بأن امر الحدود في غاية الاهمية من الناحية الاقتصادية، اذ عن طريق سلوفانيا تدخل غالبية البضائع والسلع المستوردة من اوروبا الغربية. ومنذ اشهر، تتنازع الحكومتان، الفيدرالية والسلوفانية، على عوائد الجمارك. لهذا، ركزت القوات الفيدرالية نشاطها على حدود سلوفانيا مع ايطاليا، والنمسا وهنغاريا، وايضاً على المطارات.

قادمة من ثكناتها في سلوفانيا نفسها، او في كرواتيا، تتوجه قافلات الجيش الفيدرالي نحو اهداف قصفتها الطائرات مسبقاً. وقد هوجمت جميع مراكز الحدود التي من اجل الوصول اليها يتوجب على القوات الفيدرالية ان تقطع سلوفانيا من اقصاها الى اقصاها.

بطبيعة الحال، قاومت سلوفانيا هذا الهجوم كدولة تقاوم غزواً شاملاً لاراضيها. واظهرت الميليشيات السلوفانية قدرة فائقة على القتال والمقاومة. وقع ما يقارب المئة قتيل، غالبيتهم في صفوف الجيش الفيدرالي. وقد وقعت في صفوف الجيش الفيدرالي الكثير من حالات التمرد والعصيان والفرار. لم يكن اي جندي غير صربي (سلوفاني، كرواتي، الباني، مسلم... الخ) يرغب في القتال. بل ان الزعماء العسكريين كانوا يعتقدون انهم دخلوا في عملية عسكرية رغم انفهم، ارادتها السلطة المدنية، ولكن، في نظرهم لا تستحق الاهمية. فاحتلال مراكز الحدود ليس سوى نصف عملية عسكرية غامضة. في الاشهر التي ستلي، سيُظهرون، في كرواتيا وفي البوسنة، كيف يتصورون الحرب الحقيقية ضد شعب من شعوب الفيدرالية المنحلّة.

لم يستمر الاعتداء على سلوفانيا سوى ايام قلائل. وانتهى بعد ان تدخلت المجموعة

الاوروبية. لم يكن قد مضى على نهاية حرب الخليج سوى ثلاثة اشهر. واعتقد العالم بأجمعه ان الغرب قوي، بل في غاية القوة: استطاع اخراج صدام حسين من الكويت، واستطاع ايقاف حرب سلوفانيا بعد ايام قلائل من نشوبها. ثم توجب انتظار مرور اشهر طويلة من الحرب في كرواتيا، ثم في البوسنة ليكتشف العالم نفسه ان هذا الاعتقاد كان خاطئاً: لا يستخدم الغرب امكانياته وقواه إلا في حالة وجود البترول، واذا لم يستخدمها فإنه اضعف من اضعف عمدة قرية.

في هذه الحرب التي دارت فوق اراضٍ اوروبية، تركت الولايات المتحدة الاميركية، سيدة اللعبة العالمية، الدول الاوروبية الاثنتي عشرة تتدخل لإنهائها. ولكن هذه الدول كانت منقسمة على نفسها ومختلفة المواقف. فالدول القريبة، جغرافياً وثقافياً من سلوفانيا (ايطاليا والمانيا) كانت تشعر بالاسى بسبب الاعتداء على شعب مسالم، وتطالب بوقف هذا الاعتداء والاعتراف بالدول المستقلة حديثاً. اما الدول البعيدة، ايضاً جغرافياً وثقافياً (فرنسا وبريطانيا)، وكذلك بعض زعماء المجموعة الاوروبية كجاك دولور المنهمك منذ سنين في تجميع عدّة دول في مجموعة واحدة، فقد كانوا يرون ان الانشطار في حدّ ذاته يعتبر ألماً. وكانوا يأملون اصلاح الفيدرالية. ونتج عن هذه المواقف الحل الوسط الذي فرضه ممثلوا المجموعة الاوروبية اثناء زيارة لهم لزاغرب وبلغراد في الثامن والعشرين من حزيران: انهاء الاعتداء، ونفخ الحياة في الفيدرالية. وبالتحديد يحتوي هذا الحل الوسط الذي دُعي باتفاق بريوني على ثلاث نقاط:

- ينسحب الجيش الفيدرالي الى ثكناته، ثم يغادر اراضي سلوفانيا.
- تؤجل سلوفانيا وكرواتيا استقلالهما لمدّة ثلاثة اشهر (املاً بأن تسمح هذه المهلة الى التوصل الى اتفاق بينهما وبين الفيدرالية)؛
- يتم انتخاب ميزيش الكرواتي رئيساً للرئاسة الجماعية، اي رئيساً للفيدرالية اليوغوسلافية، ذلك لأن عدم انتخابه في ايار هو الذي ادى الى تفاقم الازمة ونشوب الحرب.

تدل النقطة الثالثة على مدى اوهام الزعماء الاوروبيين: يلصقون، بمادة لاصقة، رأس المقطوع رأسه، ويعتقدون بأنه سيقوم ويمشي على قدميه. فلو وافق الصرب، وحلفاؤهم، في

شهر ايار على تعيين ميزيش رئيساً، لكان ذلك دليلاً على حسن نواياهم وعلى رغبتهم في التعايش بسلام. ولكن تعيينه بالقوة، في تموز، وتحت الضغوط العالمية جعل منه رئيساً لدولة لا يعترف، هو نفسه، بها. ورئيساً، على الورق، لجيش يَعتبر قواده اعداءاً. وسنرى، بعد وقت ليس بطويل، الطائرات اليوغوسلافية تقصف، في زاغرب، القصر الذي يقطنه رئيس الدولة اليوغوسلافية.

سيلعب هذا الغموض دوراً هاماً في عدم فهم الرأي العام الغربي لحقائق الازمة اليوغوسلافية. على مدار ثلاثة اشهر، لم يذكر التلفزيون الفرنسي ولو لمرة واحدة اسم ميزيش دون ان يصفه بـ «رئيس الجمهورية اليوغوسلافية»، وهذا يكفي الى جعل الاخبار غير مفهومة ومبهمة بالنسبة للمواطن العادي، وللحيلولة دون ان يستطيع تحديد هوية ممثلي الصراع.

مهما يكن من امر، اذا كان الجيش قد وافق على الاتفاق ـ الحل الوسط ـ، فذلك لأن التدخل ضد سلوفانيا الذي قررته حكومة ماركوفيش الفيدرالية لا يتلاءم مع اهدافه الخاصة، وهي أهداف الحلف الصربي: لا توجد اقليات صربية في سلوفانيا، وبالتالي لا تثير هذه الجمهورية اهتمام زعماء الجيش والزعماء الصرب الذين يطمحون الى انشاء «صربيا الكبرى» وتوحيد جميع المناطق التي يقطنها الصرب. ويعتبر هذا الاتفاق ايضاً في صالح سلوفانيا. صحيح ان المجموعة العالمية لم تعترف بعد باستقلالها، ولكن الاتفاق يؤدي الى تحرير اراضيها من الاحتلال العسكري. وهو تحرير تضمنه المجموعة العالمية ويمنحها الوقت لتعزيز استقلالها.

اما الخاسرة الوحيدة في هذه القضية فهي كرواتيا. لم تفعل شيئاً للحيولة دون تحرك القوات الفيدرالية من اراضيها نحو سلوفانيا: مرّة اضافية، ليس هناك من تضامن بين الجمهوريتين الجارتين. وهاهي كرواتيا ايضاً ترى استقلالها يتأخر ثلاثة اشهر، ولكن دون الحصول على اعتراف الاوروبيين. والاهم من ذلك، دون ان ينسحب الجيش الفيدرالي من اراضيها. والحال هذا، تتزايد اعمال العنف في المناطق الكرواتية التي تسيطرعليها الميليشيات الصربية تحت حماية الجيش الفيدرالي. اما انتخاب ميزيش فيمثل بالنسبة لكرواتيا تعاطفاً غير ذي جدوى : قطعة حلوى.

٤ ـ حرب كرواتيا «الكبيرة»

سمحت اتفاقات بريوني بإعادة السلام الى سلوفانيا، ولكنها لم تفتح اي طريق امام حل شامل للازمة اليوغوسلافية. واستمرت حدّة التوتر والفوضى في الاقاليم الكرواتية التي تحتوي على اقليات صربية في الازدياد والانتشار جغرافياً، وبدأ وضوح التحالف بين الجيش الفيدرالي والميليشيات الصربية يزداد شيئاً فشيئاً. وعلى مدار الصيف، تحولت هذه المناوشات الى حرب حقيقية.

وكانت المناوشات قد اندلعت في الخريف الذي سبق في اقليم «اليكا» حول مدينة «كنان». ثم انتشرت في ايار لتشمل سلافونيا الشرقية. في حزيران، شملت اقليم «بانيجا» قرب زاغرب من جهة الجنوب، ثم، في نهاية حزيران، سلافونيا الغربية. وفي نفس الوقت، وانطلاقاً من «كراجينا»، زحفت القوات الصربية نحو الشواطئ الدلماسية (على بحر الادرياتيك). سيعلن الصرب بعد زمن قصير استقلال اقليمين عن الاراضي الكرواتية: اقليم كراجينا واقليم سلافونيا الشرقية (يوجد تشابه بين اسم اقليم سلافونيا الشرقية ـ والغربية ـ واسم جمهورية سلوفانيا). هكذا، في نهاية شهر آب، اصابت الحرب ما يقارب الثلاثين بلدية من ضمن مئة وخمسة عشرة بلدية كرواتية.

في جميع هذه المناطق، يتكرر السيناريو نفسه. في القرى والمدن التي يتواجد فيها الصرب، يهاجم هؤلاء دوريات البوليس اولاً، ثم مراكزه. وبعد فترة من تبادل اطلاق النار، بعد سقوط ضحايا، يتدخل الجيش الفيدرالي. يعلن انه يريد الفصل بين المتحاربين، ولكن في حقيقة الامر يسيطر على القرية او المدينة المعنية. وفي القرى التي يقطنها كروات والمجاورة لقرى صربية، يبدأ الهجوم بالمدافع. يهرب السكان. تهجم الميليشات، واذا لم يكن هذا كافياً يتدخل الجيش. وفي اغلب الاحيان، تمحى القرى من الوجود. وفي منتصف آب، انتهت اسطورة النشاط العسكري المستقل للميليشيات الصربية. واخذ الجيش اليوغوسلافي بنفسه يقود زمام مبادرات غزو الاراضي الكرواتية والاستيلاء عليها. قادمة من البوسنة، احتاجت قافلة من

المدرعات سلافونيا الغربية.

كانت القوات الكرواتية اضعف بكثير، ليس فقط من ناحية العدد، ولكن ايضاً من ناحية الاسلحة والمعدات. وكانت القوات الصربية تمتلك تجهيزات جيش حديث، الجيش الذي يشكل القوة العسكرية التقليدية الثانية في اوروبا بعد الجيش السوفيتي (سابقاً). لم تكن القوات الكرواتية تمتلك سوى اسلحة خفيفة، ورغم الحظر المفروض على تصدير الاسلحة، كانت تبحث جاهدة للحصول عليها بصورة سرّية في السوق العالمية. ولكن مدن كرواتيا، بما فيها زاغرب، كانت تؤوي ثكنات ومستودعات اسلحة تابعة للجيش الفيدرالي كانت مرابطة فيها قبل الحرب. وكانت هذه القوات غير قادرة على الحركة، «محشورة» في ثكناتها، وفي اغلب الاحيان قطعت عنها الكهرباء.

في منتصف سبتمبر، اخذت الحكومة الكرواتية للمرة الاولى زمام المبادرة، وقررت الهجوم على هذه الثكنات والاستيلاء على مستودعات الاسلحة فيها. وكان هذا الهجوم سلمياً فيما يتعلق بخمسة عشرة ثكنة، اذ استسلم جنود الثكنات عن طريق المفاوضات. وكان الهجوم عنيفاً في مناطق اخرى، ولكن سريعاً. هكذا، استولت القوات الكرواتية على كميات من الاسلحة والذخائر والدبابات. وقد قصفت الطائرات الفيدرالية العديد من هذه المستودعات في محاولة لتدمير مخزون الذخائر التي استولى عليها الكروات. استولى الجيش الكرواتي على ما مجموعه ١٤٠ طن من الاسلحة والذخائر كانوا في امس الحاجة اليها.

رداً على ذلك، اعلن الجيش الفيدرالي، في نهاية سبتمبر، بأنه سيهاجم هدفاً اقتصادياً كرواتياً مقابل كل هدف عسكري يهاجمه الكروات. اعتباراً من هذا التاريخ، بدأ التدمير النسقي للوجود الصناعي والسياحي في كرواتيا.

في السابع من اكتوبر، تنتهي فترة «تعليق» اعلان استقلال كرواتيا وسلوفانيا لمدة ثلاثة اشهر، وهو التعليق الذي فرضته المجموعة الاوروبية المشتركة من خلال اتفاق بريوني. لم تكن اي من الجمهوريتين ترغب في تمديدها رغم الحاح المحاورين الاوروبيين: لم تجلب الاشهر الثلاثة الاولى اية فائدة لأي منهما.

لم ينتظر الحلف الصربي هذا التاريخ ليستبق الاحداث ويقوم بانقلاب. في الثالث من اكتوبر، استولى الاعضاء الثلاثة الصرب وحليفهم المونتنغري على «الرئاسة الجماعية»، وعزلوا الاعضاء الاربعة الآخرين. واستولت الرئاسة الجماعية المبتورة على جزء من صلاحيات البرلمان الفيدرالي، ثم اعلنت اجراءات استنفار عام.

في منتصف اكتوبر، ظهرت جبهة قتال جديدة: هاجم الجيش الفيدرالي مدينة دوبرفنيك، وهي مدينة تاريخية تجاور المونتنغرو والهرسك الشرقية، اراضي صربية، ولكن المدينة نفسها لا تحتوي على اقليات صربية يستطيع الجيش الفيدرالي التذرع بحمايتها. قبل مهاجمة المدينة بعدة اسابيع، تحركت باتجاهها قوات مونتنغرية عبر الهرسك زارعة الرعب لدى السكان المسلمين والكروات في هذه المنطقة، ثم ضربوا حصاراً على المدينة بمساندة القوات الفيدرالية التي كانت تقصفها.

ومع ذلك، وبسبب استيلاء الكروات على كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر من المستودعات والثكنات، وفرار العديد من ضباط الجيش الفيدرالي المحترفين، بما فيهم جنرالات، ولجوئهم الى الطرف الكرواتي، ازدادت فعالية المقاومة الكرواتية. وفي شهر نوفمبر وديسمبر، حقق الدفاع الكرواتي اولى نجاحاته: استعاد جزءاً من سلافونيا الغربية.

اذا اخذنا بعين الاعتبار عدم تكافؤ وتوازن القوى، فإن المقاومة المسلحة الكرواتية العنيدة ـ ثلاثة اشهر في مدينة فوكوفار وثلاثة في دوبروفنيك ـ تدعو للدهشة. لا شك بأن سبب هذه المقاومة يكمن في الارادة القوية للمحاربين، في قناعتهم بأنهم يدافعون عن ارضهم، واذا تراجعوا، فإنهم سيخسرونها الى الابد: أخرج الكروات من جميع المناطق التي احتلها الصرب. انها ليست مواجهة عسكرية، انها حرب غزو واحتلال تام.

٥ ـ محاولات الوساطة

خلال ستة اشهر، بذلت المجموعة العالمية جهوداً مستمرة في محاولة لوضع حدّ للصراع. وقعت الاطراف المتحاربة على اربعة عشرة اتفاقية لوقف اطلاق النار تحت ضغوط المجموعة العالمية، ولكن لم يتم احترام اي منها اكثر من عدّة ساعات، او في اقصى الحدود يومين او

ثلاثة. سنتطرق، باختصار، الى قصة محاولات الوساطة هذه والى اثارها.

تمت على ثلاث مراحل. في المرحلة الاولى، في تموز وآب، استمرت المجموعة الاوروبية في جهود الوساطة التي نجحت فيها اثناء الغزو الاول لجمهورية سلوفانيا. كانت المفاوضات تدور في اطار الرئاسة الفيدرالية اليوغوسلافية التي ارسلت المجموعة الاوروبية اليها، عدة مرات، وفداً يتكون من وزراء خارجية لوكسمبورغ ونيرلندا والبرتغال، برأسه الهولندي ڤان دين بروك.

ولكن النجاح الذي حققته اوروبا في سلوفانيا لم يتجدد في كرواتيا. فيما يتعلق بالقضية الاولى، كان وقف اطلاق النار يتلاءم مع اماني جميع الاطراف. لم تكن صربيا (وبالتالي لم يكن الجيش الفيدرالي) تعير (او يعير) - كما ذكرنا آنفاً - ادنى اهتمام لجمهورية سلوفانيا لأنها لا تدخل في اطار مشروع صربيا الكبرى. اما فيما يتعلق بكرواتيا، فالامر يختلف تماماً، وتتلاءم العمليات العسكرية مع مشروع الغزو الذي برمجته صربيا. لهذا، فهي لا تريد التنازل، وبقيت اتفاقات وقف اطلاق النار دون فعّالية.

في بداية سبتمبر، اقتنع الاوروبيون ان مجرّد حضور المفاوضات المباشرة بين الاطراف اليوغوسلافية لا يكفي، وانه يتوجب على اوروبا ان تتدخل بصورة اكثر فعالية. وايقنوا ايضاً ان النقاش حول وقف اطلاق النار لا يكفي، ولكن يتوجب التفاوض حول المشاكل السياسية الجذرية. نتيجة لذلك، انعقد مؤتمر السلام في لاهاي بحضور ممثلين عن المجموعة الاوروبية وجميع الاطراف اليوغوسلافية، وبرئاسة البريطاني لورد كارينغتون الذي لعب ايضاً دور الوسيط الاوروبي الدائم. دام مؤتمر لاهاي - بتقطع - من السابع من سبتمبر الى الثاني عشر من ديسمبر.

وكان هناك نوع ثالث من الوساطة: وساطة الامم المتحدة. انعقدت اول جلسة للأمم المتحدة في الخامس والعشرين من سبتمبر بناءً على طلب فرنسا وبريطانيا وبلجيكا. ولكنها لم تقرر سوى فرض حظر على تصدير الاسلحة. ولكن هذا الحظر لم يكن يقلق الجيش الفيدرالي الذي يمتلك ما يكفي من الاسلحة والعتاد.

وفي الثامن من اكتوبر، عيّن الامين العام للأمم المتحدة، جافية بيريز دوكويلار، ممثلاً شخصياً له في يوغوسلافيا: سايروس فانس، سكرتير دولة سابق في عهد جيمي كارتر، مكث الاخير طويلاً في يوغوسلافيا، وتفاوض مع جميع الاطراف. وبمبادرة منه، تم التوقيع على الاتفاق الخامس عشر لوقف اطلاق النار في الثالث من يناير ١٩٩٢، وهو الاتفاق الذي سيسري العمل به.

دامت الحرب اذن ستة اشهر كاملة، وتم اختراق جميع اتفاقات اطلاق النار التي تم توقيعها خلالها. يمكننا ان نفهم الاسباب بسهولة اذا تعرفنا على اهداف كل من الطرفين، وعلى ميزان القوى العسكرية.

يمتلك الطرف الصربي قوتين عسكريتين، من الناحية النظرية منفصلتان، ولكن من الناحية العملية ملتحمتان تماماً: الجيش الفيدرالي والميليشيات الصربية. شن حرب غزو للاراضي الكرواتية. ويمتلك قوة عسكرية هائلة. يفضل اذن التقدم واحتلال اكبر قدر ممكن من الاراضي، لهذا فإن وقف اطلاق النار لا يمكن ان يؤدي الا الى ازعاجه. وتؤدي ازدواجية القوات الصربية الى تسهيل اختراقها لوقف اطلاق النار: يكفي ان يطلق فرد من الميليشيات الصربية عدة عيارات نارية لاثارة الرد الكرواتي، عندها يدّعي الجيش بأنه هوجم. وفي المقابل، فإن استمرار القتال ليس في صالح الحكومة الكرواتية. بما انها اكثر ضعفاً، فإنها راهنت كثيراً على التدخلات السياسية العالمية. من المحتمل اذن ان يكون الطرف الصربي هو الذي اخترق وقف اطلاق النار في اغلب الاحيان. وقد لاحظنا ان الكروات كانوا يطالبون دائماً بالتدخل العالمي، وكان الصرب يبحثون عن ادنى قدر منه.

اثناء محاولات الوساطة (انظر الملحق: التسلسل الزمني للاحداث)، كان الصرب يحاولون كسب الوقت، وتأخير تطبيق القرارات العالمية بأكبر قدر ممكن، وذلك بهدف قضم بعض الاراضي. ادان الوسطاء، عدة مرات، هذه التصرفات، ولكنهم كانوا يترددون في اتخاذ اية ردّة فعل: لا يتجرأون على تحديد المعتدي والمعتدى عليه. ومقابل كل رفض صربي، كان الوسطاء يقدمون تنازلاً جديداً ذلك لأن الدول الاوروبية، نفسها، كانت منقسمة. فبعضها،

كألمانيا وايطاليا، كان يساند الكروات مساندة تامة. والبعض الآخر، كفرنسا وبريطانيا واسبانيا، كان، دون ان يساند الصرب بصراحة، يعمل على تأخير القرارات المناوئة لهؤلاء.

دامت الحرب، اذن، ستة اشهر، من تموز ١٩٩١ الى يناير عام ١٩٩٢، ودارت وقائعها فوق الاراضي الكرواتية. وقد كانت حرباً شنيعة، انتشرت الاحقاد بصورة عامة، ارتكبت الجرائم ضد المدنيين، وكانت عمليات التدمير فيها شاملة. ومن الواضح ايضاً ان الطرف الصربي خطط لهذه الحرب على اساس كونها حرب غزو واحتلال شامل: يتم القضاء على الوجود الكرواتي، حتى المدني، في جميع الاراضي التي يحتلها الصرب. اما في باقي الاراضي الكرواتية، فقد كان هدفهم تدمير الوجود الاقتصادي للخصم. وهو نوع خاص من الحرب، يمكن القول انه لم يسبق له مثيل: انحصرت الحرب، على ما يبدو، على مناطق معينة، وكانت شاملة داخل حدود هذه المناطق.

مهما يكن من امر، دخل اتفاق وقف اطلاق النار الخامس عشر حيّز التنفيذ في الثالث من يناير عام ١٩٩٢، واحترمه الطرفان، كما ذكرت انفاً. وتوقف القتال. ما هو السبب في ان الاتفاق الخامس عشر اكثر فعالية من الاتفاقيات التي سبقته؟ يبدو ان ميلوسيفيك، زعيم الجمهورية الصربية، تراجع عن مواقفه تجاه كرواتيا. تقبّل وزير خارجيته (في حوار مع صحيفة لوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ ١٥ يناير ١٩٩٢) «الاعتراف بكرواتيا كجمهورية مستقلة اذا استطاعت حل مشاكل الصرب بشكل يدعو الى الارتياح، وبالاتفاق مع الصرب المتواجدين فيها». لم يعد الامر يتعلق بتعديل الحدود، واكتفت صربيا بأن تضمن قوات الامم المتحدة امن صرب كرواتيا.

كان من الصعب تفسير هذا الاعتدال الصربي في حينه، ولكن تبين فيما بعد ان الصرب وافقوا على وقف اطلاق النار مع كرواتيا وانتشار قوات الامم المتحدة في المناطق التي احتلوها لكي يتفرغوا للبوسنة. اثناء جولات سايروس فانس (مبعوث الامم المتحدة) المكوكية بين بلغراد وزاغرب من اجل التوصل الى وقف اطلاق النار كانت اعمال العنف الاولى قد بدأت في البوسنة: يحتاج الصرب الى الهدوء في كرواتيا لكي يستطيعوا الدوران تجاه المسلمين.

وافق الطرفان، اذن، على مشروع الأمم المتحدة (اطلق عليه لقب «مشروع فانس») الذي ينص على نشر قوات الامم المتحدة، القبعات الزرقاء، في المناطق التي احتلها الصرب والتي اعلنوها مناطق مستقلة، وهي: كراجينا، سلافونيا الشرقية وسلافونيا الغربية، وهذا ما يعادل ثلث كرواتيا.

ما هي مهمة قوات الامم المتحدة بالضبط؟ عندما ينتشرون، سيغادر الجيش الفيدرالي، ولكن هل ستبسط زاغرب نفوذها على هذه المناطق، ام سيتم الاحتفاظ بسلطات الحكم المحلية فيها؟ هل سيتم نزع سلاح الميليشيات في كراجينا والمناطق الاخرى؟ لم يقدم «مشروع فانس» اي جواب على هذه الاسئلة. وقد حصل الحلف الصربي على جميع التنازلات التي كان يطالب بها. تقبّلت الامم المتحدة ان لا يتم تطبيق التشريع الكرواتي في المناطق التي تنشر فيها قواتها، وهذا يعني الاعتراف، غير المباشر، بالسلطات المحلية الانفصالية. لم ينص المشروع، بشكل صريح، على نزع اسلحة الميليشيات، وهذا يعني ان «القبعات الزرقاء» ستتعايش مع ميليشيات لا تعرف الى من تخضع.

وفي الحادي والعشرين من فبراير ١٩٩٢، قررت الامم المتحدة نشر اربعة عشر ألف جندي بين ميليشيات مدججة بالسلاح، ودون ان تكون مهمتهم محددة بوضوح.

سنترك كرواتيا على هذا الوضع. وسنعود اليها في صيف عام ١٩٩٥. في هذا الصيف، سيتغير الوضع تغييراً جذرياً ومفاجئاً.

ثالثاً: الحرب الثانية «المجزرة»

تتمثل اهم صعوبة واجهتها، اثناء كتابة الذي بين يديكم، في العثور على عنوان لهذا الفصل. بماذا يمكن تسمية ما حدث في البوسنة ـ والهرسك؟ انها ليست حرباً، ذلك لأن الحرب تدور بين فريقين مسلحين، قد لا تكون موازين القوى والتسليح بينهما متكافئة ـ كما كان الحال في كرواتيا ـ، ولكن على كل حال مسلحَين. ولم يكن شعب البوسنة يمتلك السلاح للدفاع عن نفسه، إلا ما ندر منه. وحرمته «المجموعة العالمية»، عديمة الوجود عندما يتعلق الامر بحقوق المسلمين، من امتلاكه زمناً طويلاً بسبب الحظر المفروض على تصدير السلاح.

وهي ليست حرباً اهلية، كما دعاها الكثيرون على خطأ. فإذا لم تكن حرباً، كما ذكرنا اعلاه، فمن البديهي ان لا تكون حرباً اهلية. واذا افترضنا انها حرباً كما يحلو للبعض ان يدعوها، فلا يمكن ان تكون اهلية. ففي الحرب الاهلية (كما حدث في اسبانيا ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، وفي روسيا ١٩١٨ ـ ١٩٢٢)، ينقسم ابناء الشعب الواحد الى فريقين يصارع كل منهما الآخر. وقرار الانضمام الى هذا الحلف او ذاك يعتبر قراراً شخصياً مأساوياً يمزق العائلات. لم يكن هذا حال البوسنة (إلا في حالات الزواج المختلط وهي كثيرة في يوغوسلافيا) : دار الصراع بين شعبين مختلفين، والمسائل المأساوية التي طُرحت هي نفسها المسائل المأساوية التي تطرح في اية حرب عالمية.

فإذا لم تكن حرباً، ولا حرباً اهلية، فلا يمكن ان تكون إلا «مجزرة».

تجد البوسنة ـ والهرسك نفسها في موقع مغاير لمواقع الجمهوريات الاخرى. تقع في وسط جمهوريات يوغوسلافيا، بين كرواتيا في جهة الغرب، وصربيا ومنتنغرو في جهة الشرق، فهي اذن بين المطرقة والسندان. وهي بالاضافة لذلك، وكما رأينا، الاقليم الاكثر اختلاطاً من الناحية العرقية. فهي، اذن، المكان الذي يمكن ان يكون العنف فيه اكثر حدّة.

والحال هذا، بعد انتخابات ديسمبر عام ١٩٩٠، تشكلت حكومة ائتلاف وطني تشارك فيها الاحزاب التي تمثل الشعوب الثلاثة، وبدا ظاهرياً ان الجميع يريد المحافظة على السلام

والامن. هل كان من الممكن ان تبقى البوسنة واحة امن وسلام بين الجمهوريتين المتعاديتين، صربيا وكرواتيا؟

ليس هذا سوى اضغاث احلام. **اولاً:** لأن الشعوب الثلاثة كانت، خلف حكومة الائتلاف الظاهرية، تتقاسم السلطات تقاسماً تاماً. تحولت كل وزارة، بموظفيها واداريها وعمالها، الى منطقة نفوذ للحزب (وبالتالي للشعب) الذي ينتمي اليه وزيرها. وايضاً، من الناحية الجغرافية، اصبحت كل بلدية - بسبب امتلاكها لصلاحيات واسعة بناءاً على الدستور التيتوي - تنتمي لهذا الحلف او ذاك.

ثانياً: لأن الجيش الفيدرالي كان يحتل الاراضي البوسنية بأكملها. كان يستخدمها كقاعدة خلفية للهجوم على كرواتيا. فغالبية الاراضي الكرواتية ذات الاغلبية الصربية التي هاجمها الجيش الفيدرالي تحاذي حدود البوسنة. كان مقر قيادة القوات الفيدرالية في بنجالوكا، في البوسنة، وكانت الطائرات التي تقصف كرواتيا تقلع من البوسنة، وخصوصاً من بيخاش. بالاضافة للجيش النظامي، فإن الميليشات الصربية كانت تمر بالضرورة عبر البوسنة، وكانت تمر عبرها ايضاً شاحنات العتاد والاسلحة. هكذا، كانت صربيا تسخر، الى درجة عالية من السخرية، من مفهوم السيادة والاستقلال البوسني. كانت تنتهك حقوقها وقوانينها الجمهورية: كانت البوسنة محايدة، ولكن محتلة.

ثالثاً: وهو الاهم، كان من الصعب ان تنجو البوسنة من المبدأ الذي حددته حكومة ميلوسيفيك، او من الاستراتيجية التي رسمتها: توحيد جميع الصرب في دولة واحدة (او صربيا الكبرى). ولم يكن صرب البوسنة (٣٢٪ من السكان) اكثر قبولاً من صرب كرواتيا (١١٪ من السكان) لحمل لقب «اقلية». هكذا، وعلى غرار صرب كرواتيا، بدأ صرب البوسنة اعتباراً من ربيع عام ١٩٩١ في تشكيل «اقاليم مستقلة ذاتياً». شكلوا اولاً اقليم الكراجينا البوسنية: اقليم واسع نسبياً ذو كثافة سكانية قليلة يغطي الثلث الشمالي الغربي للبوسنة، ويحاذي «اقليم كراجينا الكرواتية»، المستقل ذاتياً ايضاً. وفي تموز عام ١٩٩١، اعلنت سلطات الاقليمين الوحدة فيما بينهما. بعد ذلك بقليل، في سبتمبر، أعلن «اقليم

الهرسك الشرقية المستقل ذاتياً»: اقليم يقع في جنوب البلاد، في اعماق الجبل الاسود. وتمّ اعلان اقاليم مستقلة اخرى. هكذا، رداً على تفكك يوغوسلافيا، يردُ الصرب بتفكيك البوسنة والهرسك. أوليست البوسنة والهرسك يوغوسلافيا مصغّرة؟ وكانت الحدود هي العنصر الذي يحدد هذا التفكيك: يحاول الصرب رسمها لكي لا يشكلوا «اقلية» في اي منطقة من المناطق.

في مناخ كهذا، يمكن ان تنشب الصراعات العرقية في اية لحظة، بين الصرب من جهة، ومن جهة ثانية، المسلمين والكروات الذين يشعرون بأنهم يواجهون التهديد الصربي والذين عثروا على نوع من التضامن النسبي فيما بينهم (في حقيقة الامر، كانوا يتضامنون كلما دعت الضرورة لمواجهة الصرب، وإن لم تدع الضرورة، كانوا يتناحرون). وفي اغلب الاحيان، كان المسلمون يواجهون التهديد الصربي منفردين، لأنهم يشكلون اغلبية، ولأنهم يجاورون الصرب في كل مكان.

امام هذه الاعتداءات عليها، والانتهاكات الصارخة لسلطتها، لم تكن حكومة ايزتبيغوفيش البوسنية تمتلك اية وسيلة لفرض نفوذها. فالبوسنة، بعكس جاراتها، لم تنشيء قوات مسلحة. كان ايزتبيغوفيش يقول ويكرر انه لا يريد العنف. في مواجهة الاعتداءات، في مواجهة كل عمل عنف، كان يحتج، ويفاوض، ولكنه لم يكن يستطيع اتخاذ اي اجراء للحيلولة دون تفكك وانشطار الجمهورية.

في بداية الامر، لم يكن احد في البوسنة يرغب في الانفصال عن الفيدرالية اليوغوسلافية التي كانت تشكل افضل ضمان لتوازن الشعوب الثلاثة؛ جاء في استطلاع للرأي العام أجري في ثلاث مدن كبرى في شهر ايار عام ١٩٩٠ ان اغلبيات ساحقة (٩١٪، ٨٦٪، ٨٣٪) تؤيد البقاء في الفيدرالية. ولكن التوازن الناتج عن انتماء البوسنة للفيدرالية يتطلب انتماء كرواتيا وصربيا في نفس الوقت اليها، وقد ادى انفصال كرواتيا الى خلل في هذا التوازن. هكذا، خلال النصف الثاني من عام ١٩٩١، بدأت البوسنة في اتخاذ اجراءات انفصالية، دون موافقة الصرب. توقفت عن المشاركة في الرئاسة الجماعية التي اصبحت تقتصر

على الحلف الصربي. في الخامس عشر من اكتوبر، اقر البرلمان البوسني قرارين حول استقلال البوسنة وانفصالها عن الفيدرالية. هكذا، حذت البوسنة حذو سلوفانيا وكرواتيا (تبعتها مقدونيا بعد وقت قصير). وقد قاطع النواب الصرب جلسات البرلمان وقرروا عدم الاعتراف بشرعيته ولا بشرعية القرارين. ادى ذلك الى حدوث القطيعة الدستورية والسياسية، اضافة الى الفوضى التي كانت سائدة في جميع انحاء الاراضي. وبدأت البوسنة الرسمية السائرة نحو الاستقلال تبحث عن الاعتراف العالمي بها، وخصوصاً اعتراف دول المجموعة الاوروبية المشتركة (التي ستصبح بعد وقت قصير دول الاتحاد الاوروبي).

ولكن صرب البوسنة يرفضون هذا الطريق، ويريدون الانضمام الى ما تبقى من الفيدرالية اليوغوسلافية، او الى «يوغوسلافيا الصغيرة» (صربيا والمونتغرو). وفي بداية يناير عام ١٩٩٢، اعلن «صرب البوسنة» ان الجمهورية البوسنية وعاصمتها سراييفو تنتمي الى الفيدرالية. لم يعد الامر يتعلق بأقاليم مستقلة ذاتياً: هناك الآن سلطتان متنافستان في نفس الجمهورية. انها خطوة من خطوات السير نحو «صربيا الكبرى» او «يوغوسلافيا الصغرى».

كان المسلمون يرغبون، بالاجماع، ان تحتفظ البوسنة بحدودها ووحدة اراضيها، يعني ان تحتفظ بشكل دولة ثلاثية الاجناس، دون الفصل بين الشعوب الثلاثة فيها. وكانوا يتمنونها دولة مستقلة غير تابعة للفيدرالية. اما الصرب، فكانوا يريدون تقسيم البوسنة الى مناطق جغرافية تبعاً للمواصفات العرقية، وبالنتيجة، انشطار البوسنة: لهذا السبب انشأوا الاقاليم المستقلة ذاتياً. وكانوا يريدون الانتماء الى يوغوسلافيا : بناءاً على وجهة نظرهم، ستنتمي الاراضي «الصربية - البوسنية» الى الفيدرالية بصورة حتمية، ويفضلون انتماء الاراضي «الاسلامية - البوسنية» اليها. وكان كروات البوسنة، كمسلميها، يرفضون الانتماء ليوغوسلافيا.

وقد حاول الاتحاد الاوروبي التدخل في هذه القضية المعقدة من اجل تقريب وجهات النظر المتناقضة. في فبراير ١٩٩٢، انعقد، من اجل هذا الغرض، مؤتمر ليزبون الذي حضرته جميع

الاطراف البوسنية وحضره الاوروبيون. وبين الوحدة التي يريدها المسلمون، والانقسام الى عدّة دول حسب المواصفات العرقية الذي يريده الصرب، اقترح الاوروبيون حلاً وسطاً يحمل اسماً جميلاً: «الكانتونات». تبقى البوسنة والهرسك دولة موحدة، ولكن يتم تقسيمها الى «كانتونات» مسلمة، صربية، وكرواتية. وضربوا على ذلك مثلاً: الكانتونات السويسرية. ولكن، لسنا بحاجة الى القول ان الكانتونات السويسرية مقسمة تبعاً لمواصفات جغرافية، وليس عرقية. والاهم من ذلك، هو ان سكان البوسنة يختلطون ويتمازجون لدرجة انه يصعب، بل يستحيل تحديد حدود الكانتونات العرقية، كما يصعب تقسيم البوسنة الى عدّة دول. وقد شحذ الخبراء الديموغرافيون في الشعوب الثلاثة آلاتهم الحاسبة وبدأوا يلوحون بالنسب المئوية لابناء جنسهم الذين سيجدون أنفسهم في الكانتونات «المعادية». مهما يكن من امر، غداة اجتماع ليزبون، رفض زعماء الشعوب الثلاثة جميع مقترحاته.

وكانت دول المجموعة الاوروبية قد اشترطت، قبل اعترافها بالبوسنة، اجراء استفتاء شعبي عام حول الاستقلال. اجري هذا الاستفتاء في التاسع والعشرين من فبراير ١٩٩٢، صوّت المسلمون والكروات بالاجماع لصالح الاستقلال، في حين قاطع الصرب صناديق الاقتراع. بلغت نسبة المصوتين ٦٢٪ ومن ضمنهم صوت ٩٩٪ بـ «نعم». وكان زعماء صرب البوسنة قد اعلنوا ان التصويت لصالح الاستقلال يعني اعلان حرب عليهم. بعد اعلان نتائج التصويت بساعات، اندلعت اولى اعمال العنف في سراييفو. قتل صربي في المنطقة الاسلامية من المدينة. ثم جاءت ميليشيات صربية مسلحة من القرى المجاورة ونصبت الحواجز حول مدينة سراييفو بقصد عزلها. توجه عدد كبير من المتظاهرين المسلمين، بدون سلاح، نحو احد هذه الحواجز، فأطلق الصرب النار، وسقط العديد من القتلى.

أغلقت الحواجز الصربية جميع الطرق المؤدية الى المدينة. انها بداية حصار سراييفو الذي دام اربعة اعوام ونصف.

١ ـ مدخل

لن اتناول ما حدث في البوسنة ـ لا ادري لغاية الآن أأدعوه حرباً ام مجزرة اما ماذا؟ ـ

بأسلوب السرد الزمني التحليلي الذي تناولتْ به حربا سلوفانيا وكرواتيا. اولاً، لأن احداث البوسنة عبر الزمان تشابه الى حد ما احداث سلوفانيا وكرواتيا وان كانت اقل منها حجماً، وايضاً تتشابه فيما بينها، وبالتالي فإن سردها قد يؤدي الى ملل القارئ، ويشهد الله ان هذا ما احاول تلافيه. اضف لذلك ان «حرب» البوسنة دامت سنين طويلة، وهي بالتالي تحتاج الى دراسة منفصلة. وثانياً، لأن الكثير من كتّاب اللغة العربية اوفوا الموضوع حقّه من العرض الزمني. نذكر منهم على سبيل المثال:

١ ـ كتاب اعدته وكالة الانباء الاسلامية «اينا» تحت عنوان البوسنة والهرسك: قصة شعب مسلم يواجه العدوان، ونشرته دار القبلة للثقافة الاسلامية.

٢ ـ كتاب عبد الحي الفرماوي بعنوان الصربيون خنازير اوروبا، يحاولون ابادة الوجود الاسلامي في البلقان، نشرته دار الاعتصام. قدّم هذان الكتابان عرضاً وافياً للمجازر التي ارتكبها الصرب، والمآسي والمحن التي واجهها المسلمون.

سنكتفي، اذن، فيما يلي من السطور بدراسة ديناميكية الصراع في البوسنة، يحتوي الملحق الثاني على تسلسل زمني مختصر.

قبل انشطار الرابطة الشيوعية اليوغوسلافية، في يناير ١٩٩٠، كان الجدل بين الجمهوريات يدور حول ديمقراطية الهيئات. وبعد ان جرت الانتخابات الحرة الاولى التي ادت، بين نيسان وديسمبر ١٩٩٠، الى ظهور الاحزاب الوطنية، الموالية للشيوعية في صربيا والمنتغرو وسلوفانيا، وضد الشيوعية في كرواتيا والبوسنة ـ والهرسك، اصبح الجدل يدور حول اعادة تعريف العلاقات بين الفيدرالية اليوغوسلافية والجمهوريات. في مواجهة «النموذج» الكونفدرالي الذي كانت تطرحه كرواتيا وسلوفانيا والذي كان يهدف الى زيادة صلاحيات الجمهوريات، كان هناك نموذج صربيا والمونتغرو «الفيدرالي» الذي يرمي الى تعزيز صلاحيات الهيئات المركزية. في حقيقة الامر، لم يكن الخلاف بين هذين النموذجين سوى تكتيكياً: في الحالة الاولى، يهدف الى تفكيك الفيدرالية، وفي الحالة الثانية، يهدف الى زيادة سيطرة الصرب عليها.

فيما يتعلق بالبوسنة ـ والهرسك، اظهرت الاحزاب الوطنية الثلاثة، منذ نوفمبر ١٩٩٠، تصورات مختلفة حول مستقبل يوغوسلافيا. اعتنق «الحزب الديمقراطي الصربي»، وهذا امر بديهي، المشروع الفيدرالي، واعتنق «التجمع الديمقراطي الكرواتي» النموذج الكونفدرالي. اما «حزب النشاط الديمقراطي»، المسلم، فقد كان يصر على الاحتفاظ بوحدة اراضي البوسنة ـ والهرسك، وعلى الاحتفاظ بميزاتها الخاصة التي تتمثل في التعايش السلمي والتآخي بين جميع الاجناس والاعراق.

٢ ـ الحزب الديمقراطي الصربي، الحرب افضل من استقلال البوسنة

رأينا ان اعلان استقلال سلوفانيا وكرواتيا، في حزيران ١٩٩١، ادى الى تفاقم العنف المسلح. ونتج عن اعلان الاستقلال، وعن العنف المسلح في حد ذاته انشطار الجمهورية اليوغوسلافية. اكتفت المجموعة العالمية بفرض حظر على تصدير الاسلحة للأطراف المتنازعة، وبدفع مشاريع الوساطة بينها. وضع انشطار يوغوسلافيا مستقبل جمهورية البوسنة ـ والهرسك في المرتبة الاولى من الجدل. اخذ «الحزب الديمقراطي الصربي» يطالب، اما بالاحتفاظ بالجمهورية داخل فيدرالية يوغوسلافية مصغّرة، او تقسيمها حسب مواصفات عرقية. واخذ «حزب النشاط الديمقراطي» يطالب بعكس ذلك، اي بسيادة الجمهورية واستقلالها ووحدة اراضيها. وعندما، في الخامس عشر من اكتوبر ١٩٩١، اقر البرلمان البوسني مشروع الاستقلال الذي عرضه «حزب النشاط الديمقراطي» بالتعاون مع «التجمع الديمقراطي الكرواتي»، اصر «الحزب الديمقراطي الصربي» على منح الصرب في البوسنة الحق في تقرير مصيرهم ـ بما في ذلك حق الانفصال عن البوسنة.

في الوقت نفسه، بدأ «الحزب الديمقراطي الصربي» في تنفيذ تهديداته بتفكيك البوسنة ـ والهرسك. بين سبتمبر ونوفمبر ١٩٩١ انشأ ستة «اقاليم صربية مستقلة» داخل اراضي الجمهورية، على غرار تلك التي انشأها الصرب في كرواتيا في ديسمبر ١٩٩٠. وفي هذه الاقاليم المستقلة، استولى الحزب الديمقراطي الصربي على جميع المناصب والسلطات الاقتصادية والسياسية والعسكرية. وبدأ يمارس ضد المدنيين غير الصرب سياسة تمييز عنصري

وارهاب. وفي السادس والعشرين من اكتوبر ١٩٩١، تم تشكيل «برلمان للشعب الصربي في البوسنة ـ والهرسك»، يتكون من نواب صرب، ويتخذ من مدينة «بال» قرب سرايبيفو مقراً له. وفي الحادي والعشرين من ديسمبر، غداة تقديم جمهورية البوسنة ـ والهرسك طلباً رسمياً للمجموعة الاوروبية للاعتراف بها، وغداة انشاء «جمهورية كراجيبا الصربية» في كرواتيا، اعلن هذا البرلمان انشاء «جمهورية صرب البوسنة» المنتمية للفيدرالية اليوغوسلافية المصغرة (الجمهورية الصربية وجمهورية المونتغرو).

وفي الوقت الذي بدأ فيه الوضع العسكري في كرواتيا يتجمد، وبدأت فيه قوات الامم المتحدة تنتشر فيها، بدأ فيه التوتر السياسي في البوسنة ـ والهرسك يشتد حدّة ويتفاقم.

٣ ـ «حزب النشاط الديمقراطي» و «التجمع الديمقراطي الكرواتي»، الاستقلال افضل من السلام.

في الوقت الذي نفذ فيه الصرب، لغاية نهاية التنفيذ، سياسة التفكيك الطائفي في جمهورية البوسنة ـ والهرسك، اتسم الحزبان الوطنيان الآخران بالتردد، على الاقل في البداية. اعلن حزب «التجمع الديمقراطي الكرواتي» تأييده لاستقلال الجمهورية، ولكنه انشأ فيها، في نوفمبر ١٩٩١، «اقليمان مستقلان» كرواتيان، وهما: اقليم «هيرسك ـ بوسنا» (الهيرسك الغربية والبوسنة الوسطى)، واقليم «بوسافينا» (شمال البوسنة). وقد اصبح تناقض مواقف «التجمع الديمقراطي الكرواتي»، اكثر وضوحاً عندما طالب بإعادة كتابة نصوص اسئلة الاستفتاء الشعبي العام حول الاستقلال، وهو الاستفتاء الشعبي الذي اصرت لجنة التحكيم الاوروبية على اجرائه كشرط اساسي للاعتراف بجمهورية البوسنة ـ والهرسك. يحتوي السؤال المعدّل الذي اقترحه «التجمع الديمقراطي الكرواتي» على عبارات تتحدث عن «شعوب مستقلة»، مكونة للبوسنة والهرسك ومنظمة داخل «فضاءاتها الوطنية».

ثم تخلى «التجمع الديمقراطي الكرواتي» عن هذا التعديل الذي رفضه حزب النشاط الديمقراطي رفضاً قاطعاً، بسبب ضغوط الكنيسة الكاثوليكية. ولكن تصرفاته اثبتت ان نتائج

الاستفتاء (التي رأيناها آنفاً) لا تعبر عن حماسة وطنية بوسنية بقدر ما تعبر عن استنفارات حزبية طائفية. اما الحواجز التي نصبها «الحزب الديمقراطي الصربي» حول سراييفو عشية الاول من آذار، يوم ظهور النتائج، فهي، تعني ان هذا الحزب تحوّل من المعارضة السياسية الى المعارضة العسكرية.

اما تناقضات حزب النشاط الديمقراطي فهي من نوع آخر. يدعو هذا الحزب بحزم واصرار الى انشاء «دولة ديمقراطية مستقلة وموحدة يتساوى فيها جميع المواطنين من جميع الاجناس والاديان في الحقوق والواجبات». ولكنه يساند، في نفس الوقت، التصرفات الانفصالية خارج حدود البوسنة والهرسك، عن طريق احد فروعه في اقليم سانجاك، وهو اقليم في صربيا والمونتنغرو ذو اغلبية سكانية مسلمة. انشأ «حزب النشاط الديمقراطي»، في الحادي عشر من آذار ١٩٩١، «اللجنة الوطنية الاسلامية لإقليم سانجاك»، وفي الخامس والعشرين من اكتوبر، اجرى في هذا الاقليم استفتاءً شعبياً حول الاستقلال.

وهناك اخيراً ـ وهو الامر الاهم ـ تناقضات المجموعة الاوروبية، المكلفة في ذلك الوقت بالملف البوسني. من جهة، فرضت لجنة التحكيم الاوروبية (كان يرأسها روبرت بادانتير الفرنسي) شرطاً وحيداً للاعتراف بالبوسنة والهرسك، وهو اجراء استفتاء شعبي عام حول الاستقلال. لا شك بأن لجنة التحكيم الاوروبية كانت تعلم علم اليقين ان المناوشات والاستياءات الطائفية ستحول هذا الاستفتاء الى مواجهة بين الاحزاب الوطنية. ومن جهة ثانية، نظم الوسيط الاوروبي، بيتر كارينغتون، مؤتمراً منفصلاً حول البوسنة ـ والهرسك لم يدع الى حضوره سوى الاحزاب الوطنية الثلاثة. اقترح هذا المؤتمر، كمشروع سلام اول، تقسيم البوسنة الى «كانتونات» عرقية. بإهمالها حقيقة «التعددية الطائفية» في البوسنة ـ والهرسك، وبتحجيمها اياها داخل اطار احزاب وطنية وفضاءات جغرافية عرقية، ساهمت المجموعة الاوروبية في حرمان المجتمع البوسني من هامش المفاوضات الضيق الذي كان متبقياً امامه، وبالتالي في انزلاقه نحو الحرب.

٤ ـ حرب ضد المجتمع

اذا كان التفكك الطائفي للمجتمع البوسني قد زاد من حدّة الخلافات العرقية وغذى صفوف الاحزاب الوطنية، إلا انه اثار مقاومة قوية داخل المجتمع المدني نفسه. اعترضت بعض الاحزاب المحايدة ووسائل الاعلام والتنظيمات النقابية والحركات الطلابية وجمعيات دعاة السلام على غزو الاحزاب الوطنية التدريجي للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ولكن هذه الاحزاب الوطنية اجمعت على ادانة وخنق اية تظاهرة للمجتمع المدني، وذلك رغم الخلافات التي تعصف بها والتي تحولت، في نيسان/ابريل ١٩٩٢، الى حرب مفتوحة ودموية.

وصلت المواجهة بين المجتمع المدني والاحزاب الوطنية التي كانت تشكل الائتلاف الحاكم الى ذروتها في الخامس والسادس من نيسان/ ابريل ١٩٩٢، وهو التاريخ الذي ظهرت فيه اولى اعمال العنف المسلح في ضواحي مدينة سراييفو. في الخامس من نيسان/ ابريل، وبدعوة من الحركات السلمية والمنظمات النقابية تجمّع ما يقارب المئة ألف متظاهر امام البرلمان البوسني، حاملين شعارات مناوئة للاحزاب الوطنية وداعين الى اجراء انتخابات مُسبقة. اقتحموا الدور الاول من البرلمان، وشكلوا فيه «لجنة انقاذ وطني». وفي فترة ما بعد ظهر اليوم التالي (السادس من نيسان/ابريل)، تفرقت هذه المظاهرة وبصورة دموية: اطلق القناصة الصرب المتمركزين فوق سطح فندق «الهوليدي ان» النار على المتظاهرين والمعتصمين في البرلمان. وفي التاسع من نيسان/ابريل، اعلنت «لجنة الانقاذ الوطني» انحلالها.

واستمر المجتمع المدني في محاولته لمواجهة التطرف الطائفي للصف السياسي. وعندما شعرت الاحزاب الوطنية، في لحظة من اللحظات، بأنها مهددة بالخلخلة والزلزلة، انتقمت من المجتمع المدني، وذلك بإخال الحرب الى الحياة اليومية. انتهجت هذه الاحزاب، الى جانب الحرب العسكرية، مشروع تدمير النسيج الاجتماعي البوسني، وذلك عن طريق التهجير الاجباري للسكان، وهو التهجير الذي اطلق عليه لقب «التطهير العرقي» الذي مارسه الجيش الصربي والميليشيات الكرواتية بصورة نسقية. في حقيقة الامر، لم يكن «التطهير العرقي» يهدف الى جعل الاراضي المحتلة متشابهة سكانياً، وبالتالي تعزيز احتلالها والسيطرة عليها فحسب،

وانما كان يهدف، بالاضافة لذلك، الى اشراك المواطنين في الحرب، وتدمير ـ داخل المجتمع البوسني ـ كل ما يمكن ان يشكل حاجزاً امام منطق «الطائفية الوطنية».

٥ ـ حرب من اجل الاراضي

ألقت احداث الخامس والسادس من نيسان/ابريل ضوءاً ساطعاً على الاسباب والاحجام الداخلية للحرب البوسنية: «حرب مدنية» ـ اذا جاز القول ـ لأنها حرب ضد المجتمع المدني، ولكنها ليست حرباً اهلية، كما ذكرنا آنفاً. لهذا، يتوجب ان لا يغطّي مصطلح «الحرب المدنية» على حقيقة كونها حرب اعتداء خارجي وغزو جغرافي، ولا على حقيقة الاسباب والاحجام الخارجية للصراع. ولكنه ـ اي مصطلح الحرب المدنية ـ يسمح باستيعاب هذه الحقائق بصورة افضل: لا يمكن استيعاب التدخلات والعناصر الخارجية بمعزل عن منطق الملابسات الطائفية الخاصة بالبوسنة ـ والهرسك.

منذ عام ١٩٩٠، اقترح فرانكو توجمان، رئيس كرواتيا الجديد، تقسيماً جغرافياً جديداً للبوسنة ـ والهرسك كحل للخلافات الصربية ـ الكرواتية. نوقش هذا الاقتراح، على ما يبدو، اثناء لقاء سرّي بين الرئيسين الصربي ميلوسيفيك والكرواتي توجمان في الخامس والعشرين من آذار ١٩٩١، وعُرض على الرئيس البوسني ايزتبيغوفيش فيما بعد. ولكن هذا لا يعني ان صربيا وكرواتيا انتهجت، فيما يتعلق بالبوسنة، استراتيجيات ثابتة وخالية من الغموض. في آب ١٩٩١، ساعدت صربيا على توقيع «اتفاق تاريخي صربو ـ اسلامي» مر بين الحزب الديمقراطي الصربي والمنظمة الاسلامية البوسنية، يضمن هذا الاتفاق وحدة اراضي البوسنة ـ والهرسك مقابل بقائها داخل الفيدرالية اليوغوسلافية. في ١٨ آيار ١٩٩٢، وقعت كرواتيا والبوسنة، في زاغرب، اتفاق تعاون سياسي وعسكري. قبل ذلك بأسبوعين، واثناء اجتماع سري، رسم الزعيم الكرواتي بوبان، والزعيم الصربي رادوفان كرادزيك الخطوط العريضة لحل وسط جغرافي صربو ـ كرواتي في البوسنة ـ والهرسك.

٦ ـ الدولة البوسنية : الاعتراف والانشطار

في السابع من نيسان ١٩٩٢، غداة اعتراف المجموعة الاوروبية والولايات المتحدة الاميركية بالدولة البوسنية ، اعلن الصرب نشوء «جمهورية صرب البوسنة» المستقلة التي اتخذت من قرية بال (قرب سرايبفو) عاصمة لها، وانتخب رادوفان كارادزيك رئيساً. وفي الحال، سحب الحزب الديمقراطي الصربي ممثليه من الرئاسة الجماعية البوسنية، ودعا جميع الوزراء والموظفين ورجال البوليس الصرب الى الانفصال عن الدولة. في التاسع عشر من ايار، حال انسحاب الجيش اليوغوسلافي على اثر اصرار مجلس الامن في الامم المتحدة، تم انشاء -ليحل محله - «جيش جمهورية الصرب». يتكون هذا الجيش من وحدات من الجيش اليوغوسلافي، والدفاع الاقليمي في المناطق الصربية، ومن العديد من الميليشيات الصربية المحلية. حال انشائه، كان هذا الجيش يحتل ٦٠٪ من اراضي البوسنة ـ والهرسك، وتقع تحت نيرانه جميع طرق المواصلات وجميع المدن البوسنية وفي مقدمتها سرايبفو. في الثلاثين من ايار، بعد ثلاثة ايام من سقوط قذيفة قتلت ستة عشر شخصاً في العاصمة البوسنية، وفي الوقت الذي لم يكن فيه انسحاب الجيش اليوغوسلافي سوى ظاهري، اقر مجلس الامن في الامم المتحدة عقوبات اقتصادية على «الجمهورية الفيدرالية اليوغوسلافية» الجديدة التي تتكون من صربيا والمونتغرو. وفي الثامن والعشرين من حزيران، في الوقت الذي كان يبدو فيه التدخل العسكري العالمي ممكن وفعّال، توجه الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران الى سرايبفو واعلن فتح مطارها لأغراض انسانية تحت حماية قوات الأمم المتحدة («القبعات الزرقاء»). في اليوم التالي، جعل مجلس الامن الدولي اعلان الرئيس ميتران رسمياً. هكذا، امتدت مهمة قوات الامم المتحدة الى البوسنة ـ والهرسك.

في الثامن من نيسان، اعلنت الرئاسة الجماعية للبوسنة والهرسك حالة الاستنفار التام لقوات الدفاع الاقليمي الجمهوري، ومنحت مهلة اسبوع للميليشيات المتعددة التي ظهرت فوق الاراضي البوسنية للانضمام اليها. في اليوم نفسه، أنشأت «هيئة الدفاع الكرواتية»، ثم في الثالث من تموز، تمّ انشاء «المجمّع الكرواتي في هرسك ـ بوسنا» ويضم جميع الاراضي التي

تسيطر عليها «هيئة الدفاع الكرواتية». وفي الخامس من تموز، بعد ان فشلت في تجميع «وحدات الدفاع الاقليمي» و «هيئة الدفاع الكرواتية» تحت قيادة موحدة، اعلنت الرئاسة الجماعية انشاء «جيش البوسنة ـ والهرسك» كقوة عسكرية وحيدة للدولة البوسنية الفتية.

ماذا كانت تمثل هذه الدولة الفتية في ذلك الوقت؟ لم يكن نفوذها، الذي ترفضه جمهورية الصرب، وتعترف به «الهرسك ـ بوسنا» الكرواتية بصورة شكلية، منبسطاً سوى على ١٠٪ الى ١٥٪ من اراضي البوسنة. يحتل الصرب عسكرياً ٦٠٪ من الاراضي، اما الباقي، فيتقاسمه البوسنيون المسلمون والبوسنيون الكروات تقاسماً سياسياً ـ اذا جاز التعبير. كان هناك اتفاق ضمني على حل وسط بين الطرفين: يسمح الحزب الديمقراطي الكرواتي للرئيس ايزتبيغوفيش ومقربيه بالسيطرة على الرئاسة الجماعية وعلى الحكومة. وفي المقابل، يسمح حزب النشاط الديمقراطي بسيطرة هيئة الدفاع الكرواتية على الهرسك والبوسنة الوسطى.

٧ ـ المواجهات الكرواتيو ـ اسلامية

ازداد بروز هشاشة ولا معقولية هذا التحالف السياسي بين حزبين وطنيين كلما ازدادت المشاحنات وساءت العلاقات، محلياً، بين الجيش البوسني وهيئة الدفاع الكرواتية. اعتباراً من آذار ١٩٩٢، ادت الخلافات حول السيطرة على بعض مستودعات ومصانع الاسلحة الى نشوب معارك عنيفة بين الطرفين. والاهم من ذلك، اعتباراً من سبتمبر ١٩٩٢، تكاثرت الاشتباكات المسلحة بين الجيش البوسني وهيئة الدفاع الكرواتية في البوسنة الوسطى. وفي المناطق التي كانت تسيطر عليها، خصوصاً في الهرسك الغربية وموستار، مارست هيئة الدفاع الكرواتية سياسة التفرقة العنصرية ضد المسلمين، ونشرت الرعب في صفوفهم.

ثم تلاشى وهم التحالف بين حزب النشاط الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكرواتي، او بين الجيش البوسني وهيئة الدفاع الكرواتية بصورة سريعة. تجسد الحل الوسط الجغرافي الذي ذكرناه آنفاً والذي تم التوصل اليه سرياً بين الصربي كارادزيك والكرواتي بوبان بممارسات تعاون اقتصادي وعسكري محلي بين الجيش الصربي والحزب الديمقراطي الكرواتي. وعلى اثر

الأخذ بمبدأ التقسيم الجغرافي في مشروع سلام جديد اقترحه وسيط الامم المتحدة (سايروس فانس) ووسيط المجموعة الاوروبية (دافيد آون)، انذرت هيئة الدفاع الكرواتية الجيش البوسني بمغادرة الاراضي الذي حددها مشروع فانس - اون كأراض كرواتية. ادى هذا الانذار الى نشوب المواجهات المسلحة بين الجيش البوسني وهيئة الدفاع الكرواتية في ربيع ١٩٩٣. وانتهت هذه المواجهات بسحق هيئة الدفاع الكرواتية في زينيكا وفي تراڤنيك، وبمحاصرة الجيش البوسني في الجزء الغربي من مدينة موستار. ولم تستطع القوات الكرواتية في وسط البوسنة الصمود إلا بفضل مساندة الجيش الصربي.

مهما يكن من امر، فإن انقلاب التحالفات بهذه الصورة شائع ويخضع لإعتبارات عسكرية واقتصادية محلية. في الوقت الذي كانت هيئة الدفاع الكرواتية تتعاون فيه بصورة علنية مع الجيش الصربي في زيبس، كانت مندمجة مع الجيش البوسني في مناطق اخرى. وحينما كان الجيش الصربي يؤجر مدرعاته واسلحته الثقيلة لهيئة الدفاع الكرواتية في ڤار وكيسلجاك، كان يؤجر مدافعه للجيش البوسني المحاصر في موستار.

٨ - خلافات اسلامية - اسلامية

اذا كان من الممكن اعتبار مشروع فانس - أون كأحد العوامل التي اجّجت الحرب الكرواتو - اسلامية التي كانت لغاية ظهور هذا المشروع كامنة، فإن المشروع البديل الجديد الذي عرضه الوسطاء دافيد اون وتورڤالد ستولتنبيرغ (حل محل سايروس فانس) في تموز ١٩٩٣ يشكل بالتأكيد الصاعق الذي عجّل نشوب الازمة السياسية في صفوف الطائفة الاسلامية.

بعد ان اصبحت احتمالات التدخل العسكري العالمي ضئيلة للغاية، وبعد ان اعتنقت المجموعة العالمية فكرة تقسيم البوسنة الى ثلاثة مناطق عرقية، وهي فكرة الرئيس الصربي ميلوسيفيك والكرواتي توجمان، نشبت ازمة حادة داخل الرئاسة الجماعية البوسنية. تمثلت هذه الازمة في المواجهة بين المؤيدين للاستمرار في المفاوضات والداعين الى مقاطعتها، او بعبارة اخرى، المؤيدين لوحدة اراضي البوسنة - والهرسك المتعددة الاجناس والاعراق والموافقين على

التقسيم الجغرافي، لم يكن من الممكن التوصل الى حل وسط بين هذين الموقفين. في الوقت نفسه، ازدادت المخاشنات التي كانت تواجهها السلطة المركزية في سراييفو من طرف «فكرت عبديك»، الزعيم الاسلامي في كراجينا (اقليم بيخاش). اما المواطنون المسلمون فقد بدا عليهم اليأس والقنوط بسبب القصف الصربي الوحشي الاعمى للمدن، بسبب انقطاع المساعدات الانسانية، واخيراً، بسبب احتلال الصرب لجبل ايغمان في آب.

والحال هذا، اضطر الرئيس البوسني ايزتبيغوفيش الى اتخاذ موقف وسط يتمثل في استئناف المفاوضات في جنيف والقبول المشروط بمشروع «اون - ستولتنبيرغ». اعلن امام البرلمان البوسني المجتمع في سراييفو: «واجبنا اليوم هو ان ننقذ من البوسنة ما يمكن انقاذه». ثم عدد شروط موافقته على المشروع المذكور (منفذ على بحر الادرياتيك ونهر الساف، استعادة الاراضي التي كانت ذات اغلبية مسلمة في عام ١٩٩٢، ضمانات عسكرية من حلف شمال الاطلسي، ووجود عسكري اميركي).

اقر البرلمان الصربي هذا الموقف الوسط في التاسع والعشرين من آب، وتم التأكيد عليه في جلسة برلمانية اخرى بعد هذا التاريخ بثلاثة اشهر. سمح ذلك بإبعاد شبح الصراع بين حزب النشاط الديمقراطي الموافق على التقسيم الجغرافي واحزاب «المواطنين» المصرة على المحافظة على وحدة اراضي البوسنة - والهرسك. وفي المقابل، يتعارض هذا الموقف الوسط مع رغبة «فكرت عبديك» في السلام الفوري.

منذ ١٩٩٣، دعا فكرت عبديك الرئيس البوسني ايرتبيغوفيش علنياً الى القبول الفوري دون قيد او شرط لمشروع سلام «اون - ستولتنبيرغ» لأن الاستمرار في الحرب يؤدي - حسب رأيه - الى «تلاشي الشعب البوسني المسلم»، ثم اتهمه في شهر سبتمبر بأنه «عاشق حرب»، ودعا الى تنظيم استفتاء شعبي عام حول مشروع «اون - ستولتنبرغ». وبما انه لم يجد في باقي الاراضي البوسنية صدى لندااءته، اعلن عبديك في السابع والعشرين من سبتمبر نشوء «اقليم البوسنة الغربية المستقل». بعد ذلك بعدة ايام، اندلع القتال المسلح في كازينسكا وكراجينا بين انصار عبديك والفيلق البوسني الخامس الذي بقي وفياً للرئيس ايزتبيغوفيش. في هذه الاثناء،

كان مسلموا البوسنة على حافة الانشطار.

لم يكن المسلمون الوحيدين الذين واجهوا خلافات داخلية. ادت موافقة برلمان «جمهورية الصرب» وبرلمان «الهرسك ـ بوسنا » على مشروع «اون ـ ستولتنبرغ» الى ردود عنيفة في الطائفتين الصربية والكرواتية، خصوصاً في الاراضي التي يتوجب التخلي عنها بموجب المشروع. ولكن الصعوبات الاهم التي واجهتها «جمهورية صرب البوسنة» و «الهرسك ـ بوسنا » ترتبط بانتشار الجريمة والمافيا وشعور المواطنين المدنيين والمحاربين بالانهاك والاضناء. في العاشر من سبتمبر ١٩٩٣، تمرد لواءان صربيان واستوليا على بنجالوكا. ادان المتمردون كون «الجنود الصرب اصبحوا متسولين وغرباء في بلادهم». ما زالت كواليس واسباب ووقائع هذا التمرد الذي دام اسبوعين مجهولة. ولكنه يتوافق، زمنياً، مع التطبيعة التي حدثت بين الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيك والتيار الصربي المتطرف، ويتوافق ايضاً مع اولى اشارات التوتر بين صربيا و «جمهورية صرب البوسنة». ولكنه يعكس، على كل حال، تفاقم الخلاف بين صرب كراجينا البوسنية وصرب البوسنة الشرقية، بين صرب مدينة بنجالوكا وصرب «العاصمة ـ القرية»، بال.

٩ ـ المسلمون يتمالكون انفسهم

في مواجهة اخطار الانهيار السياسي والعسكري التام، اضطر حزب النشاط الديمقراطي الى اعادة اصلاح احوال الدولة واجراء تعديلات سياسية. في الخامس والعشرين من اكتوبر، عزلت الرئاسة الجماعية في جمهورية البوسنة والهرسك «بوراس» و «لازيك» و «عبديك» (معارضين)، وعينت بدلاً منهم «ديراكوفيك»، شيوعي سابقاً، و«كومزيك» رئيس حزب المزارعين الكروات في البوسنة، و «كلجوجيك» (مؤيدين). وفي اليوم نفسه، طلبت من سيلاجزيك، الذي كان وزيراً للخارجية، تشكيل حكومة جديدة.

تعبر حكومة سيلاجزيك عن تبديل التحالف الغامض بين حزب النشاط الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكرواتي بتحالف بين حزب النشاط الديمقراطي واحزاب المواطنين، وعن

تعزيز الروابط بين الحكومة المركزية والاقاليم، وذلك بتعيين اربع وزراء مكلفين بالتعاون الاقليمي (مع توزلا، زينيكا، موستار، وبيخاش).

ومن اهم رموز اعادة اصلاح الدولة البوسنية هو ما حدث في السادس والعشرين من اكتوبر: اقصى الرئيس ايزتبيغوفيش زعماء الميليشيات البوسنية، ودمجها في الجيش البوسني. وفي اليوم نفسه، اقال سيفر هاليلوفيك، قائد الجيش البوسني الذي كان يتزعم اللوبي السانجاكي (المؤيد لتمرد المسلمين داخل السانجاك الصربية) داخل الجيش نفسه، ووضعه تحت الاقامة الاجبارية. هكذا، بسطت السلطة المركزية في سراييفو نفوذها على جميع الاراضي الواقعة تحت السيطرة البوسنية.

١٠ ـ انشاء الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية

سيؤدي هذا الاصلاح، وستؤدي هذه التعديلات بعد وقت ليس بطويل الى انعكاس ميزان القوى فيما يتعلق بالصراع الكرواتو ـ اسلامي. في نوفمبر ١٩٩٣، استولى الجيش البوسني على مدينة ڤار، مما يضمن الاستمرارية الجغرافية بين توزلا وزينيكا، ويحصر التواجد الكرواتي في البوسنة الوسطى في جيوب صغيرة، ومعزولة ومتعبة. صحيح ان التدخل العسكري المباشر للجيش الكرواتي يحول دون ان تهزم «الهرسك ـ بوسنا» هزيمة ساحقة، ولكنه يُعجل وقوع ازمة سياسية داخل كرواتيا. اذ كان زعماء احزاب المعارضة والكنيسة الكاثوليكية، وايضاً بعض زعماء حزب التجمع الديمقراطي الكرواتي يتهمون وزير الدفاع، سوزاك، اهم ممثلي اللوبي الهرسكي في زاغرب، بأنه ضحّى بالسكان الكروات في البوسنة الوسطى في سبيل «الهرسك ـ بوسنا». ولا شك بأن تدخل الجيش الكرواتي لانقاذ الاخيرة يعزز هذه الاتهامات.

في هذه الاثناء، وضع مجلس الامن الدولي كرواتيا، بدورها، تحت تهديد العقوبات الاقتصادية. نتيجة لهذا التهديد وللازمة السياسية في كرواتيا، تسارعت الاحداث بصورة مذهلة: في الثامن من فبراير، عُزل بوبان، زعيم كروات البوسنة المتحالف (تارة بصورة سرية

وتارة اخرى علنياً) مع الصرب، وعين مكانه كريسيمير زوباك رئيساً «للهرسك ـ بوسنا». في العاشر منه، بعد قصف دموي صربي على مدينة سرايفو، هدد حلف شمال الاطلسي الصرب بقصف جوي على مواقعهم اذا لم يسحبوا اسلحتهم الثقيلة خارج دائرة نصف قطرها عشرين كيلومتر حول مدينة سرايفو، وقد فعل عند انتهاء المهلة في الحادي والعشرين. وفي الاول من آذار، وقّع رئيس الحكومة البوسنية، سيلاجزيك، ووزير الخارجية الكرواتي، مات غرانيك، اتفاقاً يضع حداً للصراع الكرواتي الاسلامي ويؤسس الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية التي تشكل بدورها كونفدرالية مع كرواتيا.

من اجل الحيلولة دون انهيارها، وافقت الطائفة الكرواتية، على الاقل شكلياً، على الاندماج داخل الاطار المؤسسي والدستوري البوسني. يمكن القول، اذن، ان الازمتان السياسيتان الداخليتان اللتان اصابتا الطائفة الاسلامية والطائفة الكرواتية هما اللتان سمحتا، بدفع من الديبلوماسية الاميركية، بانشاء الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية. لا شك بأن هذه الفيدرالية كانت تعتبر خطوة اولى لإعادة توحيد البوسنة ـ والهرسك، او توحيد جزء منها على الاقل، ولكن تبين ان هذه الخطوة ليست سوى نظرية. اذ من الناحية العملية، اقتصرت هذه الفيدرالية (في الوقت الذي اكتب فيه هذه السطور، حزيران ١٩٩٦) على تعاون عسكري املته الضرورة على جيشين بقيا منفصلان، وعلى مشروع دستوري ومؤسسي في غاية الصعوبة والتعقيد، ولكن عقيم وغير فعّال. في حقيقة الامر، يدعو تواجد ثلاث كيانات (جمهورية البوسنة والهرسك، والفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية، وجمهورية الهرسك ـ بوسنا) في دولة واحدة، ويدعو احتكار او شل حركة الهيئات والمؤسسات على المستوى المحلي والكانتوني الى الاعتقاد بأن الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية لا تتعارض مع سياق تشكيل دويلات وطنية فوق الاراضي البوسنية.

١١ ـ ازمة الجمهورية الصربية:

في الوقت نفسه، ازدادت حدّة الازمة السياسية الداخلية الصربية التي عبّر عنها التمرد

العسكري في بنجالوكا في سبتمبر ١٩٩٣. في الوقت الذي استطاعت فيه الدولة البوسنية تنظيم اقتصادها، اصيبت اقتصادات «جمهورية صرب البوسنة» وصربيا والمتنغرو بالاختناق الخارجي بسبب العقوبات الاقتصادية التي فرضها مجلس الامن الدولي في ايار ١٩٩٢، وبالاختناق الداخلي بسبب تفاقم الجريمة والتهريب والمافيا دون حدود. في «جمهورية صرب البوسنة»، تُرجم هذا الاختناق بتفكك وانشطار جهاز الدولة لصالح شبكات غير شرعية ومافيوزيه، بالاضناء المادي والمعنوي للجيوش، وبانهيار ديمغرافي نتج عن طرد السكان غير الصرب بقدر ما نتج عن استراتيجية هرب شخصي في صفوف السكان الصرب انفسهم.

اما صربيا، ففي محاولة للحصول على رفع للعقوبات الاقتصادية، السبيل الوحيد لتصحيح اقتصادها، والتالي للاحتفاظ بتفوقها العسكري، فقد ضغطت على زعماء «جمهورية صرب البوسنة» ليوافقوا على مشروع السلام الجديد الذي عرضته «مجموعة الاتصال» (اميركا، روسيا، فرنسا، بريطانيا، المانيا) في تموز ١٩٩٤. بعد ذلك بشهر، رفضت جمهورية صرب البوسنة هذا المشروع، مما دعا صربيا الى فرض حظر اقتصادي عليها. ورغم ان هذا الحظر لم يكن سوى ظاهرياً، إلا انه مثل بداية القطيعة بين صربيا وصرب البوسنة، وادى الى وقوع ازمة حادة في صفوف هؤلاء.

وفي خريف ١٩٩٤، ادت اولى الهزائم العسكرية الصربية في كرواتيا (انهيار سلاڤونيا الغربية) وفي البوسنة - والهرسك (فقدان جبل ڤلازيك وسهل ليڤنو) الى ازدياد حدّة الخصومات والانشقاقات داخل الطائفة الصربية - البوسنية. في «جمهورية صرب كراجينا» (كرواتيا) انتهت الخلافات بين الرئيس مارتيك ورئيس وزرائه ميكليك (مقرب من سلوبودان ميلوسيفيك) بعزل الثاني. وفي «جمهورية صرب البوسنة» ازدادت حدّة الخلافات السياسية والاقليمية التي نشبت في وقت سابق، وظهر الى جانبها خلافات حادة بين الجهاز السياسي الذي يسيطر عليه رادوفان كارادزيك، والجهاز القيادي العسكري الذي يتكون من عدد من الضباط السابقين في الجيش اليوغوسلافي ويتزعمه الجنرال راتكو مالديك. في نيسان، طلب الاخير من «برلمان» الصرب الاختيار، قبل ان يفوت الاوان، بين اعلان حالة حرب شاملة

لمواجهة التحديات العسكرية القادمة، او القبول بالحل الوسط المتمثل في التقسيم الجغرافي. ضائعون بين اوهام السلطة والفساد المالي المافيوزي، لم يستجب النواب الصرب لهذا النداء.

١٢ ـ منعطف صيف ١٩٩٥:

كالفترة الواقعة بين فبراير وآذار ١٩٩٤، شهدت تلك الواقعة بين ايار وسبتمبر ١٩٩٥ تسارعاً مفاجئاً للاحداث. برهنت عملية احتجاز ثلاثمائة جندي من قوات الامم المتحدة (القبعات الزرقاء) كرهائن رداً على قصف جوي قام به حلف شمال الاطلسي، وبرهنت عملية سحق الجيوب الاسلامية المدنية المحاصرة المعلنة تحت حماية الامم المتحدة (زيبا وسيربرنيكا) في تموز على تمادي الصرب في الفحشاء وعلى تفوقهم العسكري. واذا كانت هذه التصرفات الصربية قد اثبتت فشل قوات الامم المتحدة في مهمتها، فإنها اضطرت المجموعة العالمية الى اعادة النظر في توجهاتها. في الخامس عشر من حزيران، صوتت الامم المتحدة لصالح انشاء «قوات تدخل سريع» اكثر «هجومية» واكثر فعالية من القبعات الزرقاء. في الحادي والعشرين من تموز، اقرت «مجموعة الاتصال» المجتمعة في لندن عمليات قصف كثيف على المواقع الصربية، كُلف بها حلف شمال الاطلسي. في هذه الاثناء، وبموجب اتفاق سبليت في الثاني والعشرين من تموز، عزز الجيش البوسني والجيش الكرواتي تعاونهما العسكري.

وفي نهاية تموز، عندما حاولت جيوش «جمهورية صرب البوسنة» و «جمهورية صرب كراجينا» بمساندة قوات فكرت عبديك (المسلم المنشق) سحق جيب بيخاش الاسلامي المحاصر، شنت القوات الكرواتية هجوماً مضاداً دام ايام قلائل وأدى الى تلاشي «جمهورية صرب كراجينا» والاقليم الصربي المستقل في البوسنة الغربية، وبالتالي الى فك الحصار الذي دام ثلاث سنوات حول مدينة بيخاش. بعد ذلك بشهر، في الثامن والعشرين من آب، ادى قصف صربي عشوائي دموي جديد على مدينة سراييفو الى البدء في عملية «القوة الاختيارية» التي تمثلت في قصف جوي كثيف شنه حلف شمال الاطلسي، وقصف مدفعي شنته قوات التدخل السريع على المنشآت العسكرية الصربية. اغتنمت القوات البوسنية والقوات الكرواتية، في

البوسنة الغربية والوسطى، هذه المناسبة لتعزيز خطوط جبهاتها التي بقيت تقريباً ثابتة منذ خريف عام ١٩٩٢، ولإستعادة ١٥٪ الى ٢٠٪ من اراضي البوسنة في غضون اسابيع قليلة. في الخامس من اكتوبر، تم التوقيع على وقف لاطلاق النار يجمد خطوط الجبهات الجديدة.

ادى انعكاس ميزان القوى العسكرية بهذه الصورة السريعة والمدهشة الى تفاقم الازمة السياسية، وانفجار الوضع الداخلي الصربي. منذ آب، ظهر الخلاف بين الجهاز السياسي والجهاز العسكري الى العلن عندما اقال الزعيم رادوفان كرادزيك الزعيم العسكري راتكو ماليك، ورفض الاخير، اعتماداً على مساندة الضباط، التخلي عن منصبه كقائد عام. في اكتوبر، في الوقت الذي كانت فيه بنجالوكا تغرق في بحر من اللاجئين الصرب، تشكلت «الجبهة الوطنية» بمساندة الجيش واحزاب المعارضة وجمعيات المحاربين القدامى وطلبت، بدورها، اقالة الزعيم السياسي رادوفان كرادزيك. التجأ الاخير الى اقليم سراييفو حيث استطاع السيطرة على قيادة الجيش فيه، في حين خرجت بنجالوكا واقليمها من نفوذه، واعلنت الهرسك الشرقية استقلالها الذاتي. اصبحت «جمهورية صرب البوسنة» مبعثرة.

تزامن انعكاس ميزان القوى هذا مع انعكاس من نوع آخر: ديبلوماسي. في تموز، حلّ الوسيط الاميركي محل الوسيطين الاوروبي و «الامم - متحدي»، وعرض مشروع سلام جديد. في نهاية آب، فتحت موافقة «جمهورية صرب البوسنة» على هذا المشروع، وفتح الضوء الاخضر الذي منحه اياه رئيس صربيا سلوبودان ميلوسيفيك الطريق امام مفاوضات مكثفة. اعتباراً من سبتمبر، وضعت اتفاقات جنيف ونيويورك أسس حل وسط دستوري ومؤسسي وجغرافي في البوسنة - والهرسك. وفي الفترة الواقعة بين الاول والحادي والعشرين من نوفمبر، استؤنفت مفاوضات جاهدة في دايتون في الولايات المتحدة الاميركية، ونتجت عنها عدة اتفاقات من شأنها ان تضع حداً للصراعات الناتجة عن الازمة اليوغوسلافية، وفي مقدمتها الصراع البوسني. وفي الثاني والعشرين من نوفمبر، صوت مجلس الامن لصالح قرار رفع الحظر على تصدير الاسلحة للجمهوريات الناتجة عن انشطار يوغوسلافيا، وايضاً رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على صربيا والمونتنغرو. وفي الوقت ذاته، نُشرت قوات عالمية

جديدة الـ «ايفور» (او «قوات التطبيق») بمشاركة الولايات المتحدة الاميركية، حلت هذه القوات محل قوات التدخل السريع، وكُلفت بتطبيق اتفاقات دايتون.

ما هي، بالضبط، طبيعة واحجام هذه الانعكاسات العسكرية والديبلوماسية؟ في حقيقة الامر، بين عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٥، كان اثر الهجومات العسكرية على الوضع الجغرافي اقل من اثر الازمات السياسية التي نتجت عنها عليه. واذا كان الانهيار والانشطار الجغرافي «لجمهورية صرب البوسنة» يعبر عن ضنك عسكري ومعنوي لا جدل حوله، فإن الجيش الصربي، نفسه، قد زاد، بدون شك، من احجام هذا الانهيار، بل خطط له مسبقاً. كان باستطاعة الجيش اليوغوسلافي (جيش صربيا والمونتغرو) ان يعيد ميل ميزان القوى لصالح حلفائه صرب البوسنة، اما الهجوم الكرواتي على كراجينا والذي نتج عنه سحق «جمهورية الصرب» فيها، فلم يتم إلا بعد ان اخبرت صربيا كرواتيا ـ سرّياً طبعاً ـ بأنها لن تتدخل عسكرياً. لا شك بأن تطورات التشكيلات السياسية، بين الطوائف وداخل كل طائفة منها، كانت اكثر اهمية واثراً من تطورات موازين القوى العسكرية.

والحال هذا، ادت احداث صيف ١٩٩٥ الى ولادة تركيبة سياسية جديدة، مرت مرور الكرام دون ان تلفت نظر احد، ولكنها تحمل في ثناياها بذور توتر مستقبلي. ازال اختفاء «جمهورية صرب كراجينا» العائق الوحيد امام التقارب بين صربيا وكرواتيا، وذلك في الوقت الذي اصبحت فيه مسألة السيطرة على الاراضي التي استعادتها الجيوش الكرواتية والبوسنية عامل توتر اضافي داخل الكونفدرالية الكرواتو ـ اسلامية. اما تشقق «جمهورية صرب البوسنة» فقد سهل سيطرة صربيا عليها، وهذا ما يدخل ضمن اطار الاستمرارية التامة لديناميكية نشوء صربيا الكبرى.

واخيراً، وعلى المستوى العالمي، اقتبس مشروع الوسيط الاميركي ريتشارد هولبروك الجوانب الرئيسية في مشروع «مجموعة الاتصال»، وهي، التقسيم الجغرافي بين الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية (٥١٪) وجمهورية صرب البوسنة (٤٩٪)، وانشاء روابط كونفدرالية بين هذين الكيانين وكرواتيا من جهة، وصربيا من جهة ثانية. وقد اضافت مسألة انشاء اطار

مؤسسي ودستوري مشترك للفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية ولجمهورية الصرب مستوى جديداً الى مستويات السيادة المتنافسة التي اصبحتها البوسنة ـ والهرسك، وهي:

١ ـ جمهورية البوسنة والهرسك.

٢ ـ الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية.

٣ ـ جمهورية الهرسك ـ بوسنا.

٤ ـ الكونفدرالية «الكرواتو ـ اسلامية» ـ كرواتية.

٥ ـ كونفدرالية صرب البوسنة ـ صربيا.

نستطيع القول ان اتفاقات دايتون معقدة وصبعة التطبيق، ان لم نقل مستحيلتهُ. وستؤدي، ان عاجلاً ام آجلاً، الى نشوء كيانات (او دول) منفصلة ومتجانسة.

خاتمة

اختمرت «الفكرة اليوغوسلافية»، او فكرة توحيد سلاف الجنوب في اذهان مثقفي عصر الامبراطورية النمساوية. وكانت الفكرة في ذلك الوقت رائعة: تجميع هذه الشعوب، المتقاربة لغوياً، والمختلطة جغرافياً؛ وتوحيدها على قدم المساواة، داخل اطار من الاحترام المتبادل للمميزات الثقافية والتاريخية التي اكتشفها المؤرخون ونمّاها الشعراء؛ ثم احاطة هذا كله بأحجام قوّة اوروبية. نستطيع ان نتفهم، إذن، لماذا الهب هذا الحلم الجميل الخيالات خلال القرن الماضي.

ومع ذلك، وحال تحقيقه في عام ١٩١٨، تحوّل الحلم الجميل الى كابوس ثقيل. اذ كانت الدولة التي نشأت، يوغوسلافيا الملكية، المصنوعة بقوة السلاح، بين يدي شعب واحد ذو تقاليد مركزية. لم يكن الامر يتعلق باتحاد على قدم المساواة، وانما بسيطرة شعب على الشعوب الاخرى. لم يتم احترام التقاليد التاريخية لهذه الشعوب الاخرى. ومن هنا تولّد لدى العديد منها (الكروات، المقدونيين، الالبانيين) الحقد على هذه الدولة.

وبعد مرور عشرين عام، ظهر املٌ جميلٌ في الأفق بعد التوقيع على الحل الوسط التاريخي الصربو ـ كرواتي في عام ١٩٣٩: انطفأ الأمل الجميل بعد شهر من ظهوره بسبب الغزو النازي. وخلال اعوام اربعة من الحرب، ادت المجازر المتبادلة، اولها محاولات نظام الاوستاشي الكرواتي القضاء على الشعب الصربي، وثانيها الانتقام الصربي من الكروات والمسلمين الذين لم يسيئوا اليهم من ذي قبل، الى تغذية الاحقاد. وجاء تيتو، الصارم المحنك الذكي الماهر، ولكن الطاغية، ليُخضع البلاد الى اربعين عام من الحكم الشيوعي. كان من الممكن ان نأمل، بعد زوال الديكتاتورية الشيوعية، ان تشفى الاحقاد وتلتئم الجروح وتحدث تطورات ديمقراطية على غرار تلك التي حدثت في بعض الدول المجاورة. ولكن ذلك كان صعب

المنال. لغاية موت تيتو، فُرضت الحياة المشتركة على هذه الشعوب بالقوة، ورغم ارادتها. ويتعلق الأمر الآن (اي حين موت تيتو) بجعلها توافق، لأول مرة في التاريخ على الوحدة بصورة ارادية، وعن طريق الاختيار الديمقراطي. ولكن ذلك كان يتطلب الكثير من الحذر، والحلول الوسط، وَالتنازلات المتبادلة.

وحدث العكس تماماً. اعتباراً من نهاية الثمانينات، وقبل ان تبدأ الديمقراطية مسيرتها، واجهت الفكرة اليوغوسلافية اعتداءاً ثالثاً عُضالاً. وكان سلوبودان ميلوسيفيك هو الذي وجّه اليها الضربة القاضية. نبش الجروح القديمة. طوّر، لدى الجماهير الصربية، اعتماداً على وسائل الاعلام والدعاية الكاذبة والاشاعات، فكرة الاستثنائية الصربية والحقد تجاه الجيران. دمّر التوازن القائم في غضون اشهر قليلة، واعاد البلاد، بصورة مفاجئة، خمسين عاماً الى الوراء، الى الاحقاد والدماء. عطّل الديمقراطية في صربيا نفسها، وجعل التعايش مستحيلاً، وبصورة نهائية، مع جيرانها.

انطلاقاً من ذلك، لا يمكن للعنف إلا ان يتسلسل. في باقي انحاء البلاد، في سلوفانيا وكرواتيا والبوسنة ـ والهرسك، يستمر التطور الديمقراطي تدريجياً، ولكنه لا يمكن ان يؤدي إلا الى الانفصال. لا يمكن ان تخضع هذه الشعوب ارادياً لمن يعلنون انفسهم اعداءاً. اضف لذلك ان الديمقراطية كانت تتحقق تحت التهديد، والقدح، والمسبّة والشتائم والوشاية والافتراء. لهذا، فإن الاختيارات الديمقراطية التي تتحقق في مناخ كهذا، خصوصاً في كرواتيا، لا يمكن ان تجلب الى السلطة الاكثر اعتدالاً والاكثر حنكة ومهارة. سهّلت اخطاء الزعماء الكروات الجدد مهمة هؤلاء الذين، في بلغراد، يبنون آمالهم على الحرب.

وفاجأت الاحداث الغربيين الذين لم يستطيعوا استخدام قوتهم للتدخل في الوقت المناسب وبالاسلوب المناسب، للحيلولة دون تفاقم الاسى. اعتقدوا ان يوغوسلافيا كانت موجودة، ولم يفهموا انه كان من المفترض انشاؤها في عام ١٩٨٦، وان هذا الانشاء اصبح مستحيلاً في عام ١٩٩٠. تصوروا ان التركيبات الفيدرالية الموروثة عن الديكتاتورية الشيوعية التيتوية يمكن ان تساعد على بناء السلام. لم يلاحظوا انها ليست سوى نسيجاً

تالفاً تتلف شظاياه الاجزاء التي ما زالت حيّة في الجمهوريات.

لم تكن البوسنة ـ والهرسك طرفاً في الصراع عند بدايته، كانت محايدة وما برح زعماؤها ومواطنوها يدعون الى السلام والاحتفاظ بوحدة اراضيها. رغم حيادها، ورغم دعواتها السلمية، دفعت في هذه الحرب الثمن الابهظ من الدماء والاعراض. كان بإمكان الغرب، لو كان وفياً للمبادئ التي ينادي بها، ان يُعاقب المعتدي، ان يحذر الجيش من ممارسة الاعتداء؛ لو انه، في الاشهر الاولى من الحرب (تلت اشهر حرب الخليج بقليل) ضغط ضغطاً صارماً على جميع الجمهوريات دون استثناء لإجبارها على احترام حقوق الاقليات، لما حدثت المجازر.

صحيح ان تدخل الغرب بهذه الصورة الصارمة يؤدي الى وضع حدّ للهيمنة الصربية، والغرب قادر على ذلك. ولكنه يؤدي ايضاً، او بالنتيجة، الى استقلال جميع الجمهوريات وسيادتها على اراضيها بما في ذلك جمهورية البوسنة ـ والهرسك، يعني: نشوء جمهورية اسلامية في قلب اوروبا. وهذا ما يحاول الغرب تلافيه. اما جمهورية البوسنة ـ والهرسك التي تمخضت عنها اتفاقات دايتون، فهي في غاية الهشاشة، ويحيط الغموض الشديد بمستقبلها.

بدأتُ الحديث عن الفوضى العالمية الجديدة، وعن الفوضى العالمية الجديدة اختمه.

وكتبت عن يوغوسلافيا، كنموذج دفع فيه المسلمون من دمائهم واعراضهم واموالهم ثمن هذه الفوضى باهظاً.

وكتب آخرون، او حتماً سيكتبون، عن نماذج اخرى: الصومال، لبنان، افغانستان، فلسطين، القوقاز، الشاشان... والقائمة طويلة، يدفع فيها المسلمون، ايضاً من دمائهم واموالهم ثمن هذه الفوضى باهظاً.

ويوصف المسلمون الذين يسكتون ازاء هذا الوضع بالمعتدلين.

ويوصف الذين لا يسكتون بالمتطرفين.

ولا استطيع إلا ان اتوقف هنا.. في هذه الخاتمة.

فما تبقى من الخاتمة يخيّم عليه السكون.

ملاحق

الملحق الاول

مشاريع السلام

يمكن تقسيم مبادرات السلام في يوغوسلافيا السابقة الى عدة مراحل، حسب اهم الاطراف والجهات العالمية التي اشرفت عليها.

١ ـ المرحلة الاوروبية : (حزيران/ يونيو ـ ايلول/ سبتمبر ١٩٩١)

تنص اتفاقات بريوني التي تمّ التوقيع عليها في ٧ تموز ١٩٩١ بمبادرة من دول المجموعة الاوروبية المشتركة (لم يكن الاتحاد الاوروبي قائماً) على تعليق استقلال سلوفانيا وكرواتيا لمدّة ثلاثة اشهر، وعودة الجيش الفيدرالي الى ثكناته ثم انسحابه من سلوفانيا، وارسال مراقبين دوليين. وفي السابع من سبتمبر، في الوقت الذي بدأت تشتد فيه حدّة المعارك في كرواتيا، افتتح المؤتمر العالمي للسلام في لاهاي برئاسة ممثل المجموعة الاوروبية لورد بيتر كارينغتون، واقرّ مجموعة مبادئ عامة لحل الازمة اليوغوسلافية: عدم تغير الحدود بالقوة، احترام حقوق الاقليات، والاعتراف بالاستقلالات ـ اذا جاز جمع كلمة الاستقلال ـ بعد حل المشاكل المترتبة على انشطار الفيدرالية.

٢ ـ المرحلة الاوروبية الامم ـ متحدية المشتركة :

(تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٩١ ـ تموز/ يوليو ١٩٩٢)

بعد ازدياد حدّة المعارك الصربو ـ كرواتية، وبسبب الخلافات والاختلافات فيما بينها حول الاعتراف بسلوفانيا وكرواتيا، اضطرت دول المجموعة الاوروبية الى الاستنجاد بالامم المتحدة. عندئذ، ظهر اقتسام المهمات بين لورد كارينغتون الذي يرأس مؤتمر السلام المذكور اعلاه، وسايروس فانس، ممثل الامم المتحدة الذي يتفاوض من اجل وقف أطلاق النار ونشر

قوات الامم المتحدة (فوربرونو) في كرواتيا. وفي فبراير عام ١٩٩٢، انشأ لورد كارينغتون مؤتمر سلام خاص بالبوسنة ـ والهرسك يرأسه جوزيه كوتيليريو. اقترح هنا المؤتمر مشروعاً يقضي بتقسيم البوسنة ـ والهرسك الى كانتونات عرقية: تنتمي كل بلدية الى الكانتون المسلم، او الصربي، او الكرواتي اعتماداً على الاغلبية (المطلقة او النسبية) العرقية فيها.

٣ ـ المرحلة الامم ـ متحدية الاولى : (تموز/يوليو ـ ايار/مايو ١٩٩٣)

ادى انشطار يوغوسلافيا وازدياد حدّة المعارك في البوسنة والهرسك الى امحاء المجموعة الاوروبية لصالح الامم المتحدة. في تموز عام ١٩٩٢، انعقد في لندن المؤتمر العالمي من اجل اعادة تنظيم مبادرات السلام في يوغوسلافيا، برئاسة سايروس فانس ولورد اون (حل محل كارينغتون الذي استقال). رفض هذا المؤتمر مبدأ تقسيم البوسنة ـ والهرسك الذي ورد في مشروع كوتيليريو. ومع ذلك، فأن المشروع الذي اقترحه سايروس فانس ولورد اون، في يناير عام ١٩٩٣، يعتمد على هذا المبدأ، ذلك لأنه يدعو الى تشكيل «اقاليم» في البوسنة ـ والهرسك.

وبالتحديد، يدعو مشروع سايروس فانس ولورد اون، او مشروع «فانس ـ اون» الى تشكيل دولة لا مركزية في البوسنة والهرسك (رئاسة جماعية، حكومة مركزية، ومحكمة دستورية)، مقسومة الى عشرة اقاليم: ثلاثة اسلامية، ثلاثة صربية، ثلاثة كرواتية، واقليم مختلط في العاصمة سراييفو وضواحيها. يرأس كل اقليم من هذه الاقاليم حكام ونواب حكام يمثلون الطوائف الثلاثة (مثال بالنسبة لاقليم اسلامي: حاكم مسلم، نائب حاكم صربي ونائب حاكم كرواتي)، يمارسون اهم الصلاحيات السياسية الداخلية، ولا يمتلكون صلاحيات تذكر فيما يتعلق بالسياسة الخارجية والديبلوماسية العالمية. ويقضي المشروع، ايضاً، بأن تكون البوسنة ـ والهرسك خالية من السلاح، ويتم نشر قوات بوليس عالمية لضمان تطبيق الاتفاق. وافقت «الهرسك ـ بوسنا» الكرواتية بحماس على هذا المشروع، ووافقت عليه الدولة البوسنية بترد، ورفضه برلمان صرب البوسنة في ايار ١٩٩٣.

٤ ـ المرحلة الامم ـ متحدية الثانية :

(ايار/ مايو ١٩٩٣ـ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤)

في ٢٢ آذار ١٩٩٣، اجتمع عدد من الدول المعنية بالازمة اليوغوسلافية (الولايات المتحدة الاميركية، روسيا، بريطانيا، فرنسا، واسبانيا) في واشنطن لدراسة الاثار المترتبة على فشل مشروع فانس ـ اون، ولكن البرنامج الذي حددته هذه الدول يؤكد فقط على ضرورة انشاء «مناطق امنية». والحال هذا، استمر مؤتمر السلام السابق. استقال سايروس فانس وحل محله تورفالد ستولتنبرغ. وفي تموز، عرض الوسيطان مشروع سلام جديد يرمي الى انشاء «اتحاد جمهوريات البوسنة ـ والهرسك» ووضعاً خاصاً بالنسبة لسرايبفو وموستار.

وبالتحديد، يهدف مشروع «اون ـ ستولتنرغ» الى تقسيم البوسنة ـ والهرسك الى ثلاث جمهوريات تشكل اتحاداً، حسب التوزيع الجغرافي التالي: ٥١٪ من الاراضي للصرب، ٣٠٪ للجمهورية البوسنية، ١٦٪ للكروات، وتبقى سرايبفو وموستار (٣٪) تحت اشراف المجموعة العالمية. تمتلك كل من هذه الجمهوريات الثلاثة دستورها الخاص، ولكنها لا تمتلك اية صلاحيات عالمية. ويكون اتحاد جمهوريات البوسنة ـ والهرسك الذي يتكون منها اعزلاً من السلاح، ويمتلك هيئات وموسسات مركزية (رئاسة جماعية، برلمان مركزي، حكومة مركزية) ذات صلاحيات متواضعة.

وقد وضع البرلمان البوسني، مرتين، بعض الشروط (تعديلات حدودية، ضمانات عالمية .. الخ) قبل الموافقة على هذا المشروع . ثم تم التخلي عنه في بداية عام ١٩٩٤.

٥ ـ مرحلة «مجموعة الاتصال»

(شباط/ فبراير ١٩٩٤ ـ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٩٤)

جرت بإشراف الولايات المتحدة الاميركية وتحت ضغوطها مفاوضات موازية بين الممثلين المسلمين والممثلين الكروات نتج عنها، في الاول من آذار، «اتفاقات واشنطن» التي تم

توقيعها رسمياً في الثامن عشر منه. تقضي هذه الاتفاقات بانشاء الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية التي تشكل بدورها كونفدرالية مع كرواتيا. وتم التوقيع ايضاً على اتفاق آخر يقضي بوضع مدينة موستار المنقسمة بين بلدتين، مسلمة وكرواتية، تحت اشراف الاتحاد الاوروبي وادارته. بعد ذلك بقليل، اي في شهر نيسان، تم تشكيل «مجموعة الاتصال» (الولايات المتحدة الاميركية، روسيا، بريطانيا، فرنسا، المانيا) التي اوكلت اليها مهمة تعزيز التعاون بين القوى العظمى. وفي تموز ١٩٩٤، اقترحت هذه المجموعة مشروع سلام يقضي بالتقسيم الجغرافي التالي: ٥١٪ من الاراضي للفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية، و ٤٩٪ منها للهوية الصربية. وينص مشروع مجموعة الاتصال بالاضافة لذلك على ان تمتلك كل من الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية والهوية الصربية دستورها الخاص وقواتها المسلحة الخاصة وصلاحيات عالمية محدودة. تشكل هاتان الهويتان اتحاد البوسنة ـ والهرسك الذي يمارس الصلاحيات والمهمات العالمية الضرورية لبقائه عضواً في الامم المتحدة. وفي ديسمبر ١٩٩٤، تم التوقيع على ملحق لهذا المشروع (بمبادرة فرنسية بريطانية) يسمح للهوية الصربية بتشكيل كونفدرالية مع الجمهورية الفيدرالية اليوغوسلافية (صربيا والمونتنغرو) على غرار الكونفدرالية «الكرواتو ـ اسلامية» ـ كرواتية.

رغم تحذيرات وتهديدات مجموعة الاتصال، ورغم ضغوط الجمهورية الفيدرالية اليوغوسلافية، رفض برلمان «جمهورية صرب البوسنة» هذا المشروع بعد شهر من اعلانه.

٦ ـ مرحلة الشتات : (كانون الثاني/ديسمبر ١٩٩٤ ـ ايار/ مايو ١٩٩٥)

ادى فشل مشروع مجموعة الاتصال الى تبعثر وشتات جهود المجموعة العالمية: بدعوة من رادوفان كرادزيك، قام الرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر بجولة في البوسنة ـ والهرسك وحصل على توقيع اتفاق لوقف اطلاق النار لمدة اربعة اشهر، اقترحت الديبلوماسية الفرنسية فكرة الاعتراف المتبادل بين الجمهوريات الناتجة عن انشطار يوغوسلافيا؛ واعلن سكرتير الخارجية الاميركية وارن كريستوفر انه على استعداد للتفاوض مباشرة مع جمهورية صرب

البوسنة رغم ان مجلس الامن الدولي يدين هذا النوع من الاتصالات. وفي ايار، استقال لورد اون حل محله كارل بيلدت. بعد شهر من ذلك، صوت ممثلون اميركيون على رفع الحظر عن تصدير الاسلحة للبوسنة رغم معارضة الرئيس بيل كلينتون، وصوت البرلمان الروسي على رفع العقوبات الاقتصادية عن صربيا والمونتغرو رغم معارضة الرئيس بوريس ايلتسين.

٧ ـ السلام الاميركي :

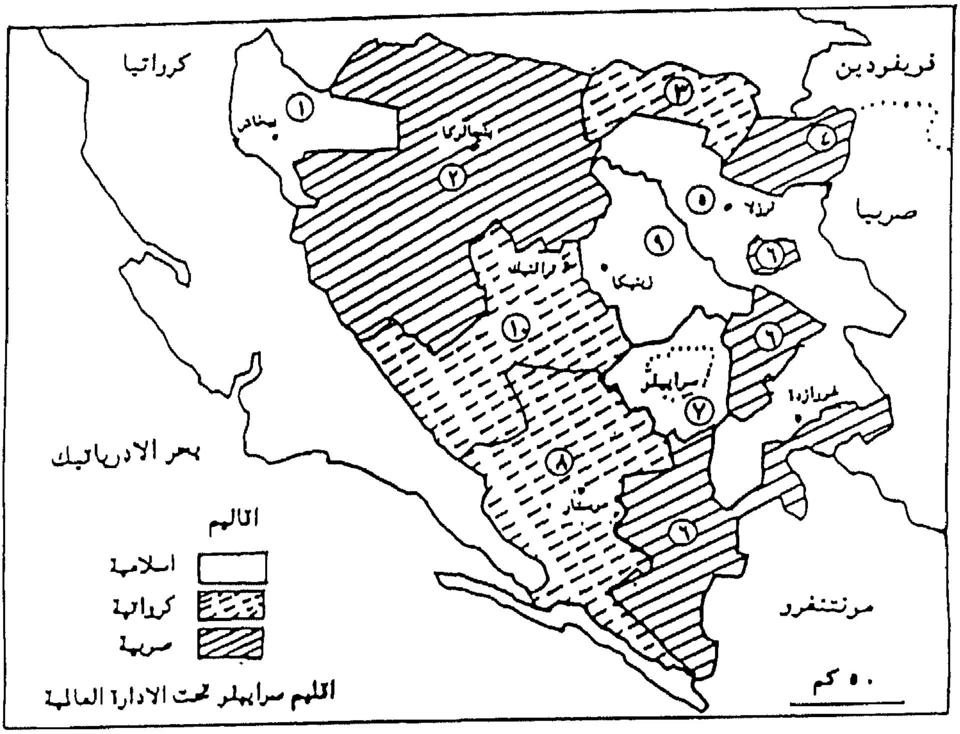
(حزيران/ يونيو ١٩٩٥ ـ كانون الثاني / ديسمبر ١٩٩٥)

ادت ازمة الفوربرونو وتطورات الوضع العسكري، وادى ازدياد حدّة التوتر بين الرئيس الاميركي والكونغرس الى اعادة تنظيم مبادرات السلام واستئنافها بصورة مفاجئة. على اثر جولات مكوكية مكثفة قام بها الوسيط الاميركي ريتشارد هولبروك، استؤنفت مفاوضات ذات جلسات مغلقة بين الممثلين المسلمين والكروات والصرب. خلال شهر ايلول/ سبتمبر (في ٨ منه في جنيف، وفي ٢٦ منه في نيويورك) تم التوصل الى اتفاقين يحددان المبادئ المؤسسية والدستورية لحل الخلاف البوسني. تُقسم البوسنة ـ والهرسك الى كيانين متساويين في الحقوق : الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية وجمهورية الصرب. وفي الاول من نوفمبر، استؤنفت في دايتون مفاوضات نهائية سرّية، نتج عنها، في ٢١ نوفمبر سلسلة من الاتفاقات المتعلقة بمختلف ظواهر الازمة اليوغوسلافية.

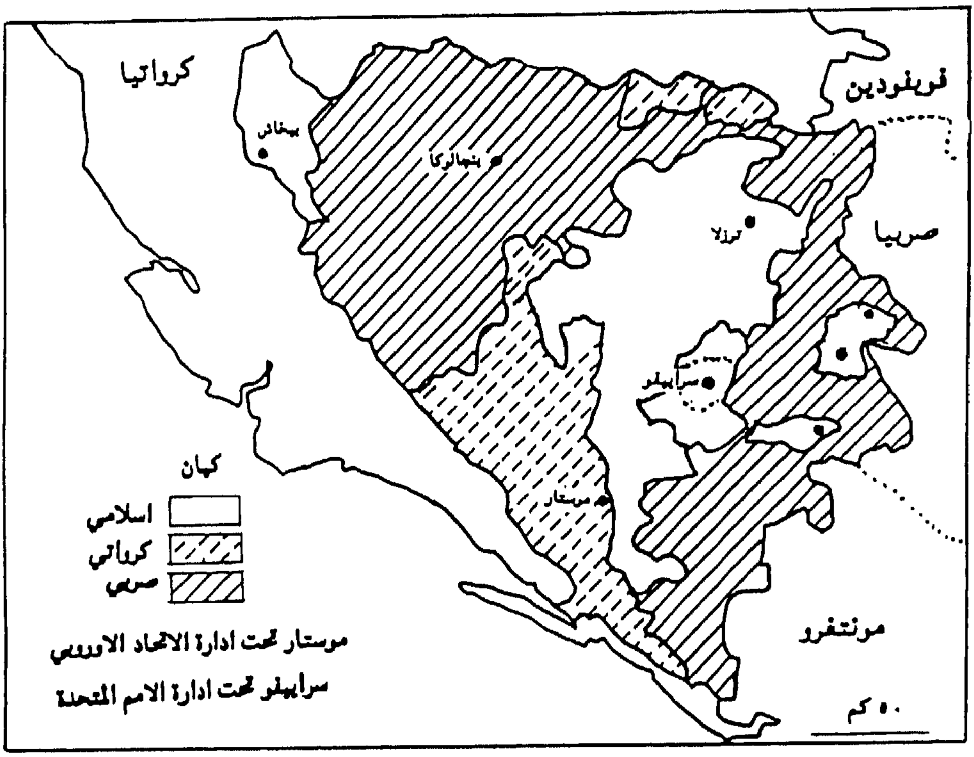
تقضي افتاقات دايتون بتقسيم جديد للبوسنة ـ والهرسك الى كيانين: الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية وجمهورية الصرب التي اصبح معترف بها عالمياً ككيان منفصل تحت هذا الاسم. يشكل هذان الكيانان دولة موحدة (رئاسة جماعية، برلمان، محكمة دستورية) ذات صلاحيات فيما يتعلق بمسائل السياسة الخارجية، التجارة الخارجية، العملة، والجنسية. ويمتلك كل منهما دستوره الخاص، قواته المسلحة الخاصة به، وحق تشكيل كونفدرالية مع كرواتيا (بالنسبة للفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية) او مع الجمهورية الفيدرالية اليوغوسلافية (بالنسبة لجمهورية الصرب). وتنص اتفاقات دايتون ايضاً على اجراء انتخابات خلال الستة اشهر التي

تلي توقيعها، وعلى اجراء مفاوضات في وقت لاحق بهدف موازنة ميزان القوى العسكرية بين الفيدرالية الكرواتو - اسلامية وجمهورية الصرب، وايضاً بين البوسنة - والهرسك في مجملها وكرواتيا والجمهورية الفيدرالية اليوغوسلافية. تضمن قوات الايفور تطبيق الجوانب العسكرية من الاتفاقات، وتضمن قوات بوليس عالمية ومراقبون مدينون تطبيق الجوانب المدنية منه .

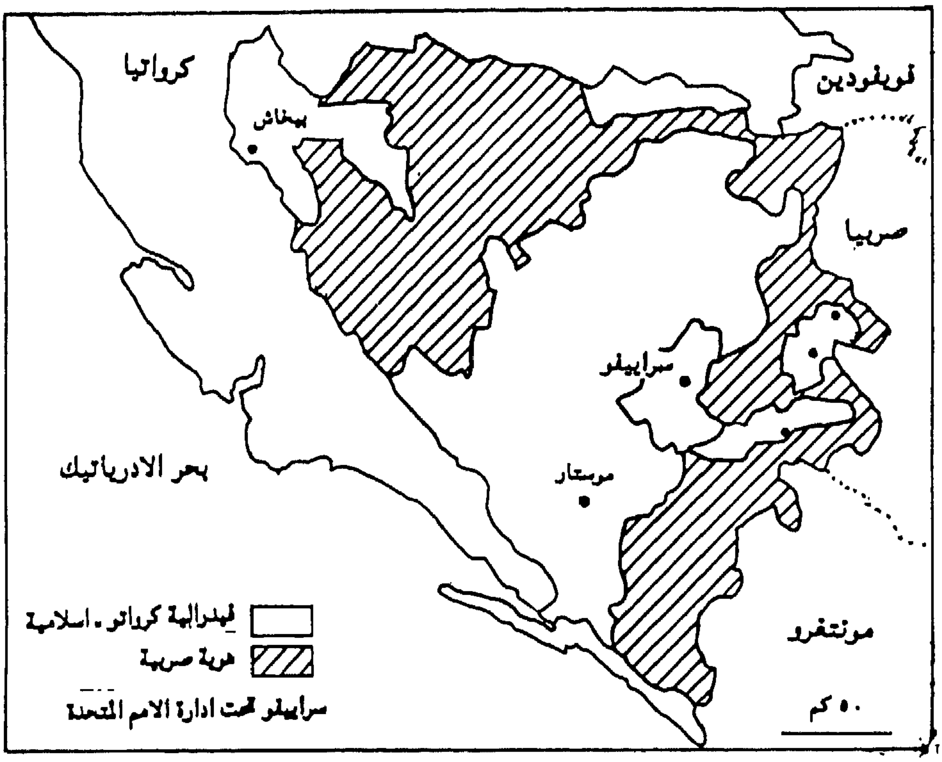
وقد وقع الرؤساء سلوبودان ميلوسيفيك وفرانكو توجمان وعليجا ايزتبيغوفيش على اتفاقات دايتون بصورة رسمية في ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ في باريس.



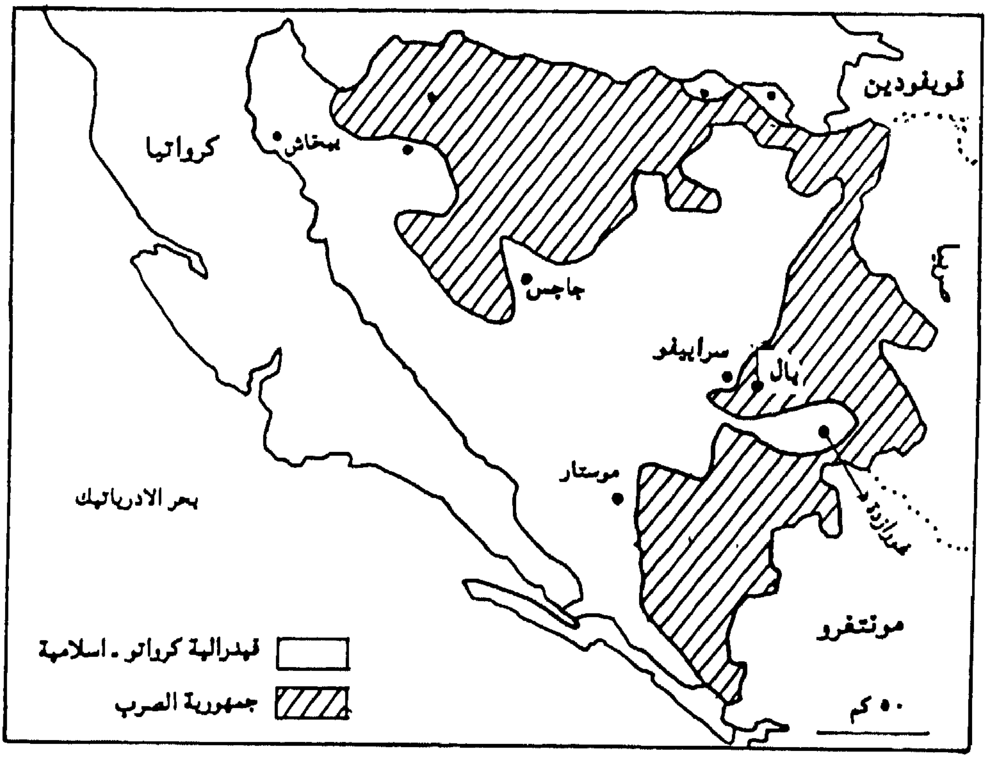
مشروع فانس ــ اون (كانون الثاني / يناير ١٩٩٣)



مشروع اون ـ ستولتنبرغ (تموز/ يوليو ١٩٩٣)



مشروع مجموعة الاتصال (تموز/ يوليو ١٩٩٤)



مشروع دايتون (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٥)

الملحق الثاني

التسلسل الزمني للأحداث

١ ـ في العصور الوسطى :

ـ القرن السادس : وصول السلاف الى البلقان

ـ القرن التاسع : الامبراطورية البلغارية الاولى

ـ القرن العاشر ـ القرن الحادي عشر : مملكة الكروات

ـ القرن الثاني عشر : الاتحاد الهنغاري ـ الكرواتي

ـ القرن الثاني عشر: الامبراطورية البلغارية الثانية

ـ القرن الثاني عشر ـ القرن الرابع عشر : مملكة الصرب

ـ القرن الرابع عشر: مملكة البوسنة

٢ ـ من القرن الرابع عشر الى الحرب العالمية الاولى

١٣٨٩ : انتصار العثمانيين على الصرب في معركة الكوسوفو .

١٤٦٢ : احتلال العثمانيين للبوسنة.

ـ القرن السادس عشر ـ القرن السابع عشر : حصار العثمانيين لمدينة فيينا (النمسا). الحرب النمساوية ـ التركية. الهجرات الصربية.

ـ القرن السادس عشر : انشاء التخوم العسكرية في كرواتيا التي أوكلت مهمة الدفاع عنها للصرب الفارين من الزحف العثماني (كراجينا الصربية).

١٨٠٤ ـ ١٨١٧ : ثورة الصرب على العثمانيين في صربيا.

١٨٠٩ ـ ١٨١٥: الغى نابوليون جمهورية «دوبرفنيك»، وضم المقاطعات الايليريه للامبراطورية الفرنسية.

١٨٣٠ : استقلال الصرب.

١٨٥٠: اتفاق فيينا حول اللغة الصربو ـ كرواتية .

١٨٧٨ : معاهدة سان ستيفانو. مؤتمر برلين. الاعتراف بصربيا. احتلال النمسا للبوسنة ـ والهرسك، وضمها لها في عام ١٩٠٨.

١٩٠٢: اعمال عنف بين الصرب والكروات في زاغرب.

١٩٠٣ : اغتيال الكسندر ملك صربيا. صعود بيير الاول على العرش.

١٩١٢ : حرب البلقان الاولى (ضد تركيا).

١٩١٣ : حرب البلقان الثانية (ضد بلغاريا). ضم الكوسوفو ومقدونيا الى صربيا.

١٩١٤ : عملية اغتيال دوق النمسا في سراييفو. بداية الحرب العالمية الاولى.

٣ ـ من الحرب العالمية الاولى الى الحرب العالمية الثانية

١٩١٥ : احتلال النمسا لصربيا . انسحاب الجيش الصربي من البانيا.

١٩١٨ : انتصار الحلفاء ونهاية الحرب العالمية. انشاء مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين في الاول من ديسمبر.

١٩٢٠ : انتخابات نيابية. احتل الحزب الشيوعي المرتبة الثالثة من بين الاحزاب السياسية (٥٨ نائباً). منع هذا الحزب من مزاولة نشاطه، ومُنعت جميع النقابات التي يسيطر عليها. موت الملك بيير الاول. اعتلاء الكسندر الاول العرش.

١٩٢١ : التصريت على مشروع دستور مركزي رفضه الكروات. تقسيم البلاد ادارياً.

١٩٢٨ : اغتال نائب صربي ثلاثة من زملائه النواب الكروات اثناء جلسة برلمانية.

١٩٢٩ : الغاء الدستور وديكتاتورية الملك الكسندر. اصبحت البلاد تدعى يوغوسلافيا.

١٩٣٤ : اغتيال الملك الكسندر في مارسيليا . وصاية الامير بول. تشكيل حكومة ستوجادينوفيك المحبِّذة لمحور «روما - برلين».

١٩٣٩ : حلٌ وسط صربو - كرواتي لاقتسام البوسنة - والهرسك.

١٩٤١ : انقلاب ضد الامير جان (٢٧ آذار) واعتلاء بيير الثاني العرش. غزو يوغوسلافيا وقصف بلغراد في السادس من نيسان. اعلان الدولة الكرواتية المستقلة (١٠ نيسان) التي تضم البوسنة - والهرسك.

١٩٤٢ : انشاء الهيئة «ضد - الفاشية» في بيخاش (شمال البوسنة)، وظهور الملامح الاولى للحكومة المؤقتة التي يسيطر عليها الشيوعيون.

١٩٤٣ : تحرير بلغراد. انشاء «لجنة التحرير الوطني ضد - الفاشية» التي ستمثل الميثاق التأسيسي ليوغوسلافيا الفيدرالية.

٤ - عهد تيتو

١٩٤٥ :

- ٣ آذار /مارس : استلم جوزيف بروز الملقب تيتو منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع.
- ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر : اعلان قيام الجمهورية الفيدرالية الشعبية اليوغوسلافية برئاسة تيتو، ونهاية حكم عائلة كاراجورجفيش المالكة.

١٩٤٦:

- ٣١ كانون الثاني / يناير : اعلان الدستور اليوغوسلافي . تتكون يوغوسلافيا من ستة وحدات فيدرالية (سلوفانيا، كرواتيا، البوسنة - والهرسك، مقدونيا، المونتنغرو، صربيا) واقليمين مستقلين ذاتياً (كوسوفو وفويفودين).
- ١٨ نيسان/ ابريل : اعتراف الولايات المتحدة الاميركية بيوغوسلافيا تيتو.
- ٩ تموز/ يوليو : توقيع البانيا ويوغوسلافيا على معاهدة تحالف.

١٩٤٧:

- ١٠ شباط/ فبراير: سمحت معاهدة باريس ليوغوسلافيا بالعودة الى حدود عام

١٩١٩، يعني ان تعيد اليها ايطاليا ما احتلته عام ١٩٢٠ (مقاطعة ايستري).

- ٨ آب/ اغسطس : وقعت بلغاريا ويوغوسلافيا معاهدة تعاون مشترك.
- ٥ تشرين الاول/ اكتوبر : اعلن ممثلوا تسعة احزاب شيوعية اوروبية انشاء، في بلغراد، مكتب معلومات أطلق عليه اسم كومينفورم، مهمته التنسيق بين الاحزاب الشيوعية الاوروبية.
- ٨ كانون الاول/ ديسمبر : وقعت هنغاريا ويوغوسلافيا معاهدة تعاون مشترك.
- ٢١ كانون الاول/ ديسمبر: وقعت رومانيا ويوغوسلافيا معاهدة تعاون مشترك.

<u>١٩٤٨:</u>

- ٢٨ حزيران/ يونيو : ادان الكومينفورم، اثناء اجتماع له في براغ، الماريشال تيتو والنظام الشيوعي اليوغوسلافي. عبّر ذلك عن القطيعة بين تيتو وستالين الذي لم يكن يوافق على انفتاح يوغوسلافيا نحو الغرب املاً في الحصول على المساعدات الاقتصادية.

<u>١٩٤٩:</u>

- ١٢ آب/ اغسطس : في رسالة وجهها ليوغوسلافيا، اعلن الاتحاد السوفيتي انه لا يعتبر هذه الدولة حليفاً شيوعياً وانما عدواً.
- ٢٥ تشرين الاول/اكتوبر: قطع الاتحاد السوفيتي (بعد رومانيا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا) علاقاته الديبلوماسية مع يوغوسلافيا.
- ٢٢ كانون الاول/ ديسمبر: اعلن الرئيس الاميركي هاري ترومان ان «اميركا لن تقف مكتوفة اليدين في حالة وقوع اعتداء على يوغوسلافيا» .

<u>١٩٥١:</u>

- ٢٨ آب/ اغسطس : منحت الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا مساعدة مالية ليوغوسلافيا مقدارها ٥٠ مليون دولار.

:١٩٥٢

ـ ٢ ـ ٧ تشرين الثاني / نوفمبر: اثناء انعقاد المؤتمر الحزبي السادس، قرر المؤتمرون ان يكون للحزب دوراً في التوجيه الايديولوجي السياسي، وليس في السيطرة على اتخاذ القرارات. وتغير اسم الحزب ليصبح «الرابطة الشيوعية اليوغوسلافية».

:١٩٥٣

ـ ١٣ كانون الثاني/ يناير : اقرار دستور جديد، واعادة انتخاب تيتو رئيساً للجمهورية.

ـ ٢٨ شباط / فبراير : وقعت اليونان وتركيا ويوغوسلافيا اتفاق صداقة وتعاون مشترك في البلقان.

:١٩٥٤

ـ ١٧ كانون الثاني/ يناير: أبعد ميلوفان جيلاس، الذي انتخب في ٢٦ كانون الاول / ديسمبر ١٩٥٣ رئيساً للجمعية الوطنية، عن الرابطة الشيوعية بعد ان اتخذ مواقف علنية معارضة لها.

ـ ٩ آب/ اغسطس: وقعت اليونان وتركيا ويوغوسلافيا معاهدة دفاع مشترك في البلقان .

:١٩٥٥

ـ ٢٦ ايار / مايو: اعادة العلاقات الديبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي .

:١٩٥٧

ـ ٥ تشرين الاول/ اكتوبر: الحكم على ميلوفان جيلاس بالسجن سبع سنوات.

ـ ٧ كانون الاول / ديسمبر: بلغراد تتخلى عن المساعدة العسكرية الاميركية.

:١٩٦١

ـ ٢٠ كانون الثاني/ يناير : اطلاق سراح ميلوفان جيلاس قبل انقضاء فترة سجنه.

ـ ١ـ ٦ ايلول/ سبتمبر: انعقد، في بلغراد برئاسة تيتو، اول مؤتمر لدول عدم الانحياز،

دعا هذا المؤتمر الى نزع السلاح بصورة تامة والقضاء على الاستعمار.

١٩٦٢:

- ٧ نيسان/ ابريل : اعادة اعتقال ميلوفان جيلاس لأنه سلّم الى دار نشر اميركية كتاباً بعنوان «نقاش مع ستالين» حُكم عليه، في الخامس عشر من ايار بالسجن ٥ سنوات.
- ٢٤ ايلول /سبتمبر: زيارة ليونيد بريجنيف الى بلغراد التي استغرقت ١٢ يوماً. اكد الزعيمان السوفيتي واليوغوسلافي على ضرورة تطوير انواع مختلفة للشيوعية.

١٩٦٦:

- ١ تموز/يوليو: اقالة الكسندر رانكوفيش، الرجل الثاني في النظام، من جميع مناصبه في الحزب والدولة بسبب اعتراضه على اللامركزية والانفتاح السياسي.

١٩٦٩:

- ١٥ ـ ١٧ آذار/مارس: اثناء مؤتمر الرابطة الشيوعية التاسع، ادان تيتو اعتقاد بريجنيف بـ «السيادة المحدودة للدول الشيوعية»، واعلن برنامج «لامركزية ـ حزبية» جديد.

١٩٧١:

- ٢٩ تموز/يوليو: اقرار العمل بدستور جديد. يمنح هذا الدستور صلاحيات واسعة للجمهوريات، ولا يترك للرئاسة الجماعية التي يرأسها تيتو سوى الصلاحيات الاساسية.
- ١٢ كانون الاول/ديسمبر: استقالة غالبية الزعماء الكروات من الرابطة الشيوعية بعد اتهامهم بالتعاون مع عناصر انفصالية ذات نزعات وطنية.

١٩٧٢:

- ١٦ تشرين الاول/ اكتوبر: بعد هجومات الماريشال تيتو، عدة مرات، على التزمت الوطني في بعض الاقاليم، بدأت حملة تصفيات واعتقالات واسعة في معظم الجمهوريات، وخصوصاً في صربيا التي اتهم زعماؤها بالليبرالية.

:١٩٧٤

ـ ١٦ ايار/مايو: انتخاب تيتو رئيساً مدى الحياة للجمهورية اليوغوسلافية.

:١٩٧٩

اتجاه منحنى النمو الاقتصادي نحو الهبوط.

٥ ـ فوضى ما بعد تيتو

:١٩٨٠

ـ ٤ آيار/مايو: موت تيتو بعد ثلاثة اشهر من الاحتضار. بداية تناوب ممثلي الجمهوريات الستة والاقليمين المستقلين ذاتياً على رئاسة الرئاسة الجماعية، اي رئاسة الكونفدرالية (مدة الفترة الرئاسية = عام).

:١٩٨١

ـ ٢ نيسان / ابريل: نتيجة لأعمال شعب، فرضت حالة الطوارئ في كوسوفو، اقليم مستقل ذاتياً في صربيا، ذو اغلبية سكانية مسلمة.

:١٩٨٣

محاولات تطبيق مشروع التقشف الذي حددته حكومة ميلكا بلانيك بناءاً على توصيات صندوق النقد الدولي. ارتفعت نسبة التضخم بشكل مخيف، وارتفعت نسبة البطالة (٢٪ من الايدي العاملة في سلوفانيا، و ٢٠٪ في الكوسوفو). انتشرت موجات الاضرابات. استمرت ازمة الديون الخارجية. انخفض مستوى الحياة.

:١٩٨٦

ـ كانون الثاني/ يناير ـ شباط /فبراير: مظاهرات صربية في كوسوفو ضد «الانفصاليين الالبان»، وتزايد الحملة الاعلامية في صربيا ضد «مخاطر القضاء على الشعب الصربي». ادانة دستور عام ١٩٧٤ الذي «فقد الصرب بسببه سيادتهم الوطنية في الاقاليم (خصوصاً في كوسوفو)».

١٩٨٧:

ـ ايلول / سبتمبر : احكم سلوبودان ميلوسيفيك سيطرته على الرابطة الشيوعية في صربيا.

ـ ١٢ كانون الاول/ ديسمبر: اقالة ايڤان ستامبوليك، رئيس الجمهورية الصربية، وعزله من الرابطة الشيوعية مما زاد من سيطرة ميلوسيفيك على الجمهورية.

١٩٨٨:

ـ ١٤ ايار/مايو: جدل لم يسبق له مثيل في البرلمان الفيدرالي بعد ان عرض وفد كرواتيا وسلوفانيا مشروع حجب الثقة.

ـ ٢٩ حزيران /يونيو: انتخاب الكرواتي ستيب سوڤار رئيساً للرئاسة الجماعية للرابطة الشيوعية.

ـ ٥ـ٦ تشرين الاول/اكتوبر: اعمال شغب في فويفودين، ومظاهرات عارمة لتأييد ميلوسيفيك، رفع المتظاهرون شعارات تدعو الى تعزيز الروابط مع صربيا. اضطرت حكومة الاقليم الى الاستقالة.

ـ ٨ ـ ٩ تشرين الاول/ اكتوبر: مظاهرات عنيفة في تيتوغراد (المونتنغرو) ضد انخفاض مستوى الحياة. اضطرت حكومة المونتنغرو الى الاستقالة في ٢٦ تشرين الاول/ اكتوبر.

ـ ١٩ تشرين الاول/نوفمبر: تظاهر اكثر من مليون صربي في بلغراد لمساندة الاقلية الصربية في كوسوفو (اقليم صربي مستقل ذاتياً). وكان هذا الاقليم قد شهد، من ١٧ الى ٢١، مظاهرات عشرات الآلاف من الالبان المسلمين ضد تخفيض درجة استقلال الاقليم واقالة زعمائه.

١٩٨٩:

ـ ١١ كانون الثاني/ يناير: بسبب ضغوط المتظاهرين، استقال زعماء المونتنغرو بصورة جماعية. وفي سلوفانيا أنشأ «اتحاد الديمقراطيين السلوفانيين»، وهو حزب يناضل من

اجل ديمقراطية برلمانية حقيقية.

ـ ١٩ كانون الثاني/يناير: استلم الكرواتي آنت ماركوفيش منصب رئاسة وزراء الفيدرالية. كان يدعو الى «اشتراكية جديدة» والى اقتصاد السوق الحرة.

ـ ٣٠كانون الثاني/ يناير ـ ١ شباط/فبراير: جدل عنيف اثناء اجتماع للجنة المركزية للرابطة الشيوعية. ازدادت حدّة المعارضة التي كانت تواجهها القيادات. بدأ العديد من القادة العسكريين ينتقدون السلطات السياسية.

ـ ٢١ ـ ٢٨ شباط/ فبراير:اندلعت مظاهرات عنيفة في الكوسوفو يحتج فيها الالبان المسلمون على طغيان الصرب. في ٢٦، قررت بلغراد ارسال عناصر عسكرية «لمقاومة الشغب». في ٢٧، اوقف المتظاهرون حركة الاضرابات. في ٢٨، مظاهرات صربية جديدة في بلغراد للاحتجاج على التنازلات التي قدمتها الحكومة لعمّال المناجم الالبان المسلمين.

ـ ١ آذار/ مارس: فرض حظر التجول في كوسوفو على إثر مظاهرة عارمة في بلغراد ادان خلالها الزعماء الصرب «النزعات الوطنية الانفصالية الالبانية».

ـ ٢٦ ـ ٣٠ آذار/ مارس: اعمال عنف ومواجهات شديدة في كوسوفو بين المتظاهرين الالبان وقوات الامن الصربية على إثر تعديل الدستور الذي يعزز سيطرة صربيا على الاقليمين المستقلين ذاتياً فيها، كوسوفو وفويفودين.

ـ آيار/ مايو: انشاء «التجمع الديمقراطي الكرواتي»، حزب ضد ـ شيوعي ذو نزعة وطنية.

ـ ٢٨ حزيران/ يونيو: احتفال ضخم غلبت عليه النزعة الوطنية في صربيا بمناسبة الذكرى الستمائة لمعركة الكوسوفو.

ـ ٢٧ايلول/ سبتمبر: رغم تحذيرات بلغراد، الغت سلوفانيا الدور القيادي للحزب الشيوعي واجرت تعديلاً دستورياً يمنحها الحق في السيادة الوطنية. في ٢٨، جرت مظاهرات ضد ـ سلوفانية في صربيا والمونتنغرو.

ـ بداية تشرين الثاني/نوفمبر: مظاهرات في سلوفانيا تدعو الى احترام حقوق الانسان

في كوسوفو.

ـ ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر : انهيار حائط برلين .

ـ ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر: أعلنت النتائج النهائية لأول انتخابات رئاسية في صربيا. حقق سلوبودان ميلوسيفيك نصراً ساحقاً.

ـ ١١ كانون الاول/ديسمبر: انهيار الشيوعية في بلغاريا.

٢١ ديسمبر : انهيار نظام نيكولاي شاوسسكوا في رومانيا.

١٩٩٠

ـ ١ كانون الثاني/ يناير: بداية تطبيق مشروع آنت ماركوفيش الهادف الى اصلاح الاقتصاد ومحاربة التضخم ذو الثلاثة ارقام.

ـ ٢٠ ـ ٢٣ كانون الثاني/ يناير: انعقاد المؤتمر الرابع عشر للرابطة الشيوعية في بلغراد. اعترف هذا المؤتمر بتعددية الاحزاب وبالغاء الدور القيادي للحزب الشيوعي. قاطع الزعماء الكروات والسلوفانيين المؤتمر قبل نهاية اعماله، وادّى ذلك الى تأجيله.

ـ ٢٤ كانون الثاني/ يناير: مظاهرات البانية اخرى، قمع عنيف.

ـ ٣١ كانون الثاني/ يناير: مظاهرات صربية في بلغراد ضد ذكرى تيتو «الذي اضعف سلطات الصرب».

ـ ١ شباط /فبراير: انتشار الجيش الفيدرالي في كوسوفو واعلان حالة الطوارئ.

ـ ٢ شباط/فبراير: قام رئيس الفيدرالية (السلوفاني جانس درونوفسك) بزيارة الى كوسوفو في محاولة لتهدئة الاوضاع.

ـ ٤ شباط/ فبراير: انفصل الشيوعيون السلوفانيون عن الرابطة الشيوعية الفيدرالية، واخذوا يدعون الى التجديد الديمقراطي.

ـ ١٢ شباط/فبراير: قرر الحزب الشيوعي الكرواتي تغيير اسمه وبرنامجه.

ـ ٨ ـ ٢٣ نيسان/ابريل: اول انتخابات حرّة منذ ١٩٤٥ في كرواتيا. فاز حزب التجمع الديمقراطي الكرواتي بزعامة فرانكو توجمان (٤٢٪ من الاصوات مقابل ٢٥٪ للشيوعيين

سابقاً). انتخب فرانكو توجمان (شيوعي سابق) لرئاسة الجمهورية في ٣٠ نيسان/ابريل، وفي ٣١، شكّل ستيب ميزيش حكومة غير شيوعية.

ـ ١٥ آيار/مايو: انتخب الصربي جوفيش رئيساً للفيدرالية خلفاً للسلوفاني درونوفسك؛ اكد الدئيس الجديد على ضرورة الاحتفاظ بوحدة الدولة.

ـ ٢٦ حزيران/يونيو: علق البرلمان الصربي حكومة الكوسوفو وبرلمانها.

ـ ٢ تموز/يوليو: طالب النواب من اصل الباني بالمساواة بين حقوق كوسوفو وحقوق الجمهوريات الاخرى، وردود فعل صربية عنيفة. اعلنت سلوفانيا «سيادتها الذاتية».

ـ ٥ تموز/يوليو: حل البرلمان الصربي برلمان اقليم الكوسوفو واقال حكومته.

ـ ٩ تموز/يوليو: استقالة ممثلي الكوسوفو من الرئاسة الجماعية الفيدرالية.

ـ ١٦ تموز/يوليو: انتخاب ميلوسيفيك على رأس الحزب الشيوعي الصربي.

ـ ٢ آب/اغسطس: غزو العراق للكويت.

ـ ٢ ايلول/سبتمبر: اجرى صرب كرواتيا استفتاءً شعبياً حول الاستقلال.

ـ ايلول/ سبتمبر: اولى اعمال شغب قام بها صرب كرواتيا في مدينة كنان.

ـ ١١ ـ ١٢ ايلول/سبتمبر: اولى اعمال الشغب العرقية في البوسنة ـ والهرسك حيث حالة الطوارئ مفروضة.

ـ ١٥ تشرين الاول/اكتوبر: اقترحت كرواتيا وسلوفانيا نموذجاً كونفدرالياً في مواجهة النموذج الفيدرالي الصربي.

ـ ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر: الدورة الاولى من الانتخابات في البوسنة.

ـ ٩ كانون الاول/ ديسمبر: الدورة الثانية من الانتخابات في البوسنة: حصلت الاحزاب الوطنية (حزب النشاط الديمقراطي، مسلم، والحزب الديمقراطي الصربي، والتجمع الديمقراطي الكرواتي) على ٥٥٪ من الاصوات، تغيب ٢٠٪ من الناخبين عن التصويت، وحصلت الاحزاب غير الوطنية على ٢٥٪ من الاصوات. اتفقت الاحزاب الوطنية على تشكيل ائتلاف واقتسام الحكم: يرأس الجمهورية مسلم (ايزتبيغوفيش) ويرأس البرلمان صربي (كراجيسنيك)،

ويرأس الحكومة كرواتي (بيليفان).

- ٩ كانون الاول/ ديسمبر: انتخاب سلوبودان ميليوسيفيك رئيساً لصربيا. وانتخاب مومير دراسكوفيك (شيوعي) رئيساً للمونتنغرو بنسبة ٧٧٪ من الاصوات.

- ٢١ كانون الاول/ ديسمبر: اقرت كرواتيا دستوراً جديداً يمنحها الحق في الانفصال عن الفيدرالية.

- ٢٣ كانون الاول/ ديسمبر: استفتاء شعبي عام في سلوفانيا حول الاستقلال، صوتت نسبة ساحقة لصالحه.

١٩٩١

- ٢٠ و ٢١ شباط/ فبراير: اقترح البرلمان السلوفاني في ٢٠ والكرواتي في ٢١، تفكيك الفيدرالية الى جمهوريات مستقلة ذات سيادة وطنية.

- ٢٨ شباط/فبراير: اعلنت كراجينا، جيب صربي في كرواتيا، استقلالها وانفصالها عن الجمهورية الكرواتية.

- ٣ آذار/مارس: نهاية حرب الخليج.

- ٣١ آذار/مارس: اولى اعمال العنف المسلح في كرواتيا، وسقوط اوائل قتلى الحرب في حديقة بليتيفيش.

- ١٥ ايار/مايو: لم ينتخب الكرواتي غير - شيوعي ميزيش على رأس الرئاسة الجماعية الفيدرالية، اذ رفض ممثلوا صربيا وحلفاؤها التصويت لصالحه. وبقيت رئاسة الرئاسة الجماعية شاغرة بعد ان انتهت فترة حكم الصربي بوريساف.

- ١٩ آيار/مايو: استفتاء شعبي عام في كرواتيا حول الاستقلال، قاطعته الاقلية الصربية.

- ٢٣ حزيران/يونيو: قررت الدول الاوروبية الاثنتي عشرة في اجتماع في لوكسمبورغ عدم الاعتراف بكرواتيا وسلوفانيا اذا اتخذت هاتان الدولتان قراراً فردياً بالانفصال عن يوغوسلافيا.

ـ ٢٥ و ٢٦ حزيران/يونيو: اعلنت سلوفانيا وكرواتيا استقلالهما. رفضت الحكومة الفيدرالية هذا الاستقلال وقررت تكليف البوليس والجيش الفيدرالي بمهمة حماية حدود الدولة.

٦ ـ حرب سلوفانيا :

٢٧ ـ ٣٠ حزيران/ يونيو : تدخل الجيش الفيدرالي في سلوفانيا بهدف السيطرة على الحدود الخارجية مع ايطاليا والنمسا وهنغاريا. ادت المعارك الى وقوع العديد من القتلى.

ـ ٢٨ ـ ٣٠ حزيران/يونيو: ارسال وفد من المجموعة الاوروبية الى زاغرب وبلغراد. حصل هذا الوفد على اتفاق هش ينص على وقف اطلاق النار مقابل تعليق استقلال كرواتيا وسلوفانيا لمدة ثلاثة اشهر، انسحاب الجيش الفيدرالي من سلوفانيا، وموافقة الصرب على انتخاب ميزيش الكرواتي رئيساً للفيدرالية.

ـ ٢ تموز/ يوليو: استئناف المعارك بين الجيش الفيدرالي وقوات الدفاع الاقليمي السلوفانية.

ـ ٥ تموز/يوليو: قررت الدول الاوروبية المجتمعة في لاهاي فرض حظر على تصدير السلاح الى يوغوسلافيا، وتجميد المساعدات المالية لها.

ـ ٧ تموز/يوليو: اجتمعت جميع اطراف النزاع (صرب، كروات، سلوفانيين، وفيدراليين) في بريوني بدعوة من المجموعة الاوروبية المشتركة وقررت وقف اطلاق النار.

٧ ـ حرب كرواتيا

ـ ١٨ تموز/ يوليو: اعلنت الرئاسة الجماعية الفيدرالية انسحاب الجيش الفيدرالي من سلوفانيا خلال الاشهر الثلاثة القادمة. وبعد ايام، انخفضت حدّة التوتر في سلوفانيا وارتفعت في كرواتيا حيث تؤدي اعمال العنف الى هجرة الصرب، وايضاً الكروات الذين يقطنون مناطق ذات اغلبية صربية.

ـ ١٦ آب/اغسطس: اعلن صرب سلافونيا الغربية (في كرواتيا) استقلالهم.

- ٢٧ آب/اغسطس: في الوقت الذي ازدادت فيه حدّة المعارك في كرواتيا بين القوات الكرواتية والميليشيات الصربية، ازدادت حدّة لهجة الدول الاوروبية في اجتماع عقدته في بروكسل. طالبوا صربيا بأن توقف المعارك في كرواتيا وان يستطيع مراقبون دوليون الاشراف على وقف اطلاق النار. واقترحوا ايضاً عقد مؤتمر سلام، وتشكيل لجنة تحكيم اوروبية. في ٣٠، وافقت الحكومة الفيدرالية على المشروع الاوروبي. وفي ٢ ايلول سبتمبر وافقت عليه صربيا والمونتنغرو.

- ٧ ايلول/سبتمبر: انعقاد مؤتمر السلام في لاهاي بحضور جميع الاطراف اليوغوسلافية. لورد كارينغتون يرأس المؤتمر، وروبرت بادانتير لجنة التحكيم.

- ٨ ايلول/سبتمبر: في استفتاء شعبي عام في مقدونيا، صوت ٩٦٪ من الناخبين لصالح الاستقلال، أعلن الاستقلال في ١٥.

- ١٧ ايلول/سبتمبر: تم التوقيع على اتفاق لوقف اطلاق النار في الوقت الذي شدّد فيه الجيش الفيدرالي (اصبح يحارب بصورة علنية الى جانب الميليشيات الصربية) هجوماته على العديد من الاقاليم الكرواتية، وفقدت القوات الكرواتية سيطرتها على ٢٠٪ من اراضي الجمهورية. لم يتم احترام وقف اطلاق النار، وامتدت رقعة المعارك لتصل الى زاغرب.

- ٢٥ ايلول/سبتمبر: صوت مجلس الامن الدولي لصالح مشروع قرار يفرض حظر بيع الاسلحة الى جمهوريات يوغوسلافيا.

- ١ تشرين الاول/اكتوبر: حاصرت القوات الفيدرالية مدينة دوبرفنيك، وفرضت حصاراً بحرياً على جميع موانئ كرواتيا.

- ٣ تشرين الاول/اكتوبر: استولى الحلف الصربي على الرئاسة الجماعية الفيدرالية.

- ٨ تشرين الاول/ اكتوبر: اكدت سلوفانيا وكرواتيا على استقلالهما بعد انتهاء فترة تأجيله لمدة ثلاثة اشهر. لم يتم احترام وقف اطلاق النار الذي تم توقيعه في نفس اليوم.

- ١٥ تشرين الاول/اكتوبر: اقر برلمان البوسنة - والهرسك مشروع قرارين يتعلقان باستقلال البوسنة وباحتمالات انسحابها من الفيدرالية.

ـ ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر: بعد ان رفض الزعماء الصرب تحذيراً اوروبياً يطالب بلغراد بالتوقف عن تعطيل مشروع السلام، قررت المجموعة الاوروبية اتخاذ عقوبات اقتصادية ضد يوغوسلافيا.

ـ ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر: احتل الجيش الفيدرالي والميليشيات الصربية مدينة ڤوكوڤار التي كانت تمثل رمز المقاومة الكرواتية، بعد حصار دام ثلاثة اشهر.

ـ ٦ كانون الاول/ديسمبر: قررت الولايات المتحدة الاميركية فرض عقوبات على جميع جمهوريات يوغوسلافيا.

ـ ١٥ كانون الاول/ديسمبر: اعلن برلمان كراجينا (جيب صربي في كرواتيا) قيام «جمهورية كراجينا الصربية»، وانتخب ميلان بابيك رئيساً لها.

ـ ٢٠ كانون الاول / ديسمبر: انتخاب عليجا ايزتبيغوفيش رئيساً لجمهورية البوسنة ـ والهرسك اثناء الجلسة الاولى للبرلمان الجديد الناتج عن انتخابات الثاني من ديسمبر التي ابرزت انهيار الاحزاب الشيوعية وفوز الاحزاب الوطنية.

ـ ٢٣ كانون الاول/ ديسمبر: معارِضةً موقف المجموعة الاوروبية المشتركة، اعترفت المانيا رسمياً بكرواتيا وسلوفانيا.

ـ ٢٥ كانون الاول/ديسمبر: انحلال الاتحاد السوفيتي.

ـ ٣١ كانون الاول/ ديسمبر: اعلنت مصادر كرواتية ان الحرب ادّت الى مقتل عشرة آلاف شخص وتهجير نصف مليون خلال ستة اشهر.

١٩٩٢

ـ ١ كانون الثاني/ يناير: حصل مبعوث الامم المتحدة سايروس فانس على موافقة بلغراد وزاغرب على تطبيق وقف اطلاق النار الخامس عشر، وعلى نشر قوات الامم المتحدة في كرواتيا.

ـ ٣ كانون الثاني/ يناير: دخول وقف اطلاق الخامس عشر حيز التنفيذ. توقفت المعارك في كرواتيا.

ـ ٧ كانون الثاني/ يناير: اسقطت القوات الفيدرالية طائرة هليوكوبتر تابعة للمجموعة الاوروبية المشتركة، ومقتل خمسة مراقبين دوليين.

ـ ١٤ كانون الثاني/ يناير: وصول اول مجموعة من قوات الامم المتحدة (القبعات الزرقاء) الى كرواتيا، اعترض صرب كرواتيا على انتشارها.

ـ ١٥ كانون الثاني/يناير: اعترفت المجموعة الاوروبية باستقلال كرواتيا وسلوفانيا، يجسد هذا الاعتراف الانشطار الرسمي ليوغوسلافيا.

ـ ٢١ شباط/فبراير: صوت مجلس الامن الدولي بالاجماع لصالح القرار ٧٤٣ الذي يسمح بارسال اربعة عشر ألف رجل (قوات الفوربرونو) الى ثلاثة اقاليم كرواتية.

٨ ـ حرب البوسنة ـ والهرسك

ـ ٢٩شباط/فراير ـ ١ آذار/مارس: استفتاء شعبي عام حول الاستقلال في البوسنة ـ والهرسك. قاطع الصرب (٣٣٪ من السكان) الاستفتاء. صوت ٦٣٪ من الناخبين لصالح الاستقلال. اولى اعمال العنف.

ـ ١٨ آذار/ مارس: في الوقت الذي ازدادت فيه المشاحنات العرقية في البوسنة ـ والهرسك، توصل زعماء الاحزاب الوطنية الى اتفاق مبادئ حول اعادة تنظيم الجمهورية.

ـ ٥ نيسان/ابريل: بداية المعارك في ضواحي سراييفو، مظاهرات سلمية امام البرلمان البوسني.

ـ ٦ نيسان/ ابريل: بداية حصار سراييفو واعتراف المجموعة الاوروبية واميركا (في ٧ نيسان) بالبوسنة ـ والهرسك.

ـ ٧ نيسان/ ابريل: اعلان قيام «جمهورية صرب البوسنة».

ـ ٨ نيسان/ ابريل: اعلنت الرئاسة البوسنية حالة الطوارئ في جميع اراضي الجمهورية، في حين كان وسط سراييفو يواجه قصفاً بالمدافع.

ـ ٢٧ نيسان/ ابريل: اعلنت صربيا والمونتنغرو قيام «الجمهورية الفيدرالية اليوغوسلافية» .

ـ ٤ ايار/مايو: طالبت البوسنة ـ والهرسك بتدخل عسكري عالمي، وتحولت المعارك العنيفة المتقطعة التي كانت تشهدها جميع انحاء البوسنة ـ والهرسك الى حرب حقيقية.

ـ ٦ آيار/ مايو: لقاء سري بين مات بويان (زعيم حزب التجمع الديمقراطي الكرواتي) ورادوفان كرادزيك (زعيم صرب البوسنة) في مدينة غراز في النمسا. اتفقا على اقتسام البوسنة ـ والهرسك.

ـ ٢٢ آيار/ مايو: وافقت الامم المتحدة على عضوية البوسنة وكرواتيا وسلوفانيا.

ـ ٢٧ آيار/مايو: سقوط قذيفة في وسط سراييفو نتج عنها مقتل ١٦ شخصاً.

ـ ٣٠ ايار/مايو: صوت مجلس الامن الدولي لصالح القرار ٧٥٧ التي ينص على فرض حصار تجاري وبترولي وجوي على صربيا والمونتنغرو.

ـ ٨ حزيران/يونيو: صوت مجلس الامن الدولي على مشروع القرار ٧٥٨ الذي يسمح بنشر ألف من القبعات الزرقاء في مطار سراييفو الذي تسيطر عليه القوات الصربية بهدف فتح المطار لنقل المساعدات الانسانية.

ـ ٢٦ حزيران/ يونيو: حدد مجلس الامن الدولي مهلة ٢٤ ساعة للقوات الصربية لسحب اسلحتها الثقيلة من المناطق التي تشرف عليها قوات الامم المتحدة، وإلا فإن مجلس الامن سيحدد وسائل اخرى لمساعدة المواطنين المدنيين. لم يستعبد الاوروبيون المجتمعون في ليزبون اللجوء الى الوسائل العسكرية الى جانب المساعدات الانسانية.

ـ ٢٩ حزيران/يونيو: بعد زيارة قام بها فرنسوا ميتران الى سراييفو (في اليوم السابق) قرر مجلس الامن نشر ألف جندي في سراييفو. في اليوم التالي، قررت المجموعة الاوروبية فتح جسر جوي لنقل المساعدات الانسانية.

ـ من نيسان الى حزيران: هجوم صربي في البوسنة الوسطى وكراجينا البوسنية، وهجوم مضاد كرواتو ـ اسلامي في موستار.

١١ ـ ١٢ تموز/يوليو: شنت القوات الصربية هجوماً واسع النطاق على العديد من المدن البوسنية الاستراتيجية، خصوصاً مدينة غورازدة ذات الاغلبية السكانية المسلمة والمحاصرة

منذ ١٢نيسان/ ابريل.

ـ ٢١ تموز/يوليـو: في الوقت الذي تسـتمر فيـه المعارك الضارية في البوسنة، اجتمع الرئيسان البوسني والكرواتي في زاغرب، ووقعا على اتفاق صداقة وتعاون.

٢٩ تموز/ يوليو: بمبادرة من الهيئة العليا لإغاثة اللاجئين في الامم المتحدة، انعقد في جنيف مؤتمر حول اللاجئين في يوغوسلافيا (٢,٥ مليون لاجئ).

ـ ٢ آب/ اغسطس: اول انتخابات رئاسية في كرواتيا المستقلة، فوز فرانكو توجمان بنسبة ٥٦,٧٪ من الاصوات.

ـ ٣ آب/اغسطس: اكدت الهيئة العليا لإغاثة اللاجئين المعلومات التي نشرتها صحيفة نيويوركية (نيوزدي) في اليوم السابق حول وجود مخيمات اعتقالات جماعية يعتقل فيها الصرب المدنيين المسلمين في شمال البوسنة. وفي اليوم التالي (٤ آب)، ادانت الخارجية الاميركية سياسة التطهير العرقي التي تمارسها صربيا في البوسنة ـ والهرسك.

ـ ٥ آب/اغسطس: تُقصف مدينة سراييفو ليلاً ونهاراً. اصبحت مياه الشرب شحيحة، وتم تعليق جسر المساعدات الانسانية الجوي. هددت قوات الامم المتحدة بمغادرة العاصمة البوسنية. في اليوم نفسه، صرح الرئيس الاميركي جورج بوش بأنه لا يريد رؤية القوات الاميركية تتوحل في هذه الحرب.

ـ ٨ آب/ اغسطس: اعادة افتتاح مطار سراييفو امام المساعدات الانسانية.

ـ ١٣ آب/ اغسطس: اقر مجلس الامن الدولي مشروعي قرار يتعلقان بيوغوسلافيا. الاول (٧٧٠) يتعلق بنقل المساعدات الانسانية بالقوة اذا دعت الضرورة. والثاني (٧٧١) يطالب بحرية زيارة مخيمات الاعتقال الجماعية ويدين سياسة التنقية العنصرية.

ـ ٣ ايلول/ سبتمبر: في الوقت الذي بدأت فيه اول اجتماعات المؤتمر الدائم حول يوغوسلافيا في جنيف برئاسة لورد اون (ممثل المجموعة الاوروبية) وسايروس فانس (ممثل الامم المتحدة)، اسقط صاروخ صربي طائرة ايطالية كانت تنقل المساعدات الانسانية للعاصمة البوسنية، علّقت المجموعة الاوروبية جسر الامدادات الغذائية.

ـ ٨ ايلول/ سبتمبر: مقتل جنديين فرنسيين اثناء كمين نصبه الصرب لقافلة امدادات غذائية قرب مطار سراييفو.

ـ ٦ تشرين الاول/ اكتوبر: اقر مجلس الامن مشروع القرار رقم ٧٨٠ الذي ينص على انشاء لجنة تحقيق حول جرائم الحرب في يوغوسلافيا.

ـ ٩ تشرين الاول/ اكتوبر: اقر مجلس الامن مشروع القرار رقم ٧٨١ الذي يمنع الطائرات الصربية عن التحليق في الاجواء البوسنية.

ـ ١٥ تشرين الاول/ اكتوبر: انتشار ستة آلاف «قبعة زرقاء» بقيادة الجنرال الفرنسي فيليب موريون (يقود الفوربرونو منذ ٣٠ سبتمبر) في الاراضي البوسنية.

ـ ٢٩ تشرين الاول/اكتوبر: سقطت مدينة جاجس ذات الكثافة السكانية الاسلامية في ايدي الصرب، مما ادى الى تشريد الآلاف نحو البوسنة الوسطى.

ـ ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر: بمبادرة من رابطة العالم الاسلامي، افتتح مجلس الامن حواراً عاماً حول مصير مسلمي البوسنة.

ـ ١ كانون الاول/ ديسمبر: ادانت لجنة حقوق الانسان في جنيف المجازر وسياسة التطهير العرقي التي يمارسها زعماء صرب البوسنة، وايضاً كرواتيا.

١٩٩٣

ـ كانون الثاني/ يناير: هجوم اسلامي مضاد ومحدود في البوسنة الشرقية.

ـ ٢ كانون الثاني / يناير: مفاوضات حول مشروع «فانس ـ اون» في جنيف. يعرض هذا المشروع تقسيم البوسنة ـ والهرسك الى عشرة اقاليم: ثلاثة اقاليم صربية، وثلاثة اسلامية، وثلاثة كرواتية، واقليم سراييفو تحت الاشراف العالمي. وافق الكروات على المشروع، ورفضه الصرب والمسلمون. تأجيل المفاوضات.

ـ ٦ كانون الثاني/ يناير: اشارت العديد من التقارير الى وجود حملة اغتصاب نسقية للاعراض في البوسنة ـ والهرسك وذلك في اطار سياسة التطهير العرقي.

ـ ٨ كانون الثاني/ يناير: اغتال احد عناصر المليشيات الصربية نائب رئيس الوزراء

البوسني (توراجيليك) داخل احدى مركبات قوات الامم المتحدة.

ـ ٢٢ كانون الثاني/يناير: هجوم للجيش الكرواتي ضد ميليشيات صرب كراجينا. وفي ٢٥، مقتل جنديان فرنسيان وجرح ثلاثة آخرين خلال هذا الهجوم.

ـ ٣٠ كانون الثاني/يناير: معارك عنيفة بين الكروات والمسلمين في وسط البوسنة.

ـ ٥ شباط/ فبراير: استئناف المفاوضات في نيويورك بوجود جميع الاطراف ورئيسي مؤتمر جنيف دافيد اون وسايروس فانس.

ـ ١٠ شباط/ فبراير: اعلنت الولايات المتحدة الاميركية عن موافقتها على مشروع فانس ـ اون وعينت بارتولومو لتمثيلها في المفاوضات.

ـ ١٩ شباط/ فبراير: وافق مجلس الامن على القرار رقم ٨٠٧ الذي يسمح «للقبعات الزرقاء» باستعمال القوة لضمان «امنها الخاص».

ـ ٢٢ شباط/فبراير: وافق مجلس الامن بالاجماع على القرار رقم ٨٠٨ الذي قدمته فرنسا والذي ينص على انشاء محكمة عالمية لمحاكمة المسؤولين عن جرائم الحرب.

ـ ٢٥ شباط/فبراير: قرر الرئيس الاميركي بيل كلينتون القاء المواد الغذائية بالمظلات فوق البوسنة الشرقية.

ـ ١١ آذار/مارس: لقاء في باريس بين الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيك والرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران.

ـ ١١ ـ ٢٠ آذار/مارس: اعتصم الجنرال الفرنسي فيليب موريون، قائد قوات الامم المتحدة في مدينة سيربرنيكا، الجيب الاسلامي المحاصر، وبعد مفاوضات مكثفة، غادرها برفقة ٦٧٤ جريح.

ـ ٢٥ آذار/مارس: وافق الرئيس البوسني عليجا ايزتبيغوفيش على مشروع فانس ـ اون. فقط الصرب مازالوا يعترضون على تقسيم البوسنة.

ـ ٦ نيسان/ابريل: مرّ عام على الحرب في البوسنة. هجوم كرواتي عنيف ضد المسلمين في مدينة موستار بهدف تطهيرها من المسلمين وجعلها «العاصمة الكرواتية» لـ «الهرسك ـ

بوسنا». هجوم كرواتي على المدينة الاسلامية جابلانيكا. وجبهات قتال اخرى بين المسلمين والكروات في البوسنة الوسطى.

- ١٦ نيسان/ ابريل: طالب قرار مجلس الامن رقم ٨١٩ بفك الحصار الصربي عن مدينة سيربرنيكا الاسلامية، واعلن هذه المدينة «منطقة امنية». اشرفت قوات الامم المتحدة على المفاوضات الهادفة الى التوصل الى كيفية استسلام المدينة التي سقطت في ايدي الصرب. تم التوصل الى وقف لإطلاق النار، والى اتفاق لإخلاء الجرحى.

١٧ - ١٨ نيسان/ ابريل: وافق مجلس الامن على القرار رقم ٨٢٠ الذي يزيد حدة العقوبات الاقتصادية ضد بلغراد.

- ١٨ نيسان/ابريل: رغم توقيع اتفاق لوقف اطلاق النار بين الرئيس البوسني ايزتبيغوفيش والرئيس الكرواتي توجمان، ازدادت حدّة المعارك بين الكروات والمسلمين حول مدينة فيتيز.

- ٢٦ نيسان/ابريل: رفض برلمان صرب البوسنة مشروع فانس - اون.

- ١ - ٢ ايار/مايو: انعقاد قمة «الفرصة الاخيرة» في اثينا حضرها جميع اطراف النزاع. بسبب ضغوط رئيس صربيا سلوبودان ميلوسيفيك، وضغوط الوفد اليوناني، وبسبب التهديدات العالمية بالتدخل العسكري، وافق زعيم صرب البوسنة رادوفان كرادزيك على مشروع فانس - اون. ولكنه اشترط ان يوافق عليه برلمان صرب البوسنة. رفضها هذا البرلمان، وقرر طرحها على استفتاء شعبي عام في ١٥ و ١٦ ايار/ مايو.

- ٦ ايار/مايو: فرضت الفيدرالية اليوغوسلافية (صربيا والمونتنغرو) حظراً اقتصادياً على صرب البوسنة بهدف الضغط عليهم ودفعهم الى الموافقة على مشروع فانس - اون. وفي نفس الوقت، اقرت الامم المتحدة مشروع القرار رقم ٨٢٤ الذي ينص على انشاء خمس مناطق امنية اخرى: سرايبفو، توزلا، زيبا، عورازدة، وبيخاش. اصبح عدد المناطق الامنية ستة.

- ١٥- ١٦ آيار/مايو: استفتاء شعبي صربي في البوسنة رفض الصرب خلاله مشروع فانس - اون.

ـ ٢٢ آيار/مايو: آخذين بعين الاعتبار رفض الصرب لمشروع فانس ـ اون، واحتلالهم عسكرياً ٧٠٪ من الاراضي، اعلن ممثلوا الولايات المتحدة الاميركية وروسيا واوروبا المجتمعين في واشنطن اقرار «برنامج عمل مشترك». يجسد هذا البرنامج المشترك تخلي المجموعة العالمية عن مشروع فانس ـ اون.

ـ ٨ حزيران/يونيو: استئناف القتال بين مسلمي البوسنة والكروات، الحلفاء السابقين، وحلفاء المستقبل.

ـ ١٥ ـ ١٦ حزيران/يونيو: في اجتماع في جنيف، وافق الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيك والرئيس الكرواتي فرنكو توجمان على تقسيم البوسنة ـ والهرسك الى ثلاث هويات داخل اطار دولة كونفدرالية. روفض الرئيس البوسني عليجا ايزتبيغوفيش هذا المشروع الذي وافق عليه دافيد اون وتروفالد ستولتنبرغ (حل محل سايروس فانس في ايار)، عبرّت موافقة الوسيطين عن التخلي النهائي عن مشروع فانس ـ اون.

ـ ١٩ ـ ٢٠ حزيران/يونيو: قرر صرب كراجينا الكرواتية، عن طريق استفتاء شعبي عام الوحدة مع صرب البوسنة.

ـ ٢٤ حزيران/يونيو: انهى الجنرال فيليب موريون الفرنسي فترة قيادته لقوات الامم المتحدة وغادر البوسنة في ١٢ تموز. حل محله الجنرال البلجيكي فرنسيس بريكمون.

ـ ٢٩ حزيران/يونيو: رفض مجلس الامن الدولي، رغم ارادة الولايات المتحدة الاميركية، رفع الحظر عن تصدير الاسلحة للبوسنة.

ـ ٥ تموز/يوليو: اتهم تقرير نشرة «مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي» اليونان بأنها لا تطبق العقوبات المفروضة على صربيا والمونتنغرو، ولا تحترم الحظر المفروض عليها.

ـ ٦ تموز/يوليو: قامت دانيال ميتران، زوجة الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، بزيارة لبلغراد، واجتمعت بالرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيك.

ـ ٢٠ تموز/يوليو: عرض الوسطاء العالميون (اون، ستولتنبرغ) مشروع سلام جديد يقسم البوسنة ـ والهرسك الى ثلاثة جمهوريات ويمنح ٥٢٪ من الاراضي للصرب، ٣٠٪ للمسلمين،

١٢٪ للكروات تبقى سراييفو تحت وصاية الامم المتحدة، وموستار تحت الادارة الاوروبية. ابدى الرئيس البوسني ايزتبيغوفيش تحفظه وتردده ازاء هذا المشروع وطالب بمنفذ على البحر، وضمانات عالمية لحفظ امن المسلمين. وافق الكروات على هذا المشروع، اذ، في حقيقة الامر كانت الهرسك ـ بوسنا الكرواتية في ذلك الوقت منفصلة من الناحية العملية عن البوسنة، وكان زعماؤها قد انسحبوا من الرئاسة والحكومة البوسنية. ورغم تحفظات برلمانهم وافق الصرب على هذا المشروع الذي يفرض عليهم التخلي عن ٢٠٪ من اراضي البوسنة للمسلمين. وفي هذا اليوم، بدأت القوات الصربية هجوماً عنيفاً في البوسنة الوسطى ضد الكروات، حلفائها السابقين.

ـ ١٦ ايلول / سبتمبر: التوقيع على اتفاق ثنائي صربي ـ اسلامي ينص على «ان كل جمهورية من الجمهوريات العرقية الاتحادية الثلاثة التي يقترحها مشروع اون ـ ستولتنبرغ في البوسنة تستطيع الانفصال عن الاتحاد بعد فترة انتقالية طولها سنتين وبعد اجراء استفتاء شعبي عام».

ـ ١٠ ـ ١٧ ايلول / سبتمبر: تمرد عدة وحدات من الجيش الصربي ضد قيادتها العامة في مدينة بنجالوكا.

ـ ٢٧ ايلول / سبتمبر: اعلان قيام «اقليم البوسنة الغربية المستقل»، وهو الاقليم الاسلامي المنشق بقيادة فكرت عبديك. بداية الخلافات الاسلامية ـ الاسلامية.

ـ ٢٩ ايلول سبتمبر: بعد الاجتماع بجميع المنظمات والجمعيات الاسلامية، استشار الرئيس البوسني ايزتبيغوفيش البرلمان الذي فقد الكثير من اعضائه الصرب والكروات حول مشروع اون ـ ستولتنبرغ. تمت الموافقة على هذا المشروع بشرط ان يحصل المسلمون على منفذ على البحر، ان يستعيدوا المناطق التي كانوا يشكلون فيها اغلبية وان يحصلوا على ضمانات عالمية بتطبيق الاتفاق.

ـ ٣٠ ايلول/ سبتمبر: حصول القطيعة بين الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيك وفوجيسلاف سيسيلج زعيم الحزب الراديكالي الوطني الصربي المتطرف (يمتلك ٣٠٪ من

الاصوات البرلمانية). وكان انصار سيسيلج قد عرضوا على البرلمان، في ٢٧ سبتمبر، مشروع حجب الثقة عن الحكومة. ادان الحزب الاشتراكي، الذي يتزعمه سلوبودان ميلوسيفيك جرائم الحرب التي ارتكبتها ميليشيات سيسيلج في البوسنة وكرواتيا.

- ٤ تشرين الاول/اكتوبر: اشتباكات مسلحة في جيب بيخاش الاسلامي الواقع في شمالي - غربي البوسنة، والمنفصل عن حكومة البوسنة. تسيطر القوات الانفصالية بقيادة فكرت عبديك على الاقليم، وتشن الحرب ضد القوات الاسلامية التي ما زالت على وفائها للرئيس البوسني. في ٢٢، وقع فكرت عبديك اتفاقي تعاون مع الزعيمين الصربي والكرواتي في البوسنة رادوفان كرادزيك ومات بوبان.

- ٢٣ تشرين الاول/اكتوبر: قررت اللجنة العليا للاجئين التوقف عن نقل الامدادات الغذائية بعد مقتل سائق شاحنة دينماركي في البوسنة الوسطى. بسبب عدم الامن، بقيت مئات الآلاف من المدنيين بدون غذاء لمدّة اكثر من شهر.

- ٤ تشرين الثاني/ نوفمبر: استيلاء المسلمين على جيب ڤار الكرواتي.

- ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر: تهديم جسر موستار القديم (كارثة ثقافية). بداية تحالفات بين المسلمين والصرب في موستار ضد القوات الكرواتية.

- ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر: بناء على طلب فرنسي - الماني مشترك، قرر وزراء خارجية المجموعة الاوروبية البدء في « مبادرة سلام في البوسنة». تعبر هذه المبادرة عن محاولة لتلافي انشطار كرواتيا و«تنظيم» انشطار البوسنة - والهرسك، وتقترح: ان يعيد الصرب ٣٪ الى ٤٪ من الاراضي التي يحتلونها للمسلمين مقابل رفع العقوبات عن صربيا والمونتنغرو؛ وان يوافق الكروات على حل الخلاف في كرواتيا على مراحل وان يمنحوا منفذاً على البحر للمسلمين مقابل مساعدات اقتصادية؛ واخيراً، ان يوافق المسلمون على هذا المشروع اذا قدم الصرب والكروات التنازلات المطلوبة، وإلا فسيتم تعليق المساعدات الانسانية.

- ٢٢ كانون الاول/ ديسمبر: لقاء في بروكسل بين الزعماء الصرب والكروات والمسلمين

وبحضور وزراء خارجية الدول الاوروبية الاثنتي عشرة. وافقت الاطراف على منح المسلمين ثلث الاراضي، ولكن المفاوضات فشلت لأن الكروات رفضوا منح المسلمين منفذاً على بحر الادرياتيك. لم يتم احترام اتفاق وقف اطلاق النار الذي تم توقيعه بمناسبة احتفالات رأس السنة. ازدادت حدّة القصف على مدينة سراييفو. يرفض سلوبودان ميلوسيفيك فتح مطار توزلا للمساعدات الانسانية. ويستمر الهجوم الاسلامي ضد القوات الكرواتية في البوسنة الوسطى.

١٩٩٤

ـ ١١ كانون الثاني/يناير: قرر المجتمعون في قمة حلف شمال الاطلسي في بروكسل فتح مطار توزلا. وافق الامين العام للأمم المتحدة، بطرس بطرس غالي، على مبدأ ان يقدم حلف شمال الاطلسي «الحماية الجوية» لقوات الامم المتحدة.

ـ ٣ شباط/ فبراير: اعلن الرئيس الاميركي بيل كلينتون «رفضه لمشاركة الجنود الاميركيين في قوات الامم المتحدة الهادفة لإعادة السلام، وموافقته على مشاركتهم في تلك الهادفة لحفظه».

اعلنت «جمهورية صرب البوسنة» حالة التعبئة العامة، وفرض عقوبات قاسية وصارمة على الفارين من الخدمة العسكرية. وفي زيارة له في هذه الجمهورية، صرح زعيم الحزب الوطني الروسي المتطرف، فالديمير جيرينوفسكي: «لديكم حليف كبير، روسيا».

اقر مجلس الامن الدولي مشروع اعلان يهدد كرواتيا باتخاذ عقوبات اقتصادية ضدها بسبب مشاركتها العسكرية في حرب البوسنة ـ والهرسك.

ـ ٥ شباط/فبراير: سقطت قذيفة على احد اسواق سراييفو راح ضحيتها ٨٦ قتيل وما يقارب المئتي جريح. انها المجزرة الاكثر دموية منذ بداية حصار المدينة في عام ١٩٩٢. اعلنت قوات الامم المتحدة استحالة تحديد مصدر القذيفة، وهذا ما اكدته التحقيقات العالمية. وبدون ان تذكر مصادرها، اكدت قناة التلفزيون الفرنسية الاولى ان مصدر القذيفة بوسني!

ـ ١٠ شباط/فبراير: منح حلف شمال الاطلسي الصرب مهلة (تنتهي قبل ٢١) لسحب

اسلحتهم الثقيلة حول مدينة سراييفو.انصاع الصرب لهذه المهلة.

ـ ٢٥ شباط/ فبراير: توقيع اتفاق لوقف اطلاق النار في زاغرب بين القوات الكرواتية والقوات الاسلامية البوسنية. وتم الاتفاق على نشر قوات الامم المتحدة في المناطق الحساسة بين الطرفين، وخصوصاً في موستار حيث الكروات يحاصرون المسلمين منذ عشرة اشهر. وتحت ضغوط الاميركيين، بدأت مفاوضات تهدف الى تشكيل «فيدرالية كرواتو ـ اسلامية» في البوسنة، وروابط كونفدرالية بين هذه الفيدرالية وكرواتيا.

ـ ٢٨ شباط/فبراير: اسقطت طائرات حلف شمال الاطلسي اربع طائرات صربية اقلعت من كراجينا الكرواتية الواقعة تحت سيطرة الصرب واخترقت المجال الجوي البوسني المحظور بموجب قرار الامم المتحدة الصادر في اكتوبر ١٩٩٢. قام الطرفان بتقليل اهمية الحدث، ولم يمنحاه الاهمية الاعلامية التي يستحقها.

ـ ١ آذار/ مارس: بداية المفاوضات في واشنطن بهدف تشكيل الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية، وتم التوقيع على اتفاق انشائها في ١٨.

ـ ٧ آذار/ مارس: في حين ان اطلاق النار متوقف تقريباً في سراييفو، بدأت القوات الصربية هجومها على جيب بيخاش في شمال البوسنة الذي تعتبره الامم المتحدة «منطقة امينة». وفي نفس اليوم، بدأت القوات الكرواتية في سحب اسلحتها الثقلية من موستار.

ـ ٤ نيسان/ابريل: بداية الهجوم الصربي على جيب غورازدة الاسلامي المحاصر والذي اعلنته الامم المتحدة منطقة امنية.

ـ ١٠ نيسان/ابريل: شنت طائرات حلف شمال الاطلسي قصفاً جوياً على القوات الصربية حول مدينة غورازدة؛ رداً على ذلك، قامت القوات الصربية بتعطيل نشاط الفوربرونو والهيئة العليا للاجئين.

ـ ٢٢ نيسان/ ابريل: حدد حلف شمال الاطلسي مهلة للقوات الصربية لسحب جيشها حول مدينة غورازدة، وافق الصرب على وقف اطلاق النار وعلى انسحاب عسكري جزئي.

ـ ٢٦ نيسان/ابريل: اول اجتماع لـ «مجموعة الاتصال» في لندن.

- ٤ تموز/يوليو: فرضت جمهورية يوغوسلافيا الفيدرالية (صربيا والمونتنغرو) حظراً اقتصادياً على جمهورية صرب البوسنة.

- ٥ تموز/يوليو: عرضت مجموعة الاتصال مشروعها للسلام. وافقت عليه صربيا، ووافق عليه برلمان الفيدرالية الكرواتو - اسلامية، ورفضته جمهورية صرب البوسنة في ١٨، ورفضته مرّة ثانية في ٢٨.

- ٢٠ آب/ اغسطس: استولت القوات البوسنية على فيلكا كلادوسا حيث يتواجد انصار فكرت عبديك المنشق.

- ٣١ آب/اغسطس: وافقت الجمهورية الفيدرالية اليوغوسلافية (صربيا والمونتنغرو) على تواجد مراقبين دوليين على حدودها مع جمهورية صرب البوسنة لمراقبة تطبيق الحظر الاقتصادي الذي فرضته عليها.

- ٢٨ تشرين الاول/اكتوبر:بداية هجوم اسلامي واسع النطاق ضد القوات الصربية انطلاقا من مدينة بيخاش.

- ٩ تشرين الثاني/نوفمبر:هجوم صربي مضاد.

- ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر: اتفاق تعاون اقتصادي بين كرواتيا و «جمهورية صرب كراجينا».

- ٢١ - ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر: قصف جوي لحلف شمال الاطلسي ضد احد مطارات كراجينا.

- ٢٣ - ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر: دخل الجيش الصربي في مدينة بيخاش المعلنة منطقة امنية، وعطّل نشاط المئات من «القبعات الزرقاء» الذين اصبحوا محصورين في ثكناتهم.

- ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر: التوقيع على وقف لاطلاق النار، وانسحاب صربي جزئي من بيخاش.

١٩٩٥

- ٦ آذار/مارس: التوقيع على اتفاق تعاون عسكري بين الجيش الكرواتي والجيش البوسني بإشراف الولايات المتحدة الاميركية.

- ٢٠ - ٢٨ آذار/مارس: هجوم بوسني ضد جبال فلازيك وماجيفيكا.

- ١٤ آذار/ مارس: خلافات بين رادوفان كرادزيك، الزعيم السياسي لصرب البوسنة، وراتكو مالديك، زعيمهم العسكري.

- ٢ آيار/مايو: هجوم كرواتي خاطف في سلافونيا الغربية.

- ٢٥ آيار/مايو: قصف صربي عنيف على مدينة توزلا راح ضحيته ٧١ مدنياً.

- ٢٦ آيار/مايو: قصف جوي لحلف شمال الاطلسي. ردّ الصرب باحتجاز مئات الرهائن من قوات «القبعات الزرقاء». بداية ازمة الرهائن.

- ١٥ حزيران/ يونيو: وافق مجلس الامن الدولي على انشاء قوات الرد السريع، بناءً على مبادرة من رئيس الجمهورية الفرنسية جاك شيراك.

- ١٨ حزيران/ يونيو: تحرير آخر الرهائن من قوات «القبعات الزرقاء»، ونهاية ازمة الرهائن.

- تموز/يوليو - آب/ اغسطس: بداية الوساطة الاميركية عن طريق الوسيط ريتشارد هولبروك.

- ٧ - ١١ تموز/ يوليو: استيلاء الجيش الصربي على جيب سيربرنيكا المعلن «منطقة امنية»، ثم، في ١٤- ٢٦ ، على جيب زيبا ، المعلن هو الآخر «منطقة امنية».

- ٢١ تموز/يوليو: مؤتمر لندن، حيث اقرت «مجموعة الاتصال» مشروع قصف جوي «كثيف» على المواقع الصربية.

- ٢٢ تموز/يوليو: اتفاق كرواتو - بوسني يسمح للقوات الكرواتية بدخول الاراضي البوسنية.

- ٢٥ تموز/يوليو: اتهمت محكمة العدل الدولية في لاهاي رادوفان كرادزيك

وراتكومالديك بارتكاب جرائم ضد الانسانية.

ـ ٢٦ تموز/يوليو: صوت الكونغرس الاميركي على مشروع قرار لرفع الحظر عن تصدير الاسلحة للبوسنة. بداية هجوم صربي شامل على جيب بيخاش.

ـ ٤ آب/اغسطس: هجوم كرواتي شامل ضد جمهورية صرب كراجينا؛ وتفاقم الازمة بين الزعماء السياسيين والزعماء العسكريين في جمهورية صرب البوسنة.

ـ ٥ آب/اغسطس: دخول الجيش الكرواتي في كنان، عاصمة صرب كراجينا.

ـ ٩ آب/ اغسطس: سقوط درڤار، آخر معاقل القوات الصربية في كرواتيا.

ـ ١١ آب/ اغسطس: استخدم الرئيس الاميركي حق النقض «الفيتو» ضد قرار الكونغرس برفع الحظر عن تصدير الاسلحة للبوسنة.

ـ ١٨ آب/اغسطس: انسحاب قوات الامم المتحدة من غورازدة.

ـ ٢٨ آب/ اغسطس: قصف وحشي على سراييفو (٣٥ ضحية) .

ـ ٢٩ آب/ اغسطس: بداية عملية «القوة الارادية» التي تمثلت في قصف جوي عنيف على المواقع الصربية شنته طائرات حلف شمال الاطلسي، وقصف مدفعي شنته قوات التدخل السريع.

ـ ٣٠ آب/ اغسطس: فوّض برلمان صرب البوسنة سلوبودان ميلوسيفيك للتفاوض نيابة عن صرب البوسنة.

ـ ٨ ايلول/ سبتمبر: التوقيع، في جنيف، على اتفاق حول المبادئ الدستورية والمؤسسية لحل الخلاف في البوسنة.

ـ ٩ ايلول/سبتمبر: بداية هجوم كرواتو ـ اسلامي ضد الصرب في البوسنة الغربية.

ـ ١٩ ايلول/سبتمبر: اعلن الجيش الكرواتي تعليق عملياته العسكرية.

ـ ٢٠ ايلول/سبتمبر : تعليق عملية «القوة الارادية».

ـ ٢٦ تشرين الاول/اكتوبر: التوقيع على اتفاق في نيويورك يطوّر اتفاق ٨ سبتمبر، ويؤكده.

- ١٢ تشرين الاول/اكتوبر: اتفاق عام وشامل لوقف اطلاق النار في البوسنة.

- ١ تشرين الثاني/ نوفمبر: بداية مفاوضات شاملة حول الازمة اليوغوسلافية في دايتون في الولايات المتحدة الاميركية.

- ١١ تشرين الثاني/نوفمبر: اتفاق تعزيز الفيدرالية الكرواتو ـ اسلامية، وتوحيد مدينة موستار.

- ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر: وجهت محكمة العدل الدولية في لاهاي تهمة «الابادة الجماعية» لرادوفان كرادزيك وراتكومالديك.

-٢١ تشرين الثاني/نوفمبر: تم التوصل، في دايتون في الولايات المتحدة الاميركية، الى اتفاق ثلاثي، دستوري ومؤسسي وجغرافي حول البوسنة ـ والهرسك. وقعت عليه الوفود الصربية والكرواتية والبوسنية بإشراف اميركي. وافقت الجمهورية الفيدرالية اليوغوسلافية (صربيا والمونتنغرو) وجمهورية البوسنة ـ والهرسك على الاعتراف المتبادل فيما بينهما.

- ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر : صوت مجلس الامن الدولي لصالح قرار تعليق العقوبات الاقتصادية المفروضة على جمهورية يوغوسلافيا الفيدرالية، ولصالح قرار رفع حظر تصدير الاسلحة للجمهوريات الناتجة عن انشطار يوغوسلافيا. واستُبدلت قوات الفوربرونو بقوات الايفور (او قوات التطبيق) التي اوكلت اليها مهمة الاشراف على تطبيق اتفاق دايتون.

- ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر: اعلن زعماء جمهورية صرب البوسنة موافقتهم على اتفاق دايتون.

- ١٤ كانون الاول/ديسمبر: في باريس، وقع الرؤساء الصربي والكرواتي والبوسني رسمياً على اتفاق دايتون.

المراجع

باللغة العربية

ـ وكالة الانباء الاسلامية «اينا»، «البوسنة ـ والهرسك: قصة شعب مسلم يواجه العدوان»، جدّة، دار القبلة للثقافة الاسلامية، ١٩٩٢، ١٧٣ صفحة .

ـ د. عبد الحي الفرماوي، «الصربيون خنازير اوروبا: يحالون ابادة الوجود الاسلامي»، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٩٢، ١٩٢ صفحة.

ـ حسن السوسي، «حظوظ السلام في البوسنة والهرسك»، الملف العربي ـ الاوروبي يصدر عن مركز الدراسات العربي ـ الاوروبي، باريس العدد ٤٣ آذار/ مارس ١٩٩٦، الصفحة الثامنة.

باللغة الفرنسية :

- ANALIS Dimitris , "La Crise Yougoslave: strtegie, Diplomatie, Médias", Lausanne, L'Age d'Homme 1993.
- AUTY Phyllis, Tito, Paris, Seuil 1972 (traduction Française) 320 Pages.
- BATAKOVIC Dusan, Kosovo, la spirale de la haine, Lausanne, Ed. L'Age d'Homme, 1993, 90 pages.
- BEGIC Midhat, La Bosnie , carrefour d'identité culturelles, Sarajevo 1987, traduction française, L'Esprit des Péninsules, 1994, 250 pages.
- CILIGA Ante, Crise d'Etat dans la Yougoslavie de Tito, Paris, Ed. Denoël 1974, 355 Pages .
- COSIC Dobrica, La Yougoslavie et la question serbe, Lausanne, L'Age d'Homme 1992, 31 pages .
- GAUTIER Xavier, L'Europe à L'épreuve des Balkans, Paris, Ed. Jacques Bertoin 1992, 271 pages.
- HATZFELD JEAN, "L'Air de La guerre sur les routes de de la Croatie et de la Bosnie - Herzegovine", Paris , Ed. DE L'Olivier 1994.
- JULLIARD Jacques, Ce Fascisme qui vient, Paris, Seuil 1993.
- KRULIC Joseph, Histoire de la yougoslavie de 1945 à nos jours, Paris , Ed, Complexe 1993", 252 pages.
- MICHELETTI Eric, Yougoslavie en flammes 1991 - 1993, Paris, Ed. Histoire et Collection 1993.
- NAHOUM - GRAPPE Véronique, Vukovar, Sarajevo, la guerre en ex - Yougoslavie, Paris, Esprit 1993, 295 pages.

- POPOVIC Alexandre, Les Musulmans Yougoslaves 1945 - 89, Lausanne, L'Age d'Homme 1990, 180 pages.
- RUPNIK Jacque (sous la direction de), De Sarajevo, à Sarajevo, Paris, Ed; Complexes 1992, 250 pages .
- SAMARY Catherine, La fragmentation Yougoslave, Amsterdam, IIRF 1992, Cahiers d'etudes et de recherches N° 19/20, 60 pages.
- SAMARY Catherine, La Déchirure Yougoslave: questions pour l'europe, Paris, L'Harmattan 1994.
- SAMIR Amir, l'Ethnie à l'assaut des nations - Yougoslavie, Ethiopie, Paris, L'Harmattan, 144 pages .
-TARDY Thierry, "La gestion onusienne des conflits Yougoslaves". Regards sur l'actualité, La Documentation Française, Paris, mai 1995.
- Livre Noir de l'Ex-Yougoslavie (Purification ethnique et crimes de guerre), Documents rassemblés par le Nouvel Obserateur et Reporteurs sans Frontières, Paris, Ed. Arléa 1993, 486 Pages.
- Confluences Méditerranée. "Balkans: l'implosion?", Paris, l'Harmattan, N°8, automne 1993.
Dossiers du GRIP, Bruxelles, Fevrier 1992, n°166 : "La Yougoslavie désintégrée"; et Mars 1992, n°167:"La Politique étrangère européene: de Maastricht à la Yougoslavie".

باللغة الانكليزية :

- HORVAT Branko, An essay on fhe Yugoslav society, New York, IASP, 1967, 245 Pages.
- MAGAS Branka, The destruction of Yuoslavia - Tracking the break-up 1980-82, London, Verso, 1993, 365 Pages .
- MICHELETTI Eric, War in the Balkans, Paris, Ed. Histoire et collections, 1993.
- PAVLOWITCH Stevan, The Improbable Survivor: Yugoslavia and its Problems, 1918-1988, Hurst, London, 1988.
- PINSON Mark, The Muslims of Bosnia- Herzegovina, Harvard University Press. Cambridge (Massachusetts), 1994.
- SHOUP Paul, BURG Steven, Ethnic Conflict and International Intervention: the Crisis in Bosnia-Herzegovina 1990- 1993, Sharpe, New York, 1994.
- WILSON Duncan, Tito's Yugoslavia, Cambridge University Perss, 1979, 270 Pages.

محتويات الكتاب